

اللهجات العربية في القراءات القرآنية

الدكتور عبده الراحمي

أستاذ العلوم اللغوية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٦

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش. بورسعيد - الإسكندرية

ت : ١٦٣ - ٤٨٣

اللهجات العربية في القراءات القرآنية

دكتور
عبد الرأعي
أستاذ العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٦

دار المعرفة الجامعية

٤ فر سويسر - الأناطلة - ت ٤٨٣٠١٦٣

٣٨٧ فر قبال السويس - الشاطبي ت ٥٩٧٣١٤٩

حقوق الطبع محفوظة

دار المعرفة الجامعية
للطبع والنشر والتوزيع

✻ الإدارة : ٤٠ شارع سوتير
الازارطة - الاسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

✻ الفرع : ٣٨٧ شارع قتال السويس
الشاطبي - الاسكندرية
ت : ٥٩٧٣١٤٦

إلى الذى أعطانى كل شىء ..

ثم رحل لم يُردّ جزاء ولا شكورا ..

.. إلى أبى .. فى جوار رب كريم ..



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
وبعد :

فإن القرآن الكريم حياة هذه الأمة ، لا تبتعد عنه لحظة إلا وتبتعد عنهما معالم الحياة.
وإن حياة لغتنا العربية في هذا الكتاب الكريم ، ولا يعرف التاريخ لغة اتصالات
حياتها بكتاب مقدس كما تتصل حياة العربية بالقرآن .

ولا سبيل إلى فهم حياة هذه الأمة إلا بدرس كتابها ودرس لغتها التي عاشت
فيه ، ولسنا نعرف درساً انموذجاً أصلاً ولا أعمق من درس يصل بين العربية والقرآن .
وليس من ريب في أن القدماء قد قدموا لنا مجهودات عظيمة في الدرس اللغوي
للغربية ، لكن المصدر الأول الذي صدرت عنه هذه اللغة والذي لا تزال تصدر عنه
حياتها هذه الطويلة — لا يزال في حاجة إلى بيان .

وتلك محاولة لثل هذا الدرس ، مجرد محاولة لفهم الواقع اللغوي للعربية قبل
الإسلام كما تمثله القراءات القرآنية ، وليس من شك في أن القراءات تمثل منهجاً في
النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر مهما يكن حتى منهج الحديث .

ولكن ماذا نقصد باللهجات العربية ؟ هل نقصد ما يعنيه الدارسون المحدثون حين
يتصدون لدرس اللهجات « العامية » ؟

وجلى أننا لا نقصد من بحثنا درساً لعاميات ما قبل الإسلام ، ذلك — أولاً —
لأننا لا نعرف شيئاً عن هذه العاميات أو لا نكاد نعرف عنها شيئاً ، و — ثانياً —
لأن عنوان البحث ينفيه ، فالقراءات القرآنية لا تمثل شيئاً من العامية ، ولعل
الأصوب أن نقول إننا ندرس هنا « العناصر » التي تكون العربية الفصحى ، أو

الخصائص اللهجية التي تنتسب إلى قبائل بداهة ثم دخلت الفصحى وصارت جزءا منها ، أى صار لها مستوى من الفصحاة يقرأ به القرآن وينظم به الشعر .

واقدر يقال إنه كان ينبغي ألا يكون عنوان البحث على ما هو عليه حتى يساير هذا الاتجاه الذى يبناه ، لكننا آثرنا أن نبقى هذا العنوان كى تقرر هذه الحقيقة ، وهى أن درس اللهجات العربية القديمة ليس درسا للعاميات كما يسبق إلى ظن بعض الذين كتبوا عن هذه اللهجات ، فالهمز والتسهيل أو الفتح والإمالة مثلا ليسا من العامة فى شيء ، وإنما هما مستوى من الفصحاة معروف مقرر لدى القدماء الفصحاء .

والمنهج الذى اخترناه ، منهج لغوى وصفي ، لا تميل إلى شيء من التفسير المنطقي أو التحليل الفلسفى للظواهر اللغوية ، ولعل فى هذه « الوصفية » نصيبا من التجوز ، إذ تميل فى البحث إلى استعمال الظن الغالب حيث لا سبيل إلى شيء من يقين .

ولقد أدى بنا هذا المنهج إلى أن ندرس اللهجات العربية دراسة « بيئية » لادراسة « عنصرية » ، بمعنى أننا إذا أردنا أن نفهم ظاهرة لغوية تنتسب إلى قبيلة بذاتها فلن يكون فهمنا لها صحيحا باعتبار أن هذه القبيلة تنتسب إلى عدنان أو إلى قحطان مثلا ، ولكن باعتبارها تعيش فى بيئة معينة ، واقدر لحظنا أن القبائل التى تعيش حياة تحضر واستقرار تميل إلى طرائق فى اللغة تختلف عن تلك التى تميل إليها القبائل البادية ، لذلك قمنا بدراسة جغرافية وبشرية لشبه الجزيرة . ثم جمعنا القراءات القرآنية من مظانها ، واستخلصنا منها ما غلب على الظن وما أشارت المصادر إلى أنه من اللهجات ، ثم صنفنا هذه المادة التصنيف اللغوى الحديث ، بأن قسمنا الدرس اللهجى إلى مستويات أربعة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، واجهدنا فى نسبة الظواهر إلى بداهة مع استعمال الظن الغالب على ما بينا آنفا

ونعى عن البار أن مثل هذه الأبحاث اللغوية تدعى أن تتجنب التريد والتسكير ، لأنها فى محار « علم » مصر . لحقائق أو ما عتب على لظن أنه من إحقاق ومو ،

خرج البحث عن هذه الصورة الموحزة حيث لا مدعاة إلى شيء من إطناب .
ثم ختمنا البحث بأطلس لغوى اعتبرناه نتائج البحث ، جمعنا فيه العناصر اللهجية
موزعة على أماكنها من شبه الجزيرة ، ولقد نجرؤ على الظن بأنه أول محاولة في الدرس
العربي . والذي لا شك فيه أن صعوبات كثيرة قد واجهتنا في البحث ، أمل أولها
وأهمها ذلك البعد الزمني بيننا وبين اللهجات القديمة ، فدارس اللهجة ينبغي أن
يكون معاصرا للهجة التي يدرسها ، أو على الأقل ينبغي أن تكون اللهجة «مسجلة»
منطوقة ، أما وأن هذه اللهجات تبعد عنا حقبة من الزمن تزيد على خمسة عشرة قرنا ،
فإن محاولة الرصد والتحليل يكتنفها كثير من المخاطر .

ينضاف إلى ذلك أن المصادر القديمة في اللهجات ضئيلة بالأخبار ، وهي مع ذلك
قليلة ، وأكثر هذا التمايل مخطوط ، ولا يغيب عن أحد ما في معاناة النص المخطوط
من المشقة والجهد .

ثم إن التاريخ العام لشبه الجزيرة قبيل الإسلام غامض شديد الغموض ، وتاريخها
اللغوي أكثر غموضا ، لأن هذا المكان - مع أنه المصدر الذي تصدر عنه حياتنا
كلها - لم يجد بعد العناية من التنقيب العلمي المحقق ، فظل هذا التاريخ أو
كالأساطير . والدراسات العلمية للواقع اللغوي الحديث في شبه الجزيرة معدمة بيتنا ،
والمعجب أن الذين يقومون بها الآن هم الذين يحتكرون استغلال الزيت هناك .

ومع كل هذه الصعوبات ، لم نحجم عن المحاولة ، لأن هذه الصعوبات ينبغي أن
تواجه ، وينبغي أن نجد الحلول العلمية ، ونحن ندرك أن الذي قدمناه قد يكون
من الحقائق ، لكنه ليس الكامة الأخيرة في الموضوع ، بل سيظل معلقا رهن الدرس
النقب وما يأتي من جديد .

ومع ذلك فلقد تكون هذه المحاولة خطوة على الطريق ، ولعلنا يوما أن نعرف الطريق .

والله وحده ولى التوفيق ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا في ضلال مبين

والصلاة والسلام

البَابُ الْأَوَّلُ

شبه الجزيرة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لنهتدي لہ

www.KitaboSunnat.com

الفصل الأول

شبه الجزيرة : حدودها واسماها

إن البحث اللغوى فى اللهجات العربية قبل الإسلام يقتضينا أن نمد له بدراسة ناحيتين مهمتين : —

١ — دراسة للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية .

٢ — دراسة للقبائل العربية ومنازلها من شبه الجزيرة .

ودراستنا للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، ليست دراسة جانبية أو ثانوية ، بل أعلنا نعتبرها من أهم ما ينبغى أن يقوم عليه هذا البحث ، ذلك أن الدرس اللغوى الحديث يعتمد اعتمادا كبيرا على الجغرافيا اللغوية Linguistic Geography وارتباط دراسة اللهجات على وجه الخصوص بهذه الجغرافيا اللغوية أصبح من القوة بحيث يقرر كارول Caroll أن هذا المصطلح قد تطور إلى أن أطلق عليه اللغويون المحدثون « الجغرافيا اللهجية Dialect Geography » أو علم اللهجات Dialectology (١)

ولقد أبان شنيجر العالم السويسرى عن أهمية هذا الفرع لدراسة العربية وتطورها بقوله « وبالنسبة للغة العربية نقول إن القيام بعمل أطلس لغوى سيحدث ثورة فى كل الدراسات الخاصة بفقه اللغة السامية ، لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التى تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية المصرية ، وسيكون لهذا الأطلس الفضل فى إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التى أصابت اللغة العربية فى الأماكن المختلفة التى غذتها وعن مدى انتشارها وتأثيرها

بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات التي لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد» (١) .

والحدود الجغرافية لشبه الجزيرة قبل الإسلام غامضة وفيها الكثير من الاختلافات، وسوف نحاول هنا أن نتبين حدودها وأقسامها عند الجغرافيين القدماء من عرب وغيرهم .

رسم إراتوستين Eratosthenes (٢) حدودها على أنها تمتد من هيروبوليس - بالقرب من السويس الآن - إلى بابلون عن طريق سلع Petra وإلى جنوب هذا الحد تمتد شبه الجزيرة إلى المحيط (٣) .

ويضع سترابو (٤) حدودها على النحو التالي ، يتكون الحد الشمالي من الصحراء ، والشرقي من الخليج الفارسي ، والغربي من البحر الأحمر والجنوبي من البحر الكبير الذي يمتد بين البحرين (٥) .

ويرى بليني Pliny (٦) أن شبه الجزيرة تبدأ من سلسلة الأمانوس ثم تمتد بين البحرين الفارسي والأحمر . فهو يجعل من حدود شبه جزيرة سيناء غربا حتى فرع النيل (٧) . أما الجغرافيون العرب فقد تأثروا بالتفسير اللغوي للفظ الجزيرة . «قال الخليل، سميت جزيرة العرب جزيرة لأن بحر فارس وبحر الحبش والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض

(١) الدكتور خليل عساكر ، الأطلس اللغوي . مجلة الثقافة عدد ٥٢٤ يناير ١٩٤٩ م

(٢) (٢٧٥ - ١٩٥ ق.م) وله مؤلفات في النقد الأدبي والشعر والرياضة والجغرافيا .

(٣) Musil (Alois) : Arabia Deserta, New York, 1927. p. 498

(٤) (٥٨ ق.م - ٢٥ م) مؤرخ وجغرافي وكتابه في الجغرافيا مشهور وموجود .

زاور مصر سنة ١٩ ق.م وكان يعرف عنها أكثر مما يعرف عن اليونان وإيطاليا .

(٥) Musil : Arabia Deserta, p. 498

(٦) (٢٣ - ٧٩ م) وهو بليني الكبير وقد وضع معلوماته الجغرافية في المجلدات ٣-٦

من كتابه الكبير Naturalis Historia

(٧) Musil : Arabia Deserta, p. 489

العرب ومعدنها»^(١)، لذلك نرى البحر يحدها عندهم من الغرب والجنوب والشرق ثم يكل هذا الحد من الشرق نهر الفرات الذى ينعطف بعد ذلك فى شمال سوريا ثم يتجه حتى يصل إلى خابج العقبة . فترى ابن حوقل يرسمها على النحو التالى :-

« والذى يحيط بها - ديار العرب - بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة فى البحر فيمتد على البحرين إلى عمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهى على سواحل اليمن إلى جدة ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهى إلى أيلة ، ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر . وهذا المكان من البحر لسان ويعرف ببحر القلزم ، والقلزم مدينة على طرفه وسيفه ، فإذا استمر على تاران وجبلان وصل إلى القلزم ، وينقطع حينئذ وهو شرقى ديار العرب وجنوبها وشيء من غربها ثم يمتد عليها من أيلة على مدائن قوم لوط والبحيرة الميتة التى تعرف ببخيرة زغر إلى الشراة والبقاء وهى من عمل فلسطين وأذرعات وحوران والبثنية وغوطة دمشق ونواحي بعلبك وهى من عمل دمشق وتدمر وسلمية وهما من عمل حمص ثم إلى الحنصرة وبالس وهما من عمل قدسرين ، وقد انتهى الحد إلى الفرات . ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهى إلى الرقة وقرقيسيا والرجبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والأنبار إلى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات إلى البطائح ، ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة إلى حد واسط فتصاقب ما جاور دجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ثم تستمد وتستمر على سواد البصرة وبطائحها حتى ينتهى إلى عبادان .

« وهذا الذى يحيط بديار العرب ، فما كان من عبادان إلى أيلة فإنه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب وهو الحد الشرقى والجنوبى وبعض الغربى وما بقى من حد الغربى من أيلة إلى بالس فمن الشام . وما كان من بالس إلى

(١) البكرى : معجم ما استعجم (القاهرة ١٩٤٥ م) ص ٦

عبادان فهو الحد الشمالى . ومن بالس إلى أن تجاوز الأنبار فمن حد الجزيرة .
ومن الأنبار إلى عبادان فمن حد العراق . (١)

والنص الذى يورده الإصطخرى فى تحديد جزيرة العرب لا يختلف عن نص ابن
حوقل إلا فى كلمة واحدة إذ تقرأ «البحيرة الميتة» فى كتابه «البحيرة المنتنة» (٢) .
وهذان النصان يضعان أمامنا عدة حقائق : -

- ١ - أن بحر فارس كان يقصده أحيانا الخليج الفارسى وبحر اليمن ثم البحر الأحمر .
 - ٢ - أن هذا التحديد لا يذكر بحر الروم حتى تتم صورة الجزيرة من حدها الغربى .
 - ٣ - أن هذا الحد يخرج شبه جزيرة سيناء ، وأرض الجزيرة من حدود ديار
العرب ، «ويتصل بأرض العرب بناحية أيلة برية تعرف بتيه بنى إسرائيل وهى برية ،
وإن كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم ، وإنما كانت برية بين أرض العالقة
واليونانية وأرض القبط ، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى ، فلذلك لا تدخل فى
ديارهم . وقد سكن طوائف من العرب من ربيعه ومضر الجزيرة حتى صارت لهم بها
ديار ومراع . ولم أر أحدا عزا الجزيرة إلى ديار العرب لأن نزولهم بها وهى ديار
لفارس والروم فى أضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة فنزلوا على خفارة
فارس والروم ، حتى إن بعضهم تنصر ودان بدين النصرانية مع الروم مثل
تغاب من ربيعة بأرض الجزيرة وغسكان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام » . (٣)
- ويبدو من ذلك أنهم كانوا يخرجون من حدود ديار العرب هذه المناطق العرية
التي كانت تنشأ على أطراف البادية خاضعة لفارس أو الروم ، لذلك كان بعضهم يؤثر فى
رسمه لهذا الحد استعمال عبارة «أطراش الشام» . قال الأصمعى « جزيرة العرب مالم

(١) ابن حوقل : صورة الأرض (ليدن ١٩٣٨ م) ١ / ١٨

(٢) الإصطخرى : مسالك الممالك (ليدن ١٩٢٧ م) ١٢ - ١٤

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ١ / ١٩

يلغنه ملك فارس من أقصى عدن أبين إلى أطراف الشام ، هذا في الطول ، والعرض من جدة إلى ريف العراق ^(١) .

أما المقدسى فإنه يصور شبه الجزيرة على أنها لا تنتظم البلاد الشامية ، « وهذه صورة جزيرة العرب وقد جعلناه أربع كور جليلة وأربع نواح تقيسة . والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر . والنواحي الأحقاف والأشجار واليامة وقرح . ^(٢) » ثم يقدم لنا هذه الصورة الطريفة لشبه الجزيرة ليؤكد خروج الشام والعراق من حدودها ، « واعلم أن مثل هذه الجزيرة كمثل صفة فيها أدنى طول قد وضع فيها سرير من صدرها إلى بابها بينه وبين الحائطين من يمين وشمال فضاء . والسرير قطعتان . فالسرير الداخل هو نجد اليمن وهي جبال تقع فيها صنعاء وصعدة وجرش ونجران وبلد قحطان . وعدن في الصدر في آخر الجبل لأن ثالث الحيطان هو بحر الصين . وهذه السروات عامرة بها الأغاب والمزارع . والفضاء الذي عن يساره يسمى نجد اليمن تقع فيه الأحقاف ومهرة إلى تخوم اليامة . ومنهم من يدخلها وعمان في هذه الحطة . وهذا السرير مع الفضائين هي اليمن . والسرير للأخر إلى باب الصفة يسمى الحرة ، من تخوم اليمن إلى قرح جبال كلها يابسة لا ينبت إلا مواقع الواشى والعضون والثمام . يقع فيه الحرم والعمق ومعدن النقرة وتلك المجادب . والفضاء الأيمن يسمى الحجاب . وطيبة الحجاز قليلة يقع فيها ينبع والروة والعميص . والسواحل عمارات ونخيل . والفضاء الأيسر يسمى نجد الحجاز يقع فيه اليامة وفيد وما على الجادة من المنازل . ويسمى هذا السرير مع فضائيه الحجاز ويدخل هجر فيه . ويقابل باب الصفة البادية وهذا شيء رأيته وقسمته والله أعلم ^(٣) .

(١) البكري : معجم ما استعجم ص ٦

(٢) المقدس : أحسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦ م) ص ٦٨

(٣) المقدس : أحسن التقاسيم ٩٤ — ٩٥

ولكن إذا كان هؤلاء يخرجون العراق والشام وشبه جزيرة سيناء من حدود شبه الجزيرة ، فإن آخرين يصورونها محاطة بالماء من جميع جهاتها فيدخلون العراق والشام فيها بل يذهبون أبعد من ذلك إلى أن يجعلوا النيل من حدها الغربي . بقول الهمداني :

« وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرافها وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر ، وذلك أن الفرات القافل من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين ثم انحط على عبادان وأخذ البحر من ذلك للوضع مغرباً مطيفا ببلاد العرب منعطفاً عليها فأتى منها على سفوان وكاظمة ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين وقطر وعمان والشحر ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين وعدن ودهلك واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعرين وعك ومضى إلى جدة ساحل مكة ، والجار ساحل المدينة وساحل الطور وخايج أيلة وساحل راية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها ، وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها وأتى على صور ساحل الأردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ إلى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منعطفاً على أطراف قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق (١) . »

وهذا النص في ضمه النيل وماتبه من بلاد النوبة وصحراء مصر الشرقية داخل الحدود الغربية لشبه الجزيرة يوافق ما قرره بايني كما ذكرناه آنفاً . وأعله قد كانت هناك صلات بين شبه الجزيرة وبين هذه الناحية الغربية من البحر الأحمر اكنتنا لانعرف إذا ما كانت هذه الصلات صلات تجارة أم كانت صلات هجرة فاستقرار ، فالنصوص

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب (لندن ١٨٨٤ م) ص ٤٧

التي نعرفها لا تدلنا على شيء من ذلك ، وأعل ذلك راجع كما ذكرنا إلى تأثير المعنى اللغوي للفظ الجزيرة فأرادوا أن يكملوا الصورة من ناحيتها الغربية بإدخال النيل .

ومع هذه الاختلافات في رسم حدود شبه الجزيرة فإن الصورة التي تكاد تكون قريبة إلينا هي تلك التي يرسمها القلقشندي « اعلم أن مساكن العرب في ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة في أوساط المعمور وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه ... وهذه الجزيرة متسقة الأرجاء ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حلى وزيد وما داناها ، ومن جهة الجنوب بحر الهند للتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها ، ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق ، ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء (١) » .

هذا عن حدودها ، أما أقسامها الداخلية فنحن نحاول أن تبينها حتى نعرف أي العرب كان يسكن الحضر وأيهم كان يسكن البادية مما له أثره في حياتهم اللغوية . فالهمدانان يقسم شبه الجزيرة خمسة أقسام ، تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن (٢) . ويتخذ البكرى من الحجاز أساساً في هذا التقسيم ، فهو الذي يفصل بين تهامة والعروض وبين اليمن ونجد ، « وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد

(١) القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، نسخة مصورة بـهدار المكتب رقم ١١٥٥٠ — ح ص ١٠ — ١١ وانظر له أيضاً نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ط بغداد) ص ١٤

(٢) الهمدان . صفة حررة العرب ص ٤٧ — ٤٨

وذلك أنه أقبل من قفرة اليمن - وهو أعظم حمال العرب - حتى بلغ أطراف وادى الشام ، فسمته العرب حجازاً . وقطعته الأودية حتى انتهى إلى ناحية نخلة ، فنه حطى ويسوم - وهما جبلان بنخلة - ثم طلعت الجبال منه فكان منه الأبيض - جبل العرج - وقدس وآرة - والأشعر والأجرد وهما جبلان للجهينة . وطول السراة ما بين ذات عرق إلى حد نجران اليمن - وبيت المقدس عرب طولها - وعرضها ما بين البحر إلى الشرف . فصار ما خلف هذا الجبل في غرية إلى أسياف البحر من بلاد الأشعرين وعك وكنانة - إلى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبا وغار من أرضها ، الغور غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله . وغور الشام لا يدخل في ذلك وصار ما دون ذلك في شرقيه من الصحارى إلى أطراف العراق والسماء وما يليها نجداً ، ونجد تجمع ذلك كله . وأعراض نجد هي ببشة ، وترج وتبالة والمرافة ورنية . وصار الجبل نفسه سراته - وهو الحجاز - وما احتجز في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة . ومن بلاد مذحج تثليث - وما دونها إلى ناحية فيد - فذلك كله حجاز . وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض - وفيها نجد وغور ، لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها - والعروض يجمع ذلك كله . وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان وما بينها اليمن - وفيها التهام والنجد - واليمن يجمع ذلك كله (١) .

ولا يهمننا بعد ذلك هذه الاختلافات الكثيرة بين الجغرافيين العرب في أساس التقسيم مما يرجع إليه في مراجعته (٢) ، لكن الذى يهمننا - كما قلنا - هو أن نتبين طبيعة هذه الأقسام من تحضر أو تبد .

(١) البكرى : معجم ما استعجم ١ / ٨ - ٩

(٢) انظر في هذا مقال الدكتور عبد المحسن الحسبى . الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب . مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، المجلدان السادس والسادس ٥٢ - ١٩٥٣ من ١١

١ — أما الحجاز فإنه عندهم كذلك لأنه «محجز» بين تهامة والعروض وبين اليمن ونجد وبين القور والشام ^(١) ، أو لأنه «احتجز بالجلال» ^(٢) ، أو «لكثرة الحرار فيه واحتجاز أهلها من العدو» ^(٣) وبعضهم يقسمه ثلاثة أقسام ، الحجاز الأسود وهو سراة ثقيف أو السراة الثالثة ^(٤) وهي تستمر حتى الطائف حيث يبدأ الحجاز الثاني ، حجاز المدينة الذي ينتهى عند المرج ^(٥) ، ثم يبدأ القسم الثالث الذي يعرف بالجلال ويتجه شمالا حتى إقليم الجنب وتبوك ^(٦) ، وفي الحجاز مناطق استقرار كثيرة ، فقصبتها مكة ومن مدنه يثرب وينبع وقرح وخير والمروة والحرراء وجدة والطائف والسقيا والمونيد والجحفة والعشيرة ^(٧) . وفيه واحات أشهرها خير وفدك والسوارقية ^(٨) وتتخلله أودية عديدة منها وادي إضم ووادي نخال ^(٩) ووادي بدا ^(١٠) ووادي القرى ^(١١) .

فالحجاز إذن يكفل لساكنيه الاستقرار والتحضر حيث توجد مدينة تجارية دينية مثل مكة أو مناطق زراعية مثل يثرب وغيرها من هذه الأودية .

٢ — وأما اليمن فيوضح الكافي سبب تسميتها بقوله : « سميت اليمن لأن يقطن بن عابر بن شالح بن أرغشذ بن سام بن نوح أقبل بعد خروج ثلاثة عشر

(١) البكري : معجم ما استعجم ١ / ١ - ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١١ .

(٣) الهمداني صفة جزيرة العرب ٢٠٥ .

(٤) ابن الفقيه : مختصر البلدان (ليدن ١٨٨٥ م) ٣١ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٧ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان (السعادة ١٩٠٦ م) ٣ / ٢١٨ .

(٧) المقدس : أحسن التقاسيم ص ٦٩ .

(٨) البكري : معجم ١ / ١٥ .

(٩) ياقوت : معجم البلدان ٨ / ٢٧٢ .

(١٠) المصدر نفسه ١ / ٢٨١ .

(١١) المصدر نفسه ٧ / ٧٣ .

ذكر أن من ولد أبيه أنزل موضع اليمن فقالت العرب تيمن بنو يقطن فسميت اليمن ،
ويقال بل سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة ^(١) » .

وكانت اليمن عند الجغرافيين العرب تحتل منطقة واسعة حتى تكون نحو الثلاثين
من ديار العرب « فما كان من حد السرين حتى ينتهي إلى ناحية يللم ثم على ظهر
الطائف ممتداً على نجد اليمن إلى بحر فارس مشرقاً فمن اليمن ويكون ذلك نحو الثلاثين
من ديار العرب ^(٢) » . ويرسم البكري حدّها بأنه « مما يلي المشرق رمل بنو سعد
الذي يقال له يبرين وهو منقاد من اليمامة حتى يشرع في البحر بمحضرموت ، ومما يلي
الغرب بحر جدة إلى عدن أبين ، وحدّها الثالث طلحة الملك إلى شرون وشرون من
عمل مكة ، وحدّها الرابع الجوف ومأرب وهما مدينتان ^(٣) » .

ويظهر من هذه النصوص أن اليمن كانت تنقسم المنطقة الجنوبية كلها فيما بين تهامة
حتى العروض . ويبدو أن هذا الرأي قد تكون عندهم من الوضع السياسي الذي
كانت عليه العربية الجنوبية عند ظهور النبوة حيث كان الفرس يسيطرون على الأرض
الجنوبية من شبه الجزيرة ^(٤) .

واليمن من أخصب بقاع شبه الجزيرة لجودة أرضها وكثرة مياهها ، وهي من
هنا ليست منطقة بدواة بل مقر تحضر واستقرار ، فقد « سميت اليمن الخضراء
لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها ^(٥) » . ويدلنا على ذلك كثرة مدنها التي
يعددها الهمداني من نحو صنعاء وصعدة وخيوان وريدة وذمار وخبأ وعدن ولحج

(١) ابن الفقيه : مختصر البلدان ٣٣

(٢) الاصطخرى : مسالك المالك ١٢

(٣) البكري : معجم ١٢/١

(٤) الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد ١٩٥٠ م) ١٣٥/١

(٥) الهمداني : صفة ٥١

والحبيب وأم جحدم^(١) .

٣ — وأما تهامة فتطلق على الساحل المحصور بين البحر وجبال السراة أو الحجاز ، ولانخفاض أرضها قيل لها « العور » و « السافلة »^(٢) ويبدو أن حدودها كانت تمتد من بحر القانم على طول المنطقة الساحلية الموازية لامتداد البحر الأحمر حتى جنوب اليمن « وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين العور وهو هابط ، وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غريبه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعرين وعك وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها العور غور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله^(٣) » . غير أن الأغلب أن يطلق لفظ تهامة على الجزء الواقع في حدود اليمن ، فيقال له تهامة اليمن ، ويغلب إطلاق لفظ العور على الجزء الشمالي الواقع شمال الجحفة ويطلق لفظ العور أو تهامة على الجزء الأوسط الواقع في حيز الحرم حتى الجحفة . وطبيعة أرضها وموقعها وخاصة في الجنوب تتيح لساكنيها الاستقرار حيث الحصوبة والماء ، كما أن وقوعها على ساحل البحر جعل أهلها يتجهون إلى الملاحة والنقل البحري على النحو الذي نعرفه عن الأزدي النازلين هناك .

يقول فيهم الشاعر :

إذا أزدية ولدت غلاماً فبشرها بملاح مجيد
وهذه المهارة في الملاحة أو النزوع إليها ظل يذكر عنهم بعد الإسلام حتى يقول لهم قتية بن مسلم الباهلي القائد من خطبة غاضية : يامعشر الأزد تبدلتم بقلوس السفن - أي جبالها الضخمة - أعنة الحيل ! إن هذه بدعة في الإسلام .

(١) المصدر نفسه : ٥٣ - ٦٧

(٢) البلدان : ٣١١/٦ - ٤٣٧/٢

(٣) الهمداني : صفة ٤٨

٤ — وأما العروض فهي أرض العالية التي تقع إلى الجنوب من نجد وإلى الشرق من الحجاز، وهي تمتد شرقا حتى اليمامة والبحرين وجنوبا حتى اليمن . وابن السكلي يرسم حدودها في نصه « وأرض العالية والبحرين إلى عمان من العروض (١) » . ويقول الهمداني « وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض ، وفيها نجد وغور أقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسائل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله » (٢) . ويذهب إلى ذلك أيضا أبو إسحق الحرابي فيقول : « وأخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب إلا أنه لم يخرجهم من نجران ولا اليمامة والبحرين فسميت العروض (٣) . »

فمنطقة العروض إذن منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج الفارسي ، ومعظم الأرضين فيها صحراء خاصة كلما ابتعدنا عن الساحل ، لذلك كان أهلها بداءة يرتحلون سعيًا وراء الماء والرزق .

٥ — وأما نجد فإنهم يقسمونها إلى عليا وسفلى « ويقال في نجد العليا النجد وفي السفلى أرض نجد (٤) » ، ويحددها الإصطخرى بقوله « وما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى تمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد (٥) » . والنجد أو نجد العليا هي أقرب النجدين إلى الحجاز والسراة تمتد من الشمال إلى الجنوب في شرقي سلسلة الحرات الوسطى « وقال أبو منصور : حرة ليلي وحرة شوران وحرة بنى سليم في عالية نجد (٦) . » وفي نجد مناطق تتوافر فيها المياه وبخاصة في

(١) البكري : معجم ١٠/١

(٢) الهمداني : صفة ٤٨

(٣) البكري : معجم ١٢/١

(٤) الهمداني : صفة ٢٧٧

(٥) الإصطخرى : مسالك الممالك ١٤

(٦) ياقوت : معجم البلدان (الحرار)

الشمال في منطقة وادى الرمة ومنطقة الحراز . لكن معظم المنطقة صحراء وأهلها بدو رحل .

ومن هذا العرض للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة من النصوص القديمة نستطيع أن نتصور مناطق التحضر والاستقرار على أنها توجد في اليمن وفي بعض تهامة والحجاز وأن مناطق التبدي توجد في نجد والعروض . وآلآن علينا أن نعرف منازل القبائل العربية من شبه الجزيرة لنعرف أيها كان يعيش حياة استقرار وأيها كان يعيش حياة تبد وترحال .

الفصل الثاني

القبائل العربية

ليس غريباً أن يهتم العرب - وهم مجتمع قبلي - هذا الاهتمام بالأنساب ، وليس غريباً أيضاً أن تكثر هذه الأنساب وتختلط في كتبهم اختلاطاً كبيراً ، ولكن الغريب حقاً أن تقبل هذا الذي قلوه في أصلهم وتفرعهم على أنه حقيقة واقعة .

فإذا كانوا يتفقون أو يكادون على أن العرب بائدة وعاربة ومستعربة فإننا لا نعرف عن هذه البائدة شيئاً إلا ما يقصه علينا القرآن الكريم ، ثم إنهم يرون أن العرب الباقية تكون تارة من قحطان ومعد^(١) ، وتارة أخرى من قحطان وعدنان^(٢) .

وإذا كان قحطان أبا اليمن كلها^(٣) فإنه عندهم مرة قحطان بن عابر بن شالح ابن أرفخشذ بن سام بن نوح^(٤) ، وهو في مرة أخرى قحطان بن الهميسع بن تيمن ابن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم^(٥) ، وقضاعة تنسب حيناً إلى معد بن عدنان^(٦) وتنسب حيناً آخر إلى القحطانيين^(٧) .

(١) المسمودي : مروج الذهب (القاهرة ١٢٨٣ هـ) ٢٣٢/١

(٢) المبرد : نسب عدنان وقحطان (القاهرة ١٩٣٦ م)

(٣) ابن خلدون : كتاب المبر ٢٥/١ - ٢٧

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية (القاهرة ١٩٣٦ م) ٥/١

(٥) المسمودي مروج الذهب ٢٧٦/١ - ٢٧٧

(٦) المسمودي التنبيه والإشراف (لندن ١٨٩٣ م) ٨٠

(٧) ابن هشام : السيرة ٧/١

(٨) ابن حزم : جهرة أنساب العرب (الممارف ١٩٤٨ م) ٨

ونحن لا نستطيع أيضاً أن نأخذ بهذا التقسيم على أنه فصل بين القحطانيين والعدنانيين ، لأن هؤلاء القحطانيين - فيما يقولون - لم يستقروا في اليمن حيث كانت منازلهم الأولى ، بل هاجر كثير منهم بعد سيل العرم إلى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة ولم يكن العدنانيون مستقرين في الحجاز بل هاجر منهم من هاجر إلى اليمن « وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز فأقاموا به ، وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن فأقاموا به وبقى من بقى منهم بالحجاز واليمن على ذلك ^(١) » . وكانت النتيجة أن بعض الذين هاجروا من هنا أخذوا ينتسبون إلى من كان هناك فهم مثلاً يذكرون أن عدنان قد ولد رجلين ، معد بن عدنان وعك بن عدنان « فصارت عك في اليمن وذلك أن عكا تزوج في الأشعرين فصارت اللغة واحدة والدار واحد ^(٢) » .

وينقل الهمداني شعرا لبعض آل أسعد يذكر فيه منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب يقول فيه ^(٣) :

وقد فارقت منا ملوك بلادها	فصاروا بأرض ذات مبدى ومحضر
وقد نزلت منا خراقة منزلا	كريما لدى البيت العتيق المستر
وفي يثرب مناقبائل إن دعوا	أتوا سربا من دارعين وحسر
وغسان حى عزهم فى سيوفهم	كرام الساعى قد حووا أرض قيصر
وكلب لها ما بين رملة عاجل	إلى الحرة الرجلاء من أرض تدمر
ولحم فكانت بالعراق ملوكها	وقد طحرت عدنان فى كل مطحر
وحلت جذام حيث حلت وشاركت	هنالك لحما فى العلا والتجبر

(١) الفلقشندي : قلائد الجمان ١٢

(٢) ابن هشام : السيرة ٨/١

(٣) الهمداني : ص ٢٠٦

فإذا كانت هذه القبائل قد هاجرت - بعد أن خرج عمرو بن عامر من اليمن حيث أدرك قرب انفجار سد مأرب (١) - إلى حيث هاجرت فيما لانعرف من الوقت والظروف على وجه الحقيقة، فهل نستطيع أن تقبل تقسيم العرب إلى قحطانيين وعدنانيين على أنه تمييز قاطع بينهما؟

نحن لا نستطيع أن نقبله، بل اعلنا توقف في هذه الأنساب على ما رأيت عندهم من اختلاط فيها. لكن النهج العلمي - مع ذلك - يتطلب التقسيم والتصنيف، وعلينا إذن أن تقبل تقسيمهم أو نخلق لنا تقسيما جديدا، لكننا لانستطيع أن نقتراح الآن هذا التقسيم الجديد لأن التاريخ القديم لهذه المنطقة غامض مختلط ونحسب أن الدراسات الحديثة لم تصل حتى الآن إلى رأى قاطع بشأن القبائل العربية وبشأن أنسابها، ولعل المستقبل يكشف عن شيء يوضح هذا التاريخ إذا وجدت شبه الجزيرة اهتماما من البحث والتنقيب.

نحن إذن مضطرون إلى الأخذ بتقسيمهم العرب إلى قحطانيين وعدنانيين، ولكن ليس على أن هؤلاء عدنانيون وأولئك قحطانيون، بل على أنها أسماء قبائل مها تكن هذه الأسماء، وكل الذى يهنا لأن من هذه الأسماء أن نعرف منازلها من شبه الجزيرة حتى نستطيع أن نحدد للناطق التى كانت تنتشر فيها هذه اللهجة أو تلك.

ولسوف نستعمل هنا مصطلحاتهم في تصنيف الأنساب على النحو التالى (٢).

١ - الشعب / وهو النسب الأبعد كعدنان.

٢ - القبيلة / وهى ما انقسم فيها الشعب كربيعة ومضر.

(١) - ابن هشام / السيرة ١٤/١

(٢) القلقشندى / نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ط بغداد) ص ١٢

- ٣ - العارة / وهى ما انقسم فيها أقسام القبيلة كقريش وكنانة .
- ٤ - البطن / وهو ما انقسم فيه أنساب العارة كبنى عبد مناف وبنى مخزوم .
- ٥ - الفخذ / وهو ما انقسم فيه أنساب البطن كبنى هاشم وبنى أمية .
- ٦ - الفصيلة / وهى ما انقسم فيها أنساب الفخذ كبنى العباس .

أولا - القحطانيون

تذكر كتب الأنساب أن القحطانيين قد اشتهر منهم أربع قبائل بقيت أعقابهم ومن نسلهم جميع قبائل اليمن وهم حمير وكنهان وأشعر وعاملة، وبحسبهم صارت أصول قبائل اليمن، ومنهم تفرعت العائر والبطون والأنفاذ والفصائل (١) .

القبيلة الأولى / حمير .

ومنازلهم الأولى « بأرض سبأ من اليمن (٢) . » وقد تفرعت منها بطون :
 ١ - شيان : (٣) ويحدد الهمداني مساكنهم بقوله « وإن تيامنت من الموصل تريد بغداد لقيتك الحديثة وجبل بارما يسمى اليوم حميرين ويقال إنه جبل لا يخلو يوما من قتل ، ثم السن والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البرى وهو أول حدود ديار بكر وهو لبني شيان وذويها ولا يخالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراذ . (٤) »

ب - قضاة (٥) : ويحدد الهمداني منازلهم بقوله « وديار تغلب الجزيرة بين

(١) القلقشندي / قلائد الجمان ٢١

(٢) ابن حوقل / صورة الأرض ٣٩/١

(٣) القلقشندي / قلائد ٢٤

(٤) الهمداني / صفة ١٣٣

(٥) المبرد / نسب عدنان قحطان ٢٣

بلد بكر وبلد قضاة (١) . « ومن عمائرها :

١ - جهينة (٢) : يقول الهمداني في مساكن العرب فيما جاوز المدينة « العيص فيها جهينة ومزنة ، وينفرد دار جهينة من حدود رضوى والأشعر إلى واد ما بين نجد والبحر (٣) » . ويقول ابن حوقل « وإذا جزته - أى معدن النقرة - عن يمين المدينة فأنت في جهينة (٤) » . ويوضح القلقشندي هذه المنازل بقوله « وكانت منازلهم بأطراف الحجاز من جهة الشمال حيث بمرجدة (٥) » .

٢ - بلى : (٦) وديارهم « أمج وگران وها واديان يأخذان من حرة بنى سليم وينتهيان في البحر وهجشان والجزل والسقيا والرجبة (٧) » . وهذه الأماكن هي « من منقطع دار جهينة إلى حد دار جذام على شاطئ البحر (٨) » .

٣ - كلب : (٩) ويحدد الهمداني مساكنهم بقوله « وأما كلب فمساكنها السماوة ولا يخاطط بطونها في السماوة أحد (١٠) » . ومن قراها ، تدمر وسلمية والعاصمية وحمص (١١) ، ويقول القلقشندي « وكانوا ينزلون في الجاهلية دومة الجندل وتبوك

(١) الهمداني : صفة ١٧٠

(٢) البرد : نسب عدنان وقحطان ٢٤

(٣) الهمداني : صفة ١٣٠

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ١٤/١

(٥) القلقشندي : قلائد الجمان ٢٤

(٦) البرد : نسب عدنان وقحطان ٢٤

(٧) الهمداني : صفة ١٧٠

(٨) الهمداني : صفة ١٣٠

(٩) ابن هشام : البيرة ٨١/١

(١٠) الهمداني : صفة ١٢٩

(١١) الهمداني : صفة ١٣٢

من أطراف الشام ^(١) .

٤ — بهراء : ^(٢) وكانت منازلهم شمال منازل بلى من ينبع إلى عقبة أيلة ^(٣)

٥ — تنوخ ^(٤) ويحدد الهمداني أماكنهم بقوله « ثم من أيسرهم — أى بهراء — مما يصل إلى البحر تنوخ وهى ديار الفضيض سادة تنوخ ومعكودهم منها اللاذقية على شاطئ البحر ثم تقع فى نصارى وغير ذلك إلى حد الفرات إلى بالس ^(٥) . »

٦ — مهرة : ^(٦) وكانوا ينزلون على ساحل بحر الهند شرقى حضرموت . ويقول الإصطخرى « وأما بلاد مهرة فإن قصبتها تسمى الشحر وهى بلاد قفرة ^(٧) » .
ويذكر القلقشندي أن بقاياهم موجودون بمشاريق اليمن ^(٨) .

٧ — جرم : ^(٩) ويبدو أنها لم تكن مستقرة فى مكان واحد إذ يذكر

الهمداني أن ديارها « متفرقة منها باليامة ومنها بالبصرة ومنها بالعقيق ومنها بحضرموت وكان لها دار بصعدة فى يشور ولها دار ما بين صنعاء ومأرب ^(١٠) . »

(١) القلقشندي : قلائد الجمان ٢٥

(٢) المبرد نسب عدنان وقحطان ٢٤

(٣) القلقشندي : قلائد ٢٧

(٤) المبرد : ٢٤

(٥) الهمداني : ١٣٢

(٦) المبرد : ٢٤

(٧) الإصطخرى : مسالك الممالك ٣٥

(٨) القلقشندي : قلائد ٢٨

(٩) المبرد : ٢٤

(١٠) الهمداني : صفة ١٦٣

القبيلة الثانية كهلان (١) .

وقد تفرعت منها عمائر أهمها :

- ١ -- جذام: (٢) وهى من القبائل اليمنية التى هاجرت إلى الشمال ، إذ يذكرها الهمداني فيمن تشاءم من العرب (٣) ، « وأما جذام فهى بين مدين إلى تبوك (٤) » .
- ٢ -- لحم: (٥) وكان للحميين ملك بالحيرة من العراق فى المناذرة ملوك الحيرة عن الأكاسرة وهم ذو عمرو بن عدى بن نصر اللخمى كانت دولتهم من أعظم دول العرب وأول من ملك منهم عمرو بن عدى وآخرهم المنذر بن النعمان بن المنذر فبقى حتى انتزعها منه خالد ابن الوليد فى الإسلام (٦) .

- ٣ -- كندة: (٧) يذكر الإصطخرى أن ديارها « مفترشة فى أعراض اليمن (٨) » ويمجدها الهمداني بقوله « وفى حضرموت سكنت كندة بعد أن أجلت عن البحرين والمشقر وغمر ذى كندة فى الجاهلية بعد قتل ابن الجون وكان الذى نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت نيفا وثلاثين ألفا (٩) » وبلدها « مرتفع كأنه سراة وتصب أوديته فى حضرموت (١٠) » .

(١) القلشندي : قلائد ٢٦

(٢) البرد : ٢٠

(٣) الهمداني : ١٢٩

(٤) الهمداني : ١٢٩

(٥) البرد : ٢٠

(٦) القلشندي : قلائد ٣٧

(٧) القلشندي : قلائد ٣٨

(٨) الاصطخرى : مسالك الممالك ٢٦

(٩) الهمداني : ٨٨

(١٠) الهمداني : ٨٦

٤ — طيء : ومنازلهم في شمال الحجاز حيث يوجد جبالها المشهوران أجأ وسلمى ^(١) . ويحدها يعقوبى بقوله « والاعلىة وهى مدينة عليها سور وزرور والأجفر منازل طيء ، ثم مدينة فيد وهى المدينة التى ينزلها عمال طريق مكة وأهلها طيء وهى فى سفح جبلهم المعروف بسلمى وتوز وهى منازل طيء أيضا ^(٢) . » ويذكر ابن حوقل أنهم بدو رعاة لقلة مياههم وزروعهم « وجبال طيء منها — أى الجحفة — على مسيرة يومين وبها نخيل وزروع قليلة لطيء وبها ماء تافه ويسكنها بادية من طيء يتقلون عنها فى بعض السنة يتجمعون المراعى ^(٣) . »

٥ — مذحج : وهى من القبائل اليمنية التى ظلت مستقرة فى اليمن وهى تسكن سروا عرف بسرو مذحج ^(٤) ، ونستطيع أن نصل إلى تصور لموقع ديارها من قول الهمدانى « الجوف بين همدان ومذحج ، ومأرب بين سبأ ومذحج ^(٥) . » فهم كانوا يسكنون إذن فى المنطقة الواقعة شمال مأرب .

٦ — الأزد : وهى من القبائل التى لم تستقر فى اليمن بل تفرقت فى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة وهى ثلاثة أقسام ، أزرد شنوءة ، وأزرد السراة ، وأزرد عمان ^(٦) . وقد ذكرهم الهمدانى فى وصفه لأرض السراة « بطون الأزرد مما تلو غز إلى مكة منحدرأ الحاجر » ^(٧) . وذكرهم فى عمان « فأما مساكن عمان من الأزرد فيحمد وحدان ومالك والحارث وعتيك وجديد ^(٨) . »

(١) الهمدانى : ١٢٦

(٢) يعقوبى : البلدان (مع كتاب الأعلام النفسى لابن رسته ليدن ١٨٩١م) صفحة ٣١٢

(٣) ابن حوقل : ١ : ٢٣

(٤) الهمدانى : صفة ٩٢

(٥) الهمدانى : صفة ١٢٥

(٦) القلقشندى : قلائد ٤٩

(٧) الهمدانى : ١٢١

(٨) الهمدانى : صفة ٢١١

وعن أزد شنوءة يقول البكري « ومنازل أزد شنوءة السراة وهي أودية مستقبلة مطلع الشمس بتلث وتربة ويثشة (١) » .

ومن الأزد بطون مشهورة نذكر منها :

أ — الأوس والحزرج (٢) : وكانوا يسكنون المدينة على ما نعلم .

ب — غسان (٣) : قالوا « وإنما سموا غسانا لما اسمه غسان بين زييد وربع نزلوا عليه عند خروجهم من اليمن وشربوا منه فعرفوا به ، وكان لهم ملك بالشام قبل الإسلام بما يزيد عن أربعمائة سنة (٤) » . ويحدد الهمداني مواضعهم بالشام بأنها « صيداء وحارب وجلق وإيلياء (٥) » .

ج — خزاعة (٦) : وكانت تنزل مكة ونواحيها (٧) ومر الظهران (على مرحلة من مكة) (٨) . وكانوا حلفاء لقريش ، وأهل ذلك هو الذي جعل بعضهم ينسبهم إلى العدنانيين (٩) .

٧ — همدان : وهي من القبائل التي لم تهاجر من اليمن ، فديارها « مفترشة في أعراض اليمن (١٠) » . ويحددها الهمداني بقوله « أما بلد همدان فإنه آخذ لما بين

(١) البكري : معجم ما استعجم ١ : ١١

(٢) المبرد : ٢١

(٣) المبرد : ٢١

(٤) القلقشندي : قلائد ٥١

(٥) الهمداني : ١٧٩

(٦) المبرد : ٢٢

(٧) الهمداني : ٢١١

(٨) ابن هشام : السيرة ١ : ١٤ ، ١ : ٩٤

(٩) القلقشندي : قلائد ٥٤

(١٠) الاصطخرى : مسالك المالك ٢٦

الغائط وتهامة من نجد والسراة في شمال صنعاء (١) .

٨ - خولان : وهي أيضا مثل همدان لم تهاجر من اليمن وكانت منازلها - على ما يقول الهمداني - في صعدة (٢) .

٩ - أنمار : وقد ذكر كثيرون أنهم ليسوا يمانيين بل عدنانيون إذ « أنه لما تكاثر بنو إسماعيل عليه السلام فصارت رئاسة الحرم لمضر مضى أنمار بن زار بن معد بن عدنان إلى اليمن فأقام بالسروات وتناسل بنوه فعدوا في اليمانية (٣) . » ومنها بطون أشهرها :

أ - بجيلة (٤) : وهم بنو بجيلة بنت أنمار وبجيلة أمهم عرفوا بها ، وكانت بلادهم سروات اليمن والحجاز إلى تبالة (٥) . ويحدد البكري منازلهم بأنهم نزلوا الطائف مع ثقيف (٦) .

ب - خثعم (٧) : وكانوا يسكنون السراة على ما يذكر البكري إلى جوار مذحج (٨) . ويحدد الهمداني مواضعهم بقوله « بـلـد خثعم أعراض نجد بيشة وترج وتبالة (٩) » .

القبيلة الثالثة : الأشعر

والأشعريون من القبائل التي لم تهاجر من اليمن ، وكانت مساكنهم في غور

(١) الهمداني : ١٠٩

(٢) الهمداني : ٦٧

(٣) السعدي : مروج : ١ : ٢٣٤ والقلشندي : قلائد ٥٥

(٤) المبرد : ٢٣

(٥) القلقشندي : قلائد ٥٦

(٦) البكري : معجم ما استمع ١١ : ١

(٧) المبرد : ٢٣

(٨) البكري : ١١ : ١

(٩) الهمداني : ١١٩

تهامة^(١) ويمدد الهمدانى ديارهم - فى معرض حديثه عن تهامة اليمن - بقوله « بلد بنى مجيد وبلد الفرسان وهى على محجة عدن إلى زيد ، ثم ديار الأشعرين من حدود بنى مجيد بأرض الشقاق فإلى حيس فزيد نسبت إلى الوادى وهى الحصيب^(٢) » .

القبيلة الرابعة : عاملة :

وهى من القبائل اليمنية التى خرجت من اليمن ونزلت بالقرب من دمشق جبال هناك تعرف بجبال عاملة^(٣) . ويمدد الهمدانى موقع هذه الجبال « وجبال عاملة مشرف على عكا من قبل البحر يابها ويطل على الأردن والناجعة^(٤) » .

ثانيا - العدنانيون

والنسابون يذكرون أن عدنان هو شعب نسب العرب المستعربة الذى تفرعت منه قبائلها وعمائرهما وبطونها وأفخاذها وفصائلها ، ويذكرون أن « مواطن بنى عدنان مختصة بنجد وكلها بادية رحالة إلا قريشا بمكة ونجد ، قال السهيلي : ولا يشارك بنى عدنان من العرب فى أرض نجد أحد من قحطان إلا طيء من كهلان فيما بين الجبلين سلمى وأجأ ، قال ثم افترق بنو عدنان فى تهامة الحجاز ثم فى العراق والجزيرة يعنى الجزيرة الفراتية^(٥) » . والمشهور من قبائلهم خمس :

القبيلة الاولى : نزار : ومن بطونها :

مضر: ومنهم تفرعت أكثر القبائل العدنانية^(٦) ، ويمدد البكرى مساكنهم بقوله

(١) الهمدانى : ٤٨

(٢) الهمدانى : ١١٩

(٣) القلقشندى : قلائد ٥٧

(٤) الهمدانى : ١٣٢

(٥) القلقشندى : ٥٩

(٦) القلقشندى : قلائد ٦٠

« ومنازلهم مكة وأرض العرب يومئذ خاوية ليس بنجدها وتهامتها وحجازها وعروضها كبير أحد لإخرا ب تحتصر إياها وإجلأ أهلها إلا من اعتصم براءوس الجبال (١) » .

وأشهر أفخاذها قيس عيلان .

قيس عيلان : وأكثره البطون للتفرعة عنه جعل في مقابل اليمانية بأسرها إدراجا لسائر العدنانية فيقال قيس ويعن (٢) ، والمشهور من قيس فصائل أهمها :

١ — غطفان : (٣) وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلى طيء أجبأ وسلمى (٤) . ومن غطفان عبس وذيان (بين تيماء وحوران) (٥) ومن ذيان فزارة (عند حسمى في الشمال (٦)) .

٢ — هوازن : ويحدد الهمداني ديارها بأنها من تبالة إلى نخلة (٧) ، وفي موضع آخر يقول « سرة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوازن من عكاظ (٨) . وإلى هوازن ينتسب بنو كلاب (في جهات المدينة وفدك والحوالي (٩) . وإلى هوازن تنتسب أيضا عقيل وكانت تنزل الطائف (١١) وهى على مرحلتين من مكة (١٢) .

(١) البكرى : معجم ١٠ استعجم ٥/١

(٢) القلقشندي : قلائد ٦٠

(٣) المبرد : ١١

(٤) القلقشندي : ٦١

(٥) الهمداني ١٢٩

(٦) السابق : ١٢٩

(٧) السابق : ٢٦٢

(٨) السابق : ٧١

(٩) القلقشندي : نهاية الأرب ٣٢٩

(١٠) السابق : ٢٩٨

(١١) البكرى معجم ١ : ١١

(١٢) القلقشندي : نهاية ١٦٨

٣ — سليم : يحدد ابن حوقل أماكنهم بقوله « ثم إذا جزت المعدن عن يسار المدينة فأنت في بني سليم ^(١) » . ويوضحها القلقشندي بقوله « وهم أكثر قبائل قيس عدداً ، وكانت مساكنهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ، ومن منازلهم حرة سليم وحرة النار بين وادي القرى وتيماء » ^(٢) .

٤ — عدوان . « وأرضهم من السراة يصاع والسوار وبطن قوت والنيجار وبقران . ^(٣) » ويقول القلقشندي « وكانت منازلهم الطائف من نجد نزولها بعد إباد والعمالة ثم غلبهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ^(٤) » .

القبيلة الثانية : ربيعة

وديارهم بين اليمامة والبحرين ^(٥) ، ويذكر ابن هشام وابن الأثير قصة خروج ربيعة إلى الحيرة ^(٦) . ومن ربيعة :

أ — أسد : ويحدد الهمداني مساكنهم بقوله « فإذا خرجت من تيماء قصد الكوفة ثانياً فأنت في ديار يحتر من طيء إلى أن تقع في ديار بني أسد قبل الكوفة بخمس ^(٧) » . ويحدد البكري هذه المساكن بأنها المجلس والقنان وأبان الأبيض وأبان الأسود إلى الرقة ^(٨) . ومن أسد عنزة (وكانت ديارهم عين التمر من بركة العراق على ثلاث مراحل من الأنبار ^(٩)) .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ١ : ١٤

(٢) القلقشندي : قلائد الزمان ٦٧

(٣) الهمداني : ١٢٣

(٤) القلقشندي : ٦٩

(٥) السابق : ٦٩

(٦) ابن هشام : السيرة ٩ : ١ وابن الأثير . الكامل : القاهرة ١٣٠٢ : ١ : ١٨٥

(٧) الهمداني : ١٣١

(٨) البكري : معجم ما استعجم ١ : ١٠

(٩) القلقشندي : قلائد ٧٠

ب — وائل : وهى بطنان مشهوران .

- ١ — بكر بن وائل : قال الجرمي « وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة فأعراق سواد العراق فالأبلة فهيت (١) . »
٢ — تغلب : وديارها الجزيرة بين بلد بكر وبلد قضاة (٢) .

اليمامة الثانية : خندف . ومنها :

- ١ — هذيل : ويذكرها البكري بين القبائل التي كانت تسكن الحجاز (٣)
ويحدد ابن حوقل مساكنها بقوله « وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل (٤) . » ويقول القلقشندي « وديارهم بالسروات وسراهم متصلة ببجل غزوان المتصل بالطائف ولهم مياه وأماكن في جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة (٥) . »

- ٢ — تميم : ويقول عنهم ابن حزم إنهم « قاعدة من أكبر قواعد العرب (٦) . » ويذكر الهمداني أن منازلهم كانت في هذه المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة في اليمامة حتى جنوب العراق « ثم ترجع إلى البحرين فالأحساء منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم (٧) . . » وأدنى اليمامة لقصدها من العراق قرية يقال لها ثيبان بها ناس من بني سعد بن زيد مناة من

(١) الهمداني : ١٦٩

(٢) السابق : ١٧٠

(٣) البكري : معجم ١١٠١

(٤) ابن حوقل : ٣٢:١

(٥) القلقشندي : فلائد ٧٢

(٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ١٩٦

(٧) الهمداني : ١٣٧

تعيم (١) « ويذكر القلقشندي أن منازلهم كانت « بأرض نجد من هنالك على البصرة واليمامة وامتدت إلى العرى من أرض الكوفة (٢) . »

٣ — كنانة : وكانوا ينزلون تهامة بالقرب من مكة ، (٣) ويحدد الهمداني مساكنهم بأنها وادي أئمة وضنكان والحرة حرة كنانة وحلى وهو مخلاف وقصبتها الصحارية والسرير ساحل كنانة (٤) .

٤ — قريش : وكانت تنزل مكة وما حولها ، ومن مناطقها المراغة وتبالة (٥) . وهي قرية فيها التجار وكان فيها نخيل وغيل . وقريش على قسمين ، قريش البطاح وقريش الظواهر ؛ قريش البطاح ولد قصي بن كلاب وبنو كعب بن لؤى ، وقريش الظواهر من سواهم (٦) .

* * *

وبعد فلك محاولة لمعرفة القبائل العربية ومنازلها على وجه التقريب ، ولقد رأيت أن القحطانية والعدنانية لاتنفعا في تفسير الظواهر اللهجية ، لكن معرفتنا للبيئة الجغرافية لكل قبيلة يمكن أن تعيننا على فهم هذه الظواهر . ونظننا — بعد هذا التمهيد — نستطيع أن نتقل إلى دراسة اللججات التي كانت تتكلمها هذه القبائل .

(١) الهمداني : ١٦٢

(٢) القلقشندي : نهاية الأرب ١٦١

(٣) القلقشندي : قلائد ٧٢

(٤) الهمداني : ١٢٠

(٥) السابق : ١١٩

(٦) القلقشندي : نهاية ٣٢٢

البَابُ الثَّانِي

اللغة العربية ولهجاتها

المجلس الأعلى للثقافة

مركز البحوث والدراسات

البحوث والدراسات

البحوث والدراسات

الفصل الأول

الواقع اللغوي قبل الإسلام

إذ كنا نحاول في هذا البحث أن تقدم دراسة عن اللهجات العربية قبل الإسلام ، فمن الطبيعي أن تواجهنا مجموعة من الأسئلة لاسبيل إلى إجمالها ، لماذا تنشأ اللهجات؟ وما هي العوامل التي ساعدت على وجود اللهجات العربية؟ وما هي العربية المشتركة؟ أمن كل اللهجات العربية نشأت أم من لهجة واحدة؟

إن العلاقة التي بين اللغة واللهجة هي العلاقة التي بين العام والخاص ، فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، لكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات (١) .
وتنشأ اللهجات عادة لعدة أسباب :

١ - أسباب جغرافية :

فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة ، تختلف الطبيعة فيها من مكان لكان كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة ، فإن ذلك يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة . والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية .

(١) الدكتور أنيس اللهجات العربية (ط الرسالة) ص ١١

٢ - اسباب اجتماعية :

إن المجتمع الإنسانى بطبقاته المختلفة يؤثر فى وجود اللهجات ، فالطبقة الأرستقراطية مثلا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع ، ويلتحق بذلك أيضا ما نلاحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية ، إذ تنشأ لهجات تجارية وأخرى صناعية وثالثة زراعية وهكذا . وعن هذه الأسباب ينشأ ما يسميه فندريس بالعاميات الخاصة Les argots ، وهو يقرر أنه « يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة . والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذى لا يحد ، وأنها فى تير دائم تبعاً للظروف والأمكنة فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة (١) » .

٣ - احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور :

وهذا الاحتكاك أو الصراع اللغوى يعد من أهم الأسباب التى تؤدى إلى نشأة اللهجات (٢) ، بل إن فندريس يقرر أن « تطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمراً مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية أمة . بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها ، كثيرا ما يلعب دورا هاما فى التطور اللغوى (٣) » . وفى التاريخ شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوى ، فاللهجات العربية التى انتشرت فى البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه ، ولهجاتنا العامية الحالية فيها مظاهر كثيرة من آثار الاحتكاك اللغوى .

٤ - اسباب فردية :

من الحقائق المقررة أن اللغة إذا « كانت واحدة فهى متعددة بتعدد الأفراد الذين

(١) فندريس : اللغة (ترجمة الدواخلى والقصاص) القاهرة ١٩٥٠ م ص ٣١٥

(٢) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٢٠

(٣) فندريس : اللغة ٣٤٨

يتكلمونها، ومن السلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق (١) .
واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى، بل إن ساير يذهب إلى أن اللهجات تنشأ من «الليل العام إلى الاختلاف الفردي في الكلام» (٢) . ويمكن أن يلتحق بهذا أيضا ما يسمى «بخطأ الأطفال» و «القياس الخاطئ» ، فنحن نلاحظ مثلا أن بعض الأطفال يقول «أحمر وأخضر» في مؤنث «أحمر وأخضر» ، فإذا عاش هؤلاء الأطفال في معزل عن من يقوم لهم ألسنتهم/ كأن يكون آباؤهم مشغولين في الغزو أو في طلب الرزق، أصبحت هذه الأخطاء بعد فترة من الزمن عادات لهجية ، وأهل ما يمكن أن نضعه في هذا المجال ما روى من أن لهجة تميم في بناء اسم المفعول من الأجوف على مفعول فيقولون «مبيوع ومديون» قياسا على الفعل الصحيح .

واللهجات العربية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة قبل الإسلام لا تختلف أسباب وجودها عن هذه الأسباب العامة في نشأة اللهجات ، فالبيئة الجغرافية ممتدة واسعة على النحو الذي بيناه في التمهيد ، تختلف الطبيعة فيها فيتصل بعض بقاعها وينفصل بعضها الآخر ، ففيها التهامم والتجود والسابل والوديان، وفيها المناطق الصحراوية التي يهبط فيها البدو، وفيها مناطق الاستقرار والتحضر حيث يوجد شيء من زراعة أو نصيب من تجارة . وفي هذه الجزيرة حدثت هجرات بشرية حدثتنا عنها كتب التاريخ والأنساب، هاجر من هاجر من أهل اليمن إلى وسط شبه الجزيرة وشرقها وشمالها ، وهاجر من هاجر من أهل الحجاز إلى اليمن . وتجاورت لهجات مع لهجات ومع لغات أخرى ، فلهجات القبائل العربية التي كانت تنزل بادية الشام أو العراق مثلا كانت تتجاور لغات كالأرامية والعبرية ، والاحتكاك معها أدى إلى ظواهر لهجية سوف نتناولها بالدرس فيما بعد .

(١) فتدريس : اللغة ٢٩٥

The Ency. of The Social sciences. (Dialect)

(٢)

ولكن ما هي هذه العربية ، وما هي هذه اللهجات التي كانت تعيش معها قبل الإسلام ؟ . . . ليقبل نسب الجمانية إن أول من تكلم بها يعرب بن قحطان ، ولتذهب النزارية إلى أن أسماعيل هو أول من نطق بها (١) ، فإن ذلك لا يعنينا في شيء . ذلك أننا لا نملك عن تاريخ هذه اللغة نصوصاً توقفنا على طفولتها وتطور حياتها الأولى ، بل لعلنا نظن أن هذا الماضي القديم للغة العربية قد أصبح في ذمة التاريخ ولا سبيل لنا الآن إلى أن نسترد منه شيئاً ذا بال .

أما الذي يعنينا فهو تلك اللغة التي تتمثل لنا واضحة المعالم في هذه النصوص الكثيرة التي تتنظم فيما تتنظم شعراً تعارفوا على تسميته بالشعر الجاهلي ، وأرخواله بقرن ونصف قبل البعثة المحمدية ، وتتظم أيضاً شراً يتمثل في خطب وأمثال . . . وهي تلك اللغة التي تصورها القراءات القرآنية أصدق تصوير . نحن إذن لن نوغل في التاريخ أبعد من هذه الفترة التي تحددها النصوص الجاهلية .

وهذه اللغة فيما نعلم وفيما تؤكده طبيعة الأشياء لم تكن لغة متوحدة توحداً كاملاً ، بل كانت لها لهجات كثيرة تختلف فيما بينها اختلافاً يكبر أو يصغر حسبما يكون بينها من تقارب أو تباعد . لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها فيما يعين لهم من فن أو من جد القول .

فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تكونت هذه اللغة العامة ؟ . . . أمن كل هذه اللهجات المختلفة أم من لهجة واحدة تهيأ لها من أسباب القوة والسلطان ما حقق لها السيادة على ما عداها من لهجات ؟

يكاد القدماء يتفقون على أن لهجة قريش هي أعلا اللهجات العربية وأفصحها وهي التي سادت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام . يقول ابن فارس :

(١) المسعودي : التنبيه والإشراف (إيدن ١٨٩٣) صفة ٨٠

« أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحامهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم . فجعل قريشا قطان حرمة ، وجيران بيته الحرام وولائه ... وكانت قريش - مع فصاحتها وحسن لئانها ورقة ألسنتها - إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نماذجهم وسلاقتهم التي طبعوا عليها . فصاروا بذلك أفصح العرب (١) . »

وينقل السيوطي في الاقتراح عن الفارابي قوله « كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا ، وأبينها إبانة عما في النفس (٢) » . وينقل في المزهري عن ثعلب قوله « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وتلدلة بهراء وكسكة ربيعة وكشكشة هوزان وتضعج قيس وعجرفية ضبة (٣) » . كما ينقل قول الفراء « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبج الألفاظ (٤) » .

وهذه النصوص التي لا تكاد تختلف في كتب العربية - على كثرتها - توضح لنا الأسباب التي بنى عليها القدماء حكمهم ، فقريش منهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم

(١) ابن فارس : الصحابي (القاهرة ١٩١٠) ص ٢٣

(٢) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو (حيدر آباد ١٣١٠ هـ) ص ٢٢

(٣) السيوطي : المزهري في علوم اللغة وأنواعها (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ص ١٢٨

(٤) السابق : ١٣٣

قطان حرمة وجيران يته الحرام ، وهم مطبوعون على الفصاحة بالفطرة ، ولهجتهم خالية من هذه العيوب التي يسمونها أحياناً كشكشة وأحياناً كسكة وأحياناً أخرى بغير ذنبك من الأسماء .

والذي لا شك فيه عندنا أن سيبا واحداً حسب هو الذي جعلهم يضعون لهجة قريش هذا الوضع ، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قرشي ، أما أن قريشاً لهم «نحائزهم وسلاتهم التي طبعوا عليها» فتلك مسألة يرفضها الدرس اللغوي الصحيح، إذ أنه - كما يقول ساير - « لا معنى لأن نقول إن هناك لغة - مها تكن - أكثر فصاحة أو أكثر ارتباطاً من لغة أخرى. قد تكون أكثر تعقيداً أو أكثر صعوبة^(١) » . ويذهب الأستاذ الحولي إلى أن تفضيل لغة على لغة « إنما هو مهمة لاهوتية تخلب بجاراتها الفنية ، فتشتر الظلال وتثر البخور المخدر إلى غير حد معروف^(٢) » .

وأما هذه العيوب التي خات منها لهجة قريش والتي تنسب إلى كثير من القبائل العربية فمعرفتنا بها معرفة مبنية على نصوص قليلة مبتورة ، ومع أنها قد لا تخلو من بعض الحقيقة فإننا نظن أن بها نصيباً غير قليل من المبالغة ، بل ألقها دليل على طبيعة المجتمع العربي الذي كان يدفع كل قبيلة إلى أن تتفخر بلفتها وبشعرائها ، وهي - في افتخارها هذا - تعزو إلى غيرها من القبائل عيوباً لسانية قد لا يكون لها نصيب كبير من الواقع ، وذلك أمر تؤيده حوادث التاريخ إذ يذكر رابين^(٣) أن كثيراً من الشعوب الألمانية قد دأبت على أن تنسب إلى بعضها مثل هذه العيوب اللغوية .

ومها يكن من أمر ، فقد اندفع القدماء بمجدون لهجة قريش على هذا النحو الذي

Sapir (Edward) : Culture, Language and Personality (١)
Califorina 1960 p. 6

(٢) أمين الحولي : مشكلات حياتنا اللغوية (الجامعة العربية ١٩٥٨) ٦٣ - ٦٤

Rabin (chaim): Ancient West Arabia, Lonodon 1951, p.11 (٣)

رأيناه ، فإذا ما لقيهم نص يناقض دعواهم راحوا يتعسفون تأويله بما يسير ما ذهبوا إليه ، إذ تذكر كتبهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قل : « أنا أفصح من نطق بأضاد بيد أنى من قريش ^(١) » فذهبوا إلى أن (بيد) هنا بمعنى (من أجل) وقلوا عن أبي عبيدة قول الشاعر ^(٢) .

عمداً فعلت ذاك بيد أنى أخاف إن هلكت أن ترنى
والحديث فى رأينا واضح لا يحتاج إلى شىء من هذا التأويل ، إنما أحوجهم إليه تمجيدهم لهجة قريش ، ولعل ما يؤيد رأينا من وضوح الحديث فى أن معنى (بيد أن) هو (غير أن) ما روى عن عمر أنه قال « يارسول الله مالك أنصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ^(٣) » .

وتردد الكتب كثيراً أيضاً أن القرآن أنزل بلغة قريش ^(٤) ، ومع أن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة يناقض هذا الزعم على ما سيظهر خلال هذا البحث فإن النصوص الكثيرة التى يروونها عن (اللغات) التى نزل عليها القرآن كافية لنقض ذلك أيضاً . إذ روى عن ابن عباس أنه قال « أنزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين يقال لهم عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقف ^(٥) »

أليس عجيباً حقاً أن يجمع هذا النص تلك القبائل دون أن يذكر قريشاً من بين من نزل القرآن على لغتهم ؟ أليس الأمر كما ذكرنا من أن لهجة قريش

(١) السيوطى : المزهى ١٢٦

(٢) السيوطى : معجم المهورى شرح جمع الجوامع (القاهرة ١٣٢٧ هـ) ١ : ٢٣٢

(٣) السيوطى : المزهى ١٢٦

(٤) الدانى المقتنع : (ط دمشق) ص ٤

(٥) ابن فارس : الصحاح ص ٢٨ والسيوطى : المزهى ١٢٧ ومع أننا لا نوافق على هذه

النصوص أيضاً فإننا أوردناها لمقابلتها من النص السابق .

اكتسبت هذا التجديد عند القدماء لسبب واحد فقط وهو أن النبي قرشي ؟ ...
نحسب أن الأمر كذلك .

ذلك رأى القدماء فأى رأى يرى المحدثون ؟

في الطريق ذاتها التي سلكها القدماء سار الدارسون المحدثون ، يعملون من لهجة قريش المستوى الأعلى الذي انتهى إليه السيادة ، وهم في ترديد لم رأى القدماء لم يتهجوا النهج العلمي الصحيح في الحكم على اللغات على النحو الذي سببته بعد .

فالأستاذ الراجعي يذهب إلى أن العربية مرت بأدوار ثلاثة كان آخرها « عمل قريش وحدها وهى القبيلة الأخيرة في تاريخ الفصحى بعد أن كان الثانى عمل القبائل جميعا ، وكان الأول عمل القبيلة الأولى ، فتكون اللغة قد أحكمت على أدوار التاريخ الاجتماعى كل الأحكام . وذلك أن قريشاً كانوا ينزلون من مكة بواد غير ذى زرع لا يستقل أهله بتكاليف الحياة ولا يرزقون إذا لم تهو إليهم أفئدة من الناس ، وكانت الكعبة ، شرفها الله ، وجهة العرب وبيت حجهم قاطبة فى الجاهلية ... وكانت تلك القبائل بطائها متباينة اللهجات مختلفة الأقيسة المنطقية فى غرائزها فكان قريش يسمعون أفتهم ويأخذون ما استحسوه منها فيديرون به ألفتهم ويجرون على قياسه » ... وينتهى به هذا الكلام الى أن يقول « ولا يسع التأمل فى الأدوار التى تعاقبت على قريش فى تهذيبها اللغة إلا أن يستسلم للدهشة ويحار من أمر هذا التعاقب فإنه كالمسلم المدرجة تنتهى الدرجة منها إلى درجة على نمط متساوق من الرقى إن لم يكن عجباً فى تاريخ أمة متحضرة فهو عجب على الخصوص فى تاريخ العرب ولا سيما إذا اعتبرنا مبدأ تلك النهضة وأنها لا تتجاوز مائة سنة قبل الهجرة إلى مائة وخمسين على الأكثر ، فلا بد من التسليم بأنها حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعى ظهرت نتيجتها بعد ذلك فى نزول القرآن الكريم بأهة قريش وهو أفصح الأساليب

العربية بلا مرء والله يحكم بما يشاء ويقدر (١) ! » .

أرأيت إلى هذا التردد لأقوال القدماء ؟ وأرأيت إلى لغة ينبغي علينا أن نسلم بأنها « حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي » أرأيت إلى هذا كله ونحن نعلم أن اللغة تدرس الآن دراسة (علمية) بحسبانها ظاهرة اجتماعية وكائنا حياً له نواميسه التي لاتكاد تختلف أو تتخلف ؟

وعجيب حقاً أن الدكتور طه حسين الذى تناول الأدب الجاهلى بالشك وأخذ يهدمه هدماً لم يحتاف رأيه فى هذا الموضوع عن رأى القدماء ، فهو يقول « فالسألة إذن هى أن نعلم أسادت لغة قريش ولهجتها فى البلاد العربية وأخضعت العرب لسلطانها فى الشعر والنثر قبل الإسلام أم بعده ؟ أما نحن فتوسط وقول إنها سادت قبل الإسلام حين عظم شأن قريش وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التى كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية » . . . وأن قريشاً « كان لها سلطان سياسى حقيقى ولكنه قوى فى مكة وما حولها . وهذا السلطان السياسى كان يعزّز بسلطان اقتصادى عظيم فقد كان مقدار عظيم جداً من التجارة فى يد قريش ، وكان هذا السلطان يعزّز بسلطان دينى قوى مصدره الكعبة التى كان يحج إليها أهل الحجاز وغير أهل الحجاز من عرب الشمال . فقد اجتمع لقريش إذن سلطان سياسى واقتصادى ودينى . وأخلق بمن يجتمع له هذا السلطان أن يفرض لغته على من حوله من أهل البادية » .. ثم ينتهى به الأمر إلى قوله إن « لغة قريش إذن هى هذه اللغة العربية الفصحى فرضت على قبائل الحجاز فرضاً لايعتمد على السيف وإنما يعتمد على المنفعة وتبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية . وكانت هذه الأسواق التى يشار إليها فى كتب الأدب كما كان الحج وسيلة من وسائل

(١) مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب (القاهرة ١٩١١) ١ : ٨٢ - ٨٤

السيادة للغة قريش (١) .

ويوسع الدكتور حسن عون الدائرة فيقول « وحتى لو سلمنا جدلاً بأن اللهجة القرشية الأولى قد انمحت تماماً وحل محلها هذا الخليط من اللهجات الأخرى فإننا لا نزال نجد أنفسنا أمام لهجة متماسكة ومتميزة عن غيرها من اللهجات الأخرى . ويستوى في ذلك أن نسميها لهجة قريش أو لهجة بيئة الحجاز (٢) » .

وكذلك يرى الدكتور شوقي ضيف أن لهجة قريش هي عين العربية الفصحى وهي التي انتهى إليها السيادة والانتشار (٣) .

وبالرغم من أن الدكتور أنيس يقدم كلاماً لا يختلف عن ذلك حين يقول « وهكذا نرى أن بيئة مكة قد هيئت لها ظروف وفرص بعضها ديني وبعضها اقتصادي واجتماعي مما ساعد على أن تصبح المركز الذي تطلعت إليه القبائل ، وشدت إليه الرحال قروناً عدة قبل الإسلام . فكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست في كثير من صفاتها على لهجة مكة » . فإنه يحتم حديثه برأى نظنه أقرب إلى النظرة العلمية الصحيحة إذ يقول « فلا يمثل القرآن لغة قريش وحدها كما يردد أحياناً في بعض الكتب والروايات ، وإنما يمثل اللغة المشتركة بين العرب جميعاً لغة الأدب من شعر وخطابة وكتابة (٤) » .

وهذه الآراء كلها تبنى حكمها هذا على عدة اعتبارات، منها ما هو من قبيل الإعجاز على نحو ما رأينا عند الأستاذ الرافعي من أنها « حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي » ، ومنها ما هو ديني لكون مكة منزل قريش وما يتبع ذلك من حج ومن

(١) الدكتور طه حسين : في الأدب الجاهلي (المعارف ١٩٥٢) ١٢٣ - ١٣٦

(٢) الدكتور حسن عون : اللغة والنحو (الاسكندرية ١٩٥٢) ٤٢ - ٤٤

(٣) الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي (القاهرة ١٩٦١)

ص ١٣٣ - ١٣٤

(٤) الدكتور ابراهيم أنيس : مستقبل اللغة العربية المشتركة (الجامعة العربية ١٩٦٠)

لقاء ، ومنها ما هو اقتصادى لاشتغال قريش بالتجارة ولما كان لسوق عكاظ من مكانة لدى شعراء العرب .

وهذه الأسباب كلها — فى رأينا — لا تقوى دليلا على تمكين لهجة قريش من السيطرة والسيادة . ألم يكن فى شبه الجزيرة أسواق غير عكاظ يلتقى الناس فيها للتجارة ، وأين ذهبت دومة الجندل والمشقر وهجر وعمان وصحار والشحر وغيرها من أسواقهم فى الجاهلية (١) ؟ وهل نستطيع أن نتصور أن العرب لم يكونوا يلتقون إلا فى مكة أيام الحج وأيام عكاظ ؟ .. وأين كانت حروبهم التى كانت تستمر سنوات ذوات عدد ؟ وأين هجراتهم المستمرة بحثاً عن الرزق ؟ وأين أحلافهم التى كانت تجمع بينهم ؟ ... ونحن لا نستطيع أن نتصور أن القبائل العربية كانت تعيش منعزلة تقع كل قبيلة منها فى منازلها ولا ترحلها إلا للحج أو لعكاظ (إذ من العسير حقاً على عدد قليل من الناس الحياة فى تلك البيئات الشديدة القىظ القليلة المياه المجردة القفراء . ولكنهم حين يتعاونون ويكسر عددهم قد يستفيدون من خبرة بعضهم فى شق الآبار وخبرة الآخرين فى تقفى الآثار أو الاهتداء بالنجوم والكواكب ليلاً ، كما قد يستعينون بتجارب المحربين منهم لمعرفة مواضع الرعى والكلاء فى المواسم المتعددة ، أو حتى فى شن الغارات للنهب والسلب طلباً للقوت وما يكفل لهم الحياة ويصد عنهم الهلاك . وقد دلت ملاحظات القويين من المحدثين على أنه حيث تقسو الطبيعة بالحر أو بالبرد يميل الناس إلى الاتصال بعضهم ببعض فى صورة جماعات كثيرة العدد ولا يكاد ينفرد أو يعزل فى مثل تلك البيئة عدد قليل من الأفراد . ويترتب على ذلك الاتصال أن تقل الفروق بين اللهجات (٢) .

(١) انظر سعيد الأفغانى . أسراف العرب فى الجاهلية والاسلام (دمشق ١٩٣٧)

س ١٩٣ - ٣٢٣

(٢) الدكتور أنيس . مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ٢١

ومع كل ذلك فإن آراء الدارسين المحدثين لا تقوم — كما قلنا — على أساس
أهوى علمي صحيح ، لأننا لا نستطيع أن نحكم على لغة من اللغات خلال أقوال
الرواة عنها ، خاصة وأن هذه الأقوال ذاتها ينبغي أن نأخذها بشيء كبير من الحيطه والحذر
لأنها — كما نحسب — لم تصدر إلا عن تيجيد اقبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم .
واقدر كنا نستطيع أن نحكم هذا الحكم لو توافرت لدينا نصوص أهوية من لهجات
القبائل تميز بها أماننا لهجة قريش وغيرها بحيث يُظهر لنا تطور هذه النصوص أن
لهجة قريش استطاعت أن تسود غيرها من اللهجات ، وأن تقرر نفسها لغة نموذجية
مشتركة يصطنعها الشعراء في شعرهم والخطباء في خطبهم . أما وأتينا لا نملك هذه
النصوص ولا نعرف شيئاً عن هذا التطور ، لأننا وجدنا أنفسنا فجأة أمام لغة نموذجية
مشتركة قال لنا عنها القدماء وتبعم المحدثون إنها لغة قريش — فإننا نظن أن ذلك
كاه أمام المنهج اللغوي العلمي ليس إلا ضرباً من الخدس والتخمين .

ثم إن أماننا هؤلاء الشعراء المشهورين الذين يعرفون بأصحاب المعلقات والذين
اعتبر العرب قصائدهم نماذج عليا للغة العربية ، فأيهم كان قرشياً ؟ أليس لافتاً أن تكون
قريش « أجود العرب انتقاء الألفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق
وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عما في النفس » ولا يكون منها شاعر واحد يكون
رمزاً لهذه الإبانة وتلك الفصاحة ؟

والرأى عندنا بعد هو ما نحسبه موافقاً لطبيعة التطور اللغوي ، وهو أن شبه
الجزيرة العربية كانت بها لهجات كثيرة مختلفة تنتسب كل لهجة منها إلى أصحابها ،
وإلى جانب هذه اللهجات كانت هناك لغة عربية مشتركة تكونت على مر الزمن
بطريقة لا مبدل لنا الآن إلى تبينها ، وهذه اللغة المشتركة لا تنتسب إلى قبيلة بذاتها
لكنها تنتسب إلى العرب جميعاً ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف
فيما بينها ، وهذه النصوص — كما نعلم — ليست قرشية أو تميمية أو هذلية فقط ، بل

هى من قبائل مختلفة مما يدل على أن هذه اللغة المشتركة هى التى كان الأدباء يصطنعونها فى فهم القولى ، ونحن لا نستطيع أن نتصور أنهم كانوا يتحدثون فى بينهم وشرائهم وهزلهم باللغة ذاتها التى ينظمون بها شعرهم أو يضعون فيها خطبهم .

ومع وجود هذه اللغة المشتركة احتفظت اللهجات المختلفة ببعض خصائصها ، فقريش لها خصائصها اللهجية كما أن اتميم أو لطيء أو انيرها خصائصها اللهجية ، ولقد دخل كثير من هذه الخصائص اللغة الفصحى كما تمثلها لنا القراءات القرآنية .

ومع دخول بعض هذه الخصائص إلى اللغة الفصحى تقول إن خصائص لهجة قريش ليست هى الغالبة على غيرها . وأيس أدل على ذلك من ظاهرة الهمز فى العربية فالعروف أن أهل الحجاز — ومنهم قريش — ينجحون إلى تخفيف الهمزة ، وغيرهم من قبائل العرب يحققها فالهمز إذن ليس قرشياً ، وهو الغالب مع ذلك على التسهيل فى الشعر الجاهلى وهو السائد أيضاً فى القراءات القرآنية حتى إن ابن كثير وهو قارئ مكة كان يهزم / وسوف يتولى الباب الرابع من هذا البحث بيان ذلك بما سيرضه من درس للهجات القبائل فى القراءات القرآنية .

* * *

وبعد ، فإذا كان الأمر كما بينا من أنه قد كانت هناك لهجات عربية كثيرة إلى جانب اللغة النموذجية المشتركة فكيف تناول العرب القدماء درس هذه اللهجات ؟ .. ذلك ما سنبينه فى الفصل التالى .

الفصل الثاني

لهجات القبائل في كتب العربية

نحن نعلم أن ما بين اللهجة واللغة هو ما بين الخاص والعام أو ما بين الفرع والأصل ، لكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح (اللهجة) على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث ، بل إنهم لم يستعملوه قط في كتبهم ، وغاية ما وجدناه عندهم ما ترجمه معاجهم من أن (اللهجة) هي اللسان أو طرفه أو جرس الكلام ، ولهجة فلان لغته التي جيل عليها فاعتادها ونشأ عليها (١) . وإنما كانوا يطلقون على اللهجة (لغة) أو (لغية) ، وأهل ذلك راجع إلى أنهم لم يتوفروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التي كان يتكلمها الناس في حياتهم العادية ، بل كل ملاحظاتهم إنما تنصب على هذه الفروق اللهجية التي دخلت الفصحى .

نعم نحن لا نعرف كتابا واحدا تخصص في دراسة اللهجات العربية القديمة ، لكن كتبهم تذكر أنهم عرفوا نوعا من الكتب أطلقوا عليها كتب اللغات تذكر منها :

١ — كتاب اللغات ليونس بن حبيب ت ١٨٣ هـ (٢)

٢ — كتاب اللغات للفراء ت ٢٠٧ هـ (٣)

(١) المجدرة : الصحاح : اللسان (لهج)

(٢) ابن النديم : الفهرست (ط الاستقامة) ص ٦٩

(٣) د د د ص ١٠٤

- كتاب اللغات لأبي عبيدة
ت ٢١٠ هـ (١)
- كتاب اللغات للأصمعي
ت ٢١٣ هـ (٢)
- ٥ - كتاب اللغات لأبي زيد
ت ٢١٥ هـ (٣)
- ٦ - كتاب اللغات لابن دريد
ت ٣٢١ هـ (٤)
- ٧ - كتاب السبب في حصر لغات العرب لحسين بن مذهب المصري ت ٢٥٠ هـ (٥)
- ونحن لانعرف شيئا عن هذه الكتب إذ لم يصلنا منها كتاب واحد لسوء الحظ ،
لكننا نستطيع أن تبين بعض طرائقها مما نقله بعض اللغويين ، إذ ينقل ابن دريد
من كتاب اللغات لأبي زيد « إنه ليأخذ في كل فنّ وسنّ وعنّ أى في كل وجه » .
« ويقال النّكر والنّكر والفكر والفكر والفكرة ويقال سرق سرقا
وسرقا وسرقا » .
- « ويقال انتقع لونه وامتقع واهتقع والتّمع والتّم والتّمسف » (٦)
- « ويقولون مِتّ ومِتّت ودميت ودميت ، فمن قال مِتّ قال يمات ، ومن قال
دميت قال يدام يدام ، وأكثر ما يتكلم به طيء (٧) » .
- وواضح من هذه النصوص أن هذه الكتب كانت نوعا من المعاجم ، وأن مؤلفيها

(١) ابن الدّيم : الفهرست ص ٨٥

(٢) ابن النديم : ص ٨٨

(٣) ابن البديع ٨٧

(٤) السابق : ٩٧

(٥) السيوطي : بنية الوعاة (القاهرة ١٣٢٦ هـ) ص ٢٣٦

(٦) ابن دريد : الجمهرة ٣ / ٤٧٢

(٧) السابق : ٣ / ٤٨٤

لم يكونوا يهتمون - إلا في القيل - بمزو اللهجات إلى أصحابها .
وتذكر كتب التراجم أيضاً أنهم ألفوا في نوع أخص من ذلك وهو « كتب
اللغات في القرآن » . نذكر منها :

١ - لغات القرآن للقراء (١)

٢ - لغات القرآن للأصمعي (٢)

٣ - لغات القرآن لأبي زيد (٣)

واقصد وصلنا من كتب لغات القرآن كتابان ، أولهما رسالة لأبي عبيد القاسم بن
سلام (ت ٢١٤ هـ) (٤) بعنوان « ماورد في القرآن الكريم من لغات القبائل » (٥) ،
وثانيهما « كتاب اللغات في القرآن » (٦) أخبر به إسماعيل بن عمرو المقرئ
(ت ٤٢٩ هـ) (٧) . ويذهب الدكتور أحمد علم الدين الجندى إلى أنهما كتاب واحد
لإسماعيل بن عمرو وأن أبا عبيد ليس له فيه نصيب (٨) . لكننا نرى أنهما كتابان
للأسباب الآتية : -

١ - أن أبا عبيد من أوائل الذين كتبوا في القراءات والصلة بين القراءات

(١) الفهرست : ٥٩

(٢) » ٥٩

(٣) » ٥٩

(٤) » ١١٢

(٥) ومى مطبوعة على هامش تفسير الجازين (المطبى ١٣٤٢ هـ) ١ / ١٢٤

(٦) حققه ونشره صلاح الدين المنجد (ط الرسالة ١٩٤٦)

(٧) بن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء (السادة ١٩٣٢) ١ / ١٦٧

(٨) الدكتور أحمد علم الدين الجندى : اللهجات الدرية كما تصورها كتب النحو واللغة .

رسالة دكتوراة من جامعة القاهرة ١٩٦٥

واللهجات ليست في حاجة إلى بيان .

٢ - أن أبا عبيد له مجهوده في راوية اللغة وما فيها من اتصال باللهجات على النحو الذي يظهر من كتابه الغريب المصنف (١) .

٣ - أن السيوطي ينقل عنه في الإتيان (٢) بعض اللهجات الواردة في هذه الرسالة قائلا « أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة عن ابن عباس » وفي آخر نقله يقول « انتهى ما ذكره أبو القاسم ملخصا » .

٤ - أن المادة اللهجية في الكتابين ليست واحدة ، فمن ناحية توجد في رسالة أبي عبيد سبع وثلاثون لهجة (٣) غير موجودة في كتاب إسماعيل بن عمرو ، وفي هذا الأخير إحدى وعشرون لهجة (٤) ليست في رسالة أبي عبيد . وهناك من ناحية أخرى ثلاث عشرة لهجة يعزوها أحدهما إلى قبيلة غير التي يعزوها إليها صاحبه (٥) .

وعلى كل فإن منهج الكتابين واحد ، وهما يتناولان اللهجات — في الأغلب

(١) أبو عبيد : الغريب المصنف . مخطوطة بدار الكتب رقم ١٢٩١ أفة . انظر مثلا صفحات ١٤ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٣ - ٢٦١ - ٢٦٧ - ٢٧٢ - ٢٧٨ .

(٢) السيوطي : الإتيان في علوم القرآن : حجازي ١٣٦٨ هـ : ١ / ١٣٤ .

(٣) انظر صفحات ج ١ / ١٢٦ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٥٢ - ١٧٩ .

١٨٤ - ١٨٨ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٥ - ٢١٦ - ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٦ - ج ٢ / ٨ - ٢٩ - ٣٠ .

٥٦ - ٦٤ - ٦٦ - ٧٦ - ١٠٢ - ١٢٦ - ١٨٧ - ٢٠٣ - ٢١٣ - ٢٢٦ - ٢٣٥ - ٢٥٨ - ٢٦٢ .

(٤) انظر صفحات : ٢١ - ٢٢ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٥ - ٤١ - ٤٢ -

٤٤ - ٥٠ .

(٥) انظر رسالة أبي عبيد ج ١ : ١٦٠ - ٢٣٢ - ٢٣٤ - ج ٢ / ٨ - ١٢٢ - ١٢٥ - ١٤٤

- ١٦٣ - ٢١٥ - ٢٢٢ وما يقابلها في كتاب إسماعيل ابن عمرو

الأعم — على المستوى الدلالي وليس فيهما إلا قليل جدا على المستوى الصوتي من نحو
(قرح) بالفتح لغة الحجاز وبالضم لغة تميم (١) .

وتعتبر المعاجم — بطبيعة مادتها — مصادر هامة للهجات ، ولكن كثيرا منها
لم يهتم بمزوها إلى قبائلها ، فصاحب اللسان مثلا لا يكاد يذكر إلا قايلا جدا من
لهجات القبائل بل إنه يكتفى بقوله « لغة فيه » أو « عند بعض العرب » ، والمعجمان
الذان تعتبرهما مصدرين هامين للهجات وبخاصة لهجات اليمن هما : —

١- الجمهرة لابن دريد ، إذ تنتشر فيه ثلاث وعشرون لهجة أكثرها من
اليمن (٢) . والغريب أنه لم يذكر من لهجات قبيلته الأزدي إلا سبع عشرة مادة .

٢- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري ،
وهو في رأينا أهم مصدر لدراسة اللهجات اليمنية (٣) . إذ لا تكاد تخلو صفحة فيه
من لهجة يمنية (٤) .

وهناك أيضا هذين المعاجم الخاصة التي كانت تجمع مادة لغوية في موضوع واحد ،
إذ كان أصحابها يهتمون باللهجات مثل ما نجد في كتاب « النخل والكرم » (٥) .

(١) رسالة أبي عبيد ١٢٨ / ١

(٢) الجمهرة — الفهارس ٨٢٣

(٣) نشوان بن سعيد : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . مخطوطة بمكتبة
المسجد الأحمدى بطنطا رقم ١٩ ، ١٩٧٨٤

(٤) نشوان بن سعيد : منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم (نشر عظيم
الدين أحمد . ليدن ١٩١٦) انظر مثلا صفحات ٦-٧-٩-١٤-١٧-٢٣-٢٦-٢٧-٢٩

(٥) البلغة في شذور اللغة : نشر أوغست هفنز ولويس شينغو (بيروت ١٩٠٨)

للأصمى ، وفي كتاب المطر لأبي زيد ^(١) ، وفي « كتاب الرجل والنزل » لأبي عبيد ^(٢) .

ومما نقدته من المعاجم الخاصة أيضا ما جاء في « المشترك » و « للترادف » و « الأضداد » فالشترك كما يرون إنما يحىء « على لغتين متباينتين » ^(٣) . ومن أمثلة اللهجات فيه قول أبي زيد « الْأَلْفَسْتُ فِي كَلَامِ قَيْسِ الْأَحْمَقِ وَالْأَلْفْتُ فِي كَلَامِ تَيْمِ الْأَعْسَرِ » ^(٤) . وهم يرون أيضا أن للترادف إنما يكون « من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضمان ويخفى الواضعان » ^(٥) . ولم نجد عند الرماني عزوا واحدا لأيه لهجة في كتابه .

وهم يعللون الأضداد باختلاف اللهجات « فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فبحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعى الآخر لحى غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا فالجون الأبيض في لغة حى من العرب والجون الأسود في لغة حى آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر » ^(٦) .

وفي كتاب ابن الأنبارى ذكر للقبائل الآتية ^(٧) :

الحجاز — قريش — كنانة — خزاعة — نضير — هزيل — طيء —

حمير — تميم .

(١) السابق : ١١٢

(٢) السابق : ١٢٨

(٣) البوطى : الزمر ٢٢٧/١

(٤) السابق : ٢٢٥/١

(٥) الرماني : الألفاظ المترادفة (القاهرة الطبعة الثانية) ٣ — ٤

(٦) ابن الأنبارى : الأضداد في اللغة (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ص ١٠

(٧) السابق : صفحات ١٥ — ٣٥ — ٧٧ — ٢٩٩ — ٣٦٩

وفي كتاب الأضداد للأصمعي (١) :

الحجاز — هذيل — عقيل — طيء — بنو هلال .

وفي كتاب السجستاني (٢)

الحجاز — هذيل — كنانة — نصر — خزاعة — عقيل — اليمن .

ومن أمثلة اللهجات في الأضداد « السدفة في أمة تميم الظلمة والسدفة في أمة قيس الضوء » و « لمت الشيء ألقه لقا إذا كتبت في أمة بني عقيل وسائر قيس يقولون لقمته محوته (٣) » .

وتأتى بعد ذلك كتب النوادر وهي مصدر طيب لدراسة اللهجات ، وبين أيدينا كتاب النوادر لأبي زيد نجد فيه مادة خصبة لهذه الدراسة فهو كثيرا ما يعزو اللهجات إلى أصحابها ، فإذا فقدنا هذا العزو وجدناه في تحديده أثيلة الشاعر حيث يقول مثلا « قال فلان من تميم أو فلان الهذلي أو راجز من حمير . . . الخ . » ومن أمثلة اللهجات فيه قوله : (٤)

أنشدني أعراية من بني كلاب :

فعلن وإن هويتك عنى قطاع أرمم الجبال صروم

فقلت لها ما هذا ؟ فقلت هذه عنتنا وبعضهم يقول عننة فلان » .

أما الأمثال فإن دراستها تفيد الدرس اللهجي أعما إفادة ، لأن الأمثال لغة الشعب التي يطلقها فور الحدث دون تصنع ، وهي من هنا تعتبر مرآة صادقة للهجة ، ويعتمد عليها دارس اللهجات العامة اعتماداً كبيراً . وفي كتاب الميداني ذكر أمثال منسوبة إلى لهجاتها من نحو « أتى عليهم ذو أتى . هذا مثل من كلام طيء . وذو في لغتهم

(١) ثلاث كتب في الأضداد: تحقيق أوجست هفتر (بيروت ١٩١٢) صفحات ٥ - ٣٩

٤٠ - ٤٣ - ٤٤ - ٥٢

(٢) السابق : ٧٥ - ٨١ - ١٠١ - ١٢٦ - ١٤٤

(٣) السيوطي : المزهري ١ : ٢٣٠

(٤) أبو زيد : كتاب النوادر في اللغة : تحقيق سعيد الشرتوني (بيروت ١٨٩٤) ص ٢٩

تكون بمعنى الذى ، يقولون نحن ذو فعلنا كذا أى نحن الذين فعلنا كذا ، وهو ذو فعل كذا وهى ذو فعلت كذا قال شاعرهم :

فإن الماء ماء أبى وجدى وبئرى ذو حفرت وذو طويت
ومعنى المثل أتى عابهم الذى أتى على الخلق يعنى حوادث الدهر (١) « ومثل
« ليت القسى كلَّها أرجلا . كذا ورد المثل نصبا وهى لغة تميم يعملون ليت إعمال
ظن فيقولون : ليت زيدا شاخصاً كما يقولون طننت زيدا شاخصاً » (٢) .

والضرورة الشعرية كذلك فى حاجة إلى دراسة جديدة ، تستقرئها وتردها إلى
أصولها ، لأن هذه التى يسمونها ضرائر تلجىء إليها طبيعة الشعر ليست - فى رأينا -
إلا لهجات عريية ، وهى ليست خاصة بالشعر على ما سيظهر من دراستنا للأنراء
القرآنية ، وهى ليست كذلك ضرورة إلا إذا كنا نقصد منها انتقال الشاعر من
لهجة إلى أخرى خضوعاً للوزن الشعرى ، لكننا نحسب أنهم لم يكونوا يعنون ذلك .
وأنت ترى فى تناولهم لبعض هذه الضرائر ترددهم بينها وبين اللهجة . من ذلك
قولهم فى البيت :

فما سودتنى عامر عن ورائة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
« الشاهد فيه إسكان الواو فى أسمو وهو منصوب بأن ، فمنهم من يجعل ذلك لغة
ومنهم من يجعله ضرورة (٣) » .

أو قولهم فى البيت :

أو راعيان لبعران شردن لنا كى لا يحسان من بعرانا أثرا

(١) الميدانى : مجمع الأمثال (القاهرة ١٣١٠) ١ : ٤٥

(٢) السائق : ٢ : ٩٠

(٣) ابن يمش : شرح المفصل (ط المنيرة) ١٠ : ١٠١

« قال الأندلسي إما أن يقال هي (كي) لغة في كيف أو يقال حذف فاء كيف ضرورة » (١) . .

بل إن بعضهم يصرح أن بعض هذه الضرائر لهجات مثلما نجد عند أبي سعيد القرشي في أرجوزته في الضرائر (٢) .

وربما تصادف الضرورة بعض لغات العرب المشهورة وهم يعدون من الضرائر حرف المنوع ، وقصر المدود ، والوقف على النون المنصوب بحذف الألف ، وحذف النون من اللذين والتين والذين ... الخ (٣) .
ولسوف يظهر لك أن هذه الظواهر كلها لهجات وردت بها قراءات قرآنية .

أما كتب النحو فلنستأنس بتوقع أن تقدم لنا من اللهجات أكثر مما قدمت ، ذلك أن أصحابها يتناولون اللغة بالتقنين والتنظيم ، وشرط اللغة الاطراد ، ولكن لو أنهم أعطوا اللهجات حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التي تبعدهم عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية على النحو الذي نعرفه في تخريجهم (إن هذان لساحران) مثلا .

ومع ذلك فأماننا كتاب سيدي به لم يخل تماما من ذكره لبعض اللهجات ، وهو وإن كان يكتفي في كثير من الأحيان بذكر اللهجة دون تعيين أصحابها قائلا : « وقوم من العرب يقولون (٤) » أو « وناس من العرب (٥) » أو « بعض العرب

(١) الاسترأبادي : شرح الكافية (استانبول ١٣٠٥ هـ) ٢ : ١١٧

(٢) الألويسي : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر (القاهرة ١٣٤١ هـ) ص ٣٤

(٣) الألويسي : الضرائر صفحات ٣٣ — ٣٤ — ٥٧ — ٦٣ — ٦٨ على التوالي

(٤) سيدي به : الكتاب ١ : ١٦٤

(٥) السابق ١ : ٢٥٤

الموثوق بهم^(١) . فإن فيه ذكراً للقبائل الآتية^(٢) :

الحجاز — تميم — أسد — فزاره — طيء — بكر بن وائل — ربيعة
قيس — هذيل — بنو العنبر .

لكن معظم لهجاته تكاد تكون محصورة في هاتين الوحدتين الكبيرتين ؛
الحجاز و تميم . وهو يطلق على اللهجات أحكاماً لا نعرف تماماً الأساس الذي تبنى
عليه ، فهو يصف اللهجة مثلاً بأنها « لغة رديئة » أو « رديئة جداً »^(٣) أو
« ضعيفة »^(٤) أو « قليلة خبيثة »^(٥) لكننا نعرف أنه حين يصف اللهجة بالجودة إنما
يفعل ذلك لأنها لهجة أهل الحجاز بل كثيراً ما يقرن الحجازية بالجودة كأن يقول :
« والبيان في كل هذا عربي جيد حجازي »^(٦) ولهجة تميم أيضاً تحظى باحترامه ،
ففي معرض الحديث عن (ما) يقول « وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهو
القياس لأنه ليس بفعل كائس ، ولا يكون فيه إضممار »^(٧) . ويقول عن الحكاية
عند أهل الحجاز و تميم « وبنو تميم يرفعون على كل حال وهو أقيس القولين »^(٨) .
أما النحاة الذين اهتموا باللهجات اهتموا كثيراً فهم أولئك النحاة المتأخرون مثل
ابن مالك و شراح ألفيته ، والرضى الإستراباذي ، والسيوطي .

ونظرة واحدة على الإحصاء التالي من همع الهوامع تدل على حجم المادة اللهجية
فيه ، إذ ورد في الكتاب ذكر للهجات القبائل الآتية :

(١) السابق ١ : ٣٢٤

(٢) أنظر صفحات ١ : ٣٦٠ ، ٢ : ٢٥٦ — ٢٨٢ — ٢٧٨ — ٢٨٧ — ٢٩٤

٣٢١ — ٤٠٨ — ٤٢٨

(٣) سيبويه : الكتاب ٢ : ٢٩٤

(٤) » » ٢ : ٣٥٨

(٥) » » ١ : ١٦٤

(٦) سيبويه : الكتاب ٢ : ٤٠٧

(٧) » » ١ : ٢١

(٨) » » ١ : ٣٥٦

الحجاز - تيم - هذيل - طيء - كنانة - بنو الحارث بن كعب - بنو العنبر -
بنو الهجيم - ربيعة - بكر بن وائل - زيد - خثعم - همدان - عذرة - حمير - عقيل -
أهل العالية - بنو سليم - أزد شنوءة - فقفس - عكل - أسد - قضاة - أهل الحيمة
فزارة - قيس - أهل نجد - اليمن .

لكن المادة اللهجية في كتب النحاة يندمى أن نأخذها بشيء غير قليل من الحذر
إذ يبدو أن شواهدهم لم تسلم من الوضع ، يدلك على ذلك ما روى عن المازني من
(أن اللاحق قال: سأثنى سيديوه عن شاهد في تعدى فعلٍ فعملت له هذا البيت^(١) :

حَذِرْ أُمُوراً لَا تُضِيرُ وَأَمِنْ

ونحن نعتبر ابن حنبل أقرب اللغويين العرب إلى الفهم الصحيح للدرس اللغوي ،
فهو يعقد في خصائصه باباً بعنوان «باب اختلاف اللغات وكلمها حجة»^(٢) . يرى فيه أنه
لا فرق في الاستعمال بين لهجة وأخرى، يشعر بذلك قوله «ألا ترى أن لغة التميميين
في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس ، والله الحجازيين في إعمالها كذلك ، لأن لكل
واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد
إحدى اللغتين بصاحبها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسلتها ، ولكن غاية مالك في
ذلك أن تتخير إحداها فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد
أنسأ بها ، فأما رد إحداها بالأخرى فلا^(٣) . ويقول « فإذا كان الأمر في اللغة
العمل عليها هكذا وعلى هذا (أى قليلة) فيجب أن يقل استعمالها ، وأن يتخير ما هو
أقوى وأشيع منها ، إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، ولكنه
يكون مخطئاً لأجود اللغتين ... وكيف تصرف الحال فالناطق على قياس لغة من

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٦ : ٧٢

(٢) ابن حنبل : الخصائص ٢ : ١٠

(٣) السابق ٢ : ١٠

لغات العرب مصيب غير محطىء وإن كان غير ما جاء به خيراً منه (١) .
ويدرك أبو الفتح ما للمصدر البشرى من قيمة كبيرة في استقاء اللغة ، هذا المصدر
الذي يعتمد عليه دارسو اللهجة في المقام الأول والذي يسمونه The informer ،
ففرق كبير جداً بين أن تسمع الظاهرة اللغوية من أصحابها الناطقين بها وبين أن
تروى لك هذه الظاهرة رواية من طريق غيره ، إذ لا بد من معرفة الملابسات التي
تحيط بالتكلم عند الكلام وما قد يصحب ذلك من إشارات تضيف إلى طريقة النطق
معاني أخرى لا تفيدھا الرواية ، وانظر إلى هذا النص عنده « فليت شعري إذا شاهد
أبو عمرو وابن أبي اسحق ويونس وعيسى بن عمر والحليل وسيدويه وأبو الحسن
وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوه
العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة
وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب
وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلت عليه إشارة
لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه ، غير متهم الرأي
والنخبة والعقل (٢) . »

وهو حين يأخذ اللغة من مصدرها البشرى تجده يضع الأسئلة بطريقة علمية
توصله إلى الظاهرة التي يريد أن يعرفها ، فهو يسأل أبا عبد الله الشجري « كيف
تجمع (دكانا) ؟ فقال دكاكين ، قلت فمرحانا ؟ قال سراحين ، قلت فمقرطانا ؟ قال
قراطيين ، قلت فعمنان ؟ قال عثمانون . فقلت له : هلا قلت أيضا عثمانين ! أرايت
إنسانا يتكلم بما ليس من لفته ، والله لا أقولها أبداً » (٣) .

وعلى ذكر هذا المصدر البشرى نذكر أن اللغويين العرب أخذوا مادتهم اللغوية

(١) ابن جني : الخصائص ٢ : ١٢

(٢) السابق ١ : ٢٤٨

(٣) ابن جني . الخصائص ١ : ٣٤٢

عن طريقين ؛ أولهما الخروج إلى البادية والحياة بين البدو كما نعرف عن الكسائي من أنه « لما عرض على حمزة خرج إلى البدو فشهد العرب وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم ^(١) » . بل لقد كان الواحد منهم يفرح بالعثور على ظاهرة لغوية فرحه بزوال مصيبة كبيرة تهدد حياته ، فنحن نعلم أن أبا عمرو بن العلاء كان قد هرب إلى الصحراء مع أبيه خوفاً من الحجاج ^(٢) ، وبينما هو في الصحراء يوماً رأى أعرايا يقول لآخر ألا أبشرك ؟ قال بلى ، قال مات الحجاج ، فأنشده :

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

بفتح الفاء ، ونحن نقول فرجه بضمها وهو خطأ ، وتطلبت ذلك زمانا في استعمالهم فلم أجده ^(٣) » .

وثانيهما الأعراب الذين عدوهم فصحاء ، وهؤلاء الأعراب - إلا أقلهم - كانوا يقيمون بمدن العراق ، يختلف إليهم اللغويون في البصرة والحيرة وبغداد ^(٤) . بل إننا نحس أحيانا أنه قد كان هناك أعراب يتفنون على باب الخلفاء والأمراء ينتظرون أن يسألوا في شيء من اللغة لقاء أجر ، يدلك على ذلك هذه الحكاية المشهورة عن المسألة الزنبورية حين عزم يحيى بن خالد البرمكي على الجمع بين سيدييه والكسائي « فحضر الكسائي فقال له تسألني أو أسألك ؟ فقال له سيدييه : سل أنت ، فسأله عن هذا المثال ، فقال له سيديويه : فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب ، وسأله عن أمثال ذلك نحو خرجت فإذا عبد الله القائم ، فقال له : كل ذلك بالرفع . فقال الكسائي : العرب ترفع كل ذلك وتنصب ، فقال يحيى : قد اختلفتما وأتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟

(١) ابن جزري : غاية النهاية ١ : ٣٨٠

(٢) السابق ١ : ٢٨٨

(٣) الشيتيلى : الدرر الموامع على جمع الموامع (المانجى ١٩١٠) ١ : ٤

(٤) انظر الفصل الذى كتبه صاحب التهرس متوان « أسماء فصحاء العرب المشهورين »

فقال له الكسائي : هذه العرب يبابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون فقال يحيى وجعفر أنصفت ، فأحضروا فوافقوا الكسائي . فاستكان سيوبه فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم فخرج إلى فارس فأقام بها حتى مات ولم يعد إلى البصرة فيقال إن العرب قد أرشوا على ذلك ^(١) .

وهم يرددون لنا كثيراً أن العربي لا يستطيع أن يتزحزح عن لهجته ، وهم يبالغون في ذلك مبالغة شديدة لاتتفق والواقع اللغوى بل ولا الوظيفة العضوية للجهاز اللطيق ، إذ ينقل ابن جنى عن أبى حاتم السجستاني قوله : قرأ على أعرابي بالحرم « طيبي لهم وحسن مأب » . فقلت : طوبى فقال : طيبي ، فأعدت فقلت : طوبى . فقال طيبي ، فلما طال على الوقت قلت : طوطو ، قال : طى طى . ويعلق ابن جنى أفلا ترى إلى هذا الأعرابي ، وأنت تعتبره جافياً كراً ، لا دمثاً ولا طيعاً ، كيف بنا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا ثنى طبعه عن التماس الحقة هز ولا تمرين ^(٢) .

ولقد نستطيع أن نتصور ذلك لو أن لهجة هذا العربي تخلو تماماً من حرف الواو بحيث يصعب عليه نطقها مع التلقين والتمرين ، ثم إن ابن جنى نفسه يذكر نصوصاً أخرى تناقض هذا الذى كانوا يذهبون إليه من استحالة انتقال العربي من لهجته إلى لهجة غيره ، إذ يعقّد فى الخصائص باباً بعنوان « فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعداً ^(٣) » يؤيده بقول الشاعر :

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ومطواى مشتاقان كله أرقان

ثم يعلق بقوله فهاتان لغتان أعنى إثبات الواو فى (أخيلهو) وتسكين الهاء فى

(١) ابن هشام : معنى اللبيب (القاهرة ١٣٥٦ هـ) ١ : ٨٠ - ٨١

(٢) ابن جنى : الخصائص ١ : ٧٦

(٣) ١ : ٣٧٠ د د

قوله (له) لأن أبا الحسن زعم أنها لغة لأزد السراة ، وإذا كان كذلك فهاتان لغتان وليس إسكان الهاء في (له) عن حذف لحق بالصنعة الكاملة لكن ذلك لغة « (١) » .

ثم يؤكد ذلك في موضع آخر بقوله (ووجه الحكمة في الجمع بين اللغتين القوية والضعيفة في كلام واحد هو أن يروك أن جميع كلامهم وإن تفاوتت أحواله فيما ذكرنا وغيره - على ذكر منهم ، وثابت في نفوسهم (٢)) .

ويبرر ذلك بقوله (وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرا منتشرين وخالقا عظيما في أرض الله غير متحجرين ولا متضائطين ، فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعى أمراته ، كما يراعى ذلك من مهم أمره (٣)) .

ومعنى ذلك هو ما قررناه في الفصل السابق من أن العرب لم يكونوا منعزلين انعزالا كاملا ، بل كان بينهم هذا الالتقاء ثم هذا التفاعل وما ينتج عنه من معرفة بعضهم لهجات بعض .

* * *

وبعد ، فذلك كانت مناهجهم في تناول اللهجات العربية ، وأظننا الآن نستطيع أن نتقل إلى الحديث عن :

(١) ابن جني : الخصائص ١ : ٧٣٠

(٢) » » ٣ : ٣١٧

(٣) » » ٢ : ١٥ - ١٦

البَابُ الثَّالِثُ

القرارات واللّهجات

المجلس الأعلى للثقافة

مركز البحوث والدراسات

البحوث والدراسات

البحوث والدراسات

الفصل الأول

القراءات : نشأتها وتطورها

في بحث مثل هذا البحث يتخذ من القراءات القرآنية مصدرا لدراسة اللهجات العربية ، نرى أن نعرض لحياة هذا المصدر ، متى نشأت القراءة ، ولماذا اختلفت القراءات وكيف استقرت علما ثابت الأصول ، وما هي هذه الشواذ ولماذا كانت كذلك ؟ ..

ودون أن نخوض كثيرا في مسائل فرعية ، نقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان — باعتباره متلقي الوحي — أول قارئ للقرآن ، بل إنه كان يجعل بقرائه حين تلقيه حتى نزات (لا تحرك به لسانك لتعجل به) . ومنذ البداية اتخذ النص القرآني — بقراءة الرسول — سنده نحو الوثائق ، فهو صلوات الله عليه كان يعود إلى جبريل يدارسه القرآن ويعرضه عليه كل عام مرة حتى وفاته فعرضه عليه مرتين « قال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ^(١) . » وفي خبر فاطمة « أسر إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة ، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضور أجلى ^(٢) » .

وعلى هذا المنهج من توثيق النص — خلال التلقي والعرض — سار رسول الله

(١) فتح الباري ١ : ٢٦

(٢) فتح الباري ٩ : ٣٥ والبرهان ١ : ٢٣٢

مع صحابته يقرأ عليهم ، ويقرأون عليه « قال أنس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيّ : إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك ، قال : الله سمانى لك ؟ قال الله سمالك لى ، قال : فجعل أُنْبِيَّ يكي (١) . »

« وقال ابن مسعود ، قال لى النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علىّ ، قلت يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال نعم . فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » . قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان (٢) . »

لكن مع هذا المنهج الدقيق فى توثيق النص اختلف الصحابة فى قراءة القرآن والرسول بين ظهرانهم ، والأخبار فى ذلك كثيرة ، وأقر الرسول اختلافهم ، وكان الحديث الذى يبلغ مرتبة التواتر « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منها (٣) . »

ومهما يختلف شراح هذا الحديث ، ومهما يكثّر من حوله الجدل وتعدد أوجه القول على ما نعرفه فى مصادره ، فإن الجانب الذى يهمنا هنا هو أننا نرجح أن الحديث لم يقل إلا بعد الهجرة ، يؤكد ذلك أن بعض الطرق التى روى بها الحديث تذكر أن الرسول كان « عند أحجار المراء بالمدينة (٤) . » أو « عند أضاة بنى غفار (٥) »

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ٣ القسم الثانى ص ٦٠

(٢) فتح البارى : ٩ : ٧٧

(٣) فتح البارى : ٩ : ٢١ وتقل ابن الجزرى أن أبا عبيد القاسم بن سلام نص على توأّمه . النشر ١ : ٢١

(٤) تفسير الطبرى ١ : ٣٥ . وهو موضع بالمدينة . النهاية لابن الاثيرى ١ : ٢٠٣

(٥) تفسير الطبرى ١ : ٣٩ — ٤٦ . معجم ما استعجم ١٦٤

وهما موضعان بالمدينة ، وأن اختلاف الصحابة في القراءة كان يحدث في المسجد (١) ، ومعنى ذلك أن المشكلة لم توجد حيث كان الرسول في مكة ، وحيث كان عدد المسلمين قليلا ، وحين كان معظمهم من قريش يتحدثون بلهجة واحدة ، أما وقد انتقل الرسول إلى المدينة ، ودخل ناس كثيرون في الإسلام ، من قبائل مختلفة ، بلهجات متباينة ، ومنهم الطفل الذي لم يستقم لسانه ، والخدام الذي يجهل ، والشيخ والمرأة المعجوز ، هنا وجدت المشكلة ، فاختلف الناس في القراءة ، وتسمح الإسلام معهم فأقرهم الرسول على اختلافهم ، يوضح ذلك حديثه « إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخدام والشيخ العامى والمعجوز (٢) . » وقد تنبه ابن قتيبة لاختلاف لهجات العرب سببا في اختلاف قراءاتهم فقال « ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لفته ، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة (٣) . » وأكد ذلك ابن الجوزي بقوله « وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ، ويمسر على أحدهم الانتقال من لفته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم . فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا استطاع (٤) . »

ثم إن هناك جانباً آخر ينبغي الالتفات له هنا ، وهو أن النص القرآني لم يحفظ حسب عن طريق المشافهة ... نعم لقد كان الرسول يقرأ عليهم ويقرأونه بين بعضهم ، فهو

(١) تفسير الطبري : ١ : ٢٤ — ٣٢ — ٣٦

(٢) تفسير الطبري : ١ : ٣٥ والبرهان ١ : ٢٢٧

(٣) ابن قتيبة : (تأويل مشكل القرآن (الحلبي) ١٩٥٤ ص ٣٠

(٤) النفس ١ : ٢٢

من هذه الناحية محفوظ في « صدور الرجال » ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت نفسه كان يأمر بكتابة الوحي ، والراجح عندنا أن كتابة القرآن في عهد الرسول كانت في زمن مبكر من الدعوة ، أى قبل الهجرة ، ويؤكد ذلك ما نعرفه من خبر إسلام عمر (١) ، فالكتابة إذن كانت تسير مع القراءة عن طريق المشافهة في حفظ النص ، واستمر الرسول يأمر كتبة الوحي — كما نزل عليه — أن يرتبوه على ما يرى فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا (٢) » . ويقول زيد بن ثابت « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع (٣) » .

فإذا كانت هناك على ذلك نسخ مكتوبة من القرآن في عهد الرسول ، فإن الذي نرجحه أن هذه الكتابة قد حفظت النص على حرف واحد ، لأننا لا نستطيع أن يكون الرسم الواحد محتملا للأحرف السبعة جميعاً .

ومها يمكن من أمر فقد جمع أبو بكر القرآن في صحف أودعت عنده حتى توفي ثم عند عمر حتى توفي ثم كانت عند حفصة بنت عمر وزوج الرسول (٤) . ثم جمع عثمان القرآن في إمام معتمداً على نسخة حفصة ، ونسخ منه المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار . فالنص القرآني إذن بلغ — بالمشافهة والكتابة أيام الرسول وبجمع أبي بكر ثم عثمان — مستوى من الدقة والوثاقة لا يبلغه نص آخر .

صحيح أن هناك بعض الاختلاف في مصاحف الأمصار التي نسخت من المصحف

(١) تذكر الروايات أنه حين قرع على أخذه الباب « كان القوم جلوساً يقرأون القرآن في صحيفة » . أسد الغابة (القاهرة ١٢٨٦ هـ) ٥٤/٤

(٢) السيوطي : الاتقان ٦٢/١

(٣) السابق : ٥٩/١

(٤) السجستاني : المصاحف (الرحمانية ١٩٣٦) ٣٩ - ٤٩

الإمام^(١) ، لكنه إختلاف توارثت به الأخبار ، وصحيح أيضا أن الخط الذي كتبت به المصاحف لم يكن منقوطا ولا مشكولا ، ولكن ذلك لم يكن سببا في وجود القراءات القرآنية على ما ذهب إليه جولد تسهر من أن الخط العربي (من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب فهذه التكميلات للرسم الكتابي ثم هذه الاختلافات في الحركة والشكل ، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن^(٢) .
تقول إن الرسم لم يكن سببا في إختلاف القراءات ، ولكنه كان سببا في حفظ الإختلاف الموجود أصالة ، لأن القراءة سنة متبعة ، ولأن القراء أجمعوا على الأخذ بالثبت في الأثر والأصح في النقل ، وليس الأفضى في اللغة والأقيس في العربية^(٣) .

لكن السبب الرئيسي عندنا في إختلاف القراءات ، هو ما نقهه من طبيعة

القراءات ذاتها ومن طبيعة المجتمع الإسلامي الأول ، فالقرآن أخذ بالمشافهة أولا ، بين الرسول وجبريل من ناحية ، ثم بين الرسول وصحابته ، ومع كتابته له في الرقاع والعصب واللخاف والأكتاف وجد الإختلاف على ما رأينا من قبل ، وعاش الصحابة مع الرسول يقرأون فيختلفون ، واشتهر من بينهم تفر كثير ذكر منها أبو عبيد القاسم ابن سلام في كتاب القراءات الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالم وأبا هريرة وعبد الله بن السائب وابن عمر وابن عباس وعائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء كلهم من المهاجرين ، وذكر من الأنصار بن كعب وعبادة

(١) المصاحف : ٣٩ - ٤٩

(٢) جولد تسهر : المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن (القاهرة ١٩٤٤) ص ٤

(٣) النشر : ١ - ١١

ابن الصامت ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء وزيد بن ثابت وجميع بن جارية وأنس بن مالك ومسلمة بن مخلد (١) . ثم جاءت الفتوح الإسلامية وخرج الصحابة معها إلى الأمصار الإسلامية الجديدة يستقرون هناك . ونشط الخلفاء في إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار ليعلموا الناس القرآن ، بذلك على ذلك ما يذكره ابن سعد في الطبقات « جمع القرآن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار ، معاذ ابن جبل وعبادة بن صامت وأبي بن كعب وأبو أيوب وأبو الدرداء ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان ، أن أهل الشام قد كثروا وملأوا الدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعنى يا أمير المؤمنين رجال يعلمونهم . فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم : إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ، ويفقههم في الدين فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم إن أحيتهم فاستهموا ، وإن أمتدب ثلاثة منكم فليخرجوا ، فقالوا ما كنا لتقسام ، هذا شيخ كبير لأبي أيوب ، وأما هذا فسقيم لأبي بن كعب ، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء فقال عمر ابدأوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة ، منهم من يلحق ، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين ، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها ، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات (٢) . »

وبذلك على ذلك أيضا ما جاء في خبر حذيفة حين قال لسعيد بن العاص « رأيت أناسا من أهل حمص يقولون إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وإنهم أخذوا القرآن عن المقداد ورأيت أهل دمشق يقولون إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم

(١) الإتيان : ١ : ٧٤ والنشر : ١ : ٦

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ القسم الثاني ١١٤

ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على ابن مسعود وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على أبي موسى (١) .

وعلى هذا الأساس سارت الحال مع القراءات ، اختلف الصحابة أول الأمر في القراءة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم على ما عرفنا من أسباب ، وخرجوا مع الفتح يقرئون الناس فتختلف قراءاتهم ، وكانت المصاحف العثمانية المجموعة على حرف وبعد إحراق ما عداها من مصاحف محتملة لكثير من هذا الاختلاف ، فكثرت القراءات الأئمة ، وتعددت القراءات المأخوذة عنهم ، ويبدو أن (القراءات السبع) لم تكن قد اشتهرت في الوقت الذي بدأ العلماء فيه يؤلفون في القراءات كآبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبري وإسماعيل بن إسحق القاضي ، فقد ذكروا في كتبهم أضعاف تلك القراءات (٢) ، ثم جاء وقت بدأ الناس فيه يقولون على قراءات بعض الأئمة دون بعض ، وبدأت تظهر عبارة (القراءات السبع) على رأس المائتين ، لسبعة من القراء اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة وهم :

١ — في مكة عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ (٣)) ، لقي من الصحابة أنس بن مالك وعبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري .

٢ — في المدينة نافع بن عبد الرحمن (١٦٩ هـ (٤)) ، تلقى القراءة عن سبعين من التابعين أخذوا عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وأبي هريرة .

٣ — في الشام عبد الله اليحصبي المشهور بابن عامر (١١٨ هـ (٥)) أخذ

(١) ابن الأثير : الكامل (الأزهرية ١٣٠٢ هـ) ٥٣/٣ حوادث سنة ٣٠

(٢) فتح الباري : ٩ : ٢٦

(٣) غاية النهاية (السعادة ١٩٣٢) ١ : ٤٤٣

(٤) غاية النهاية (السعادة ١٩٣٢) ٢ : ٢٣٠

(٥) السابق : ١ : ٤٢٣

القراءة عن النيرة بن أبي شهاب الخزومي عن عثمان بن عفان ولقي من الصحابة النعمان بن بشير ووائل بن الأسقع ، ويقول بعضهم إنه لقي عثمان نفسه وأخذ عنه .

٤ — في البصرة أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ (١) ، روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب .

٥ — في البصرة أيضا يعقوب بن إسحق الحضري (٢٠٥ هـ (٢) قرأ على سلام بن سليمان الطويل عن عاصم وأبي عمر .

٦ — في الكوفة حمزة بن حبيب الزيات (١٥٦ هـ (٣) قرأ على سليمان ابن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلى وابن مسعود .

٧ — في الكوفة أيضا عاصم بن أبي النجود (١٣٧ هـ (٤) قرأ على زر ابن حبيش على عبد الله ابن مسعود .

وتستمر شهرة هؤلاء الأئمة حتى يأتي أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ (٥) على رأس الثلاثمائة للهجرة فيسبع السبع ويشذ ما عداها ، ولكنه يحذف اسم يعقوب قارئ البصرة ويثبت مكانه على بن حمزة الكسائي (١٨٩ هـ (٦) إمام أهل الكوفة فيكون بذلك للكوفة ثلاثة قراء ولكل من مكة والندينة والبصرة والشام قارئ واحد .

(١) السابق : ١ : ٢٨٨

(٢) السابق : ٢ : ٣٨٦

(٣) السابق : ١ : ٢٦١

(٤) السابق : ١ : ٣٤٦

(٥) غاية النهاية : ١ : ١٣٩

(٦) السابق : ١ : ٥٣٥

واشتهرت إلى هذه السبع قراءات أخرى تمت بها عشرأ وهي قراءة يعقوب
الذي سبقت الإشارة إليه وقراءة خلف بن هشام (ت ٢٣٩ هـ ^(١)) الذي قرأ على
سليم بن عيسى عن حمزة بن حبيب الزيات ، وقراءة يزيد بن القعقاع المشهور بأبي
جعفر (١٣٠ هـ ^(٢)) .

ووضع العلماء — لمعرفة القراءات الصحيحة — ضابطا من ثلاثة أشرط
لا يتخاف منها واحد :

- ١ — أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .
- ٢ — أن تكون القراءة موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .
- ٣ — أن يصح سندها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

وبتطبيق هذا الضابط عرفت القراءة الصحيحة ، فكل قراءة وافقت العربية
ولو بوجه ووافقت المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة
التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن
ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من
الأئمة المقبولين ^(٤) . والذي يهمننا هنا في هذا الضابط أنه يصل بالنص القرآني إلى
مرتبة الوثاقة التي ننشدها فيه حين نتخذه مصدراً لدراسة اللهجات العربية .

* * *

وبوجود هذا الضابط أيضاً عرفت القراءات الشاذة ، والحق أن هذه الشواذ قد
أثارت نقاشاً واسعاً بين علماء القراءات ، ولعل أهم حادثة تذكرها الروايات بشأنها

(١) السابق : ١ : ٢٧٢

(٢) السابق : ٢ : ٣٨٢

(٣) الذمير : ١ : ٩ والافتان : ١ : ٢٧

(٤) الذمير : ١ : ٩

تلك التي وقعت بين ابن مجاهد مسيع السبع وابن شنبوذ (ت ٣٢٨ هـ) وابن مقسم (ت ٣٥٤ هـ) اللذين كانا يخالفان ابن مجاهد فيما ذهب إليه . فعقد لسل كل منها ابن مجاهد مجلساً بحضرة الوزير ابن مقلة ضرب فيه أحدهما — ابن شنبوذ — (سبع درر ، وهو يدعو على الوزير بأن يقطع الله يده ، ويشئت شمله ، ثم أوقعه على الحروف فأهدر منها ما كان شنيعاً ، وتوبه عن التلاوة بها غضباً (١) .) « وأحضر الثاني واستتابه بحضرة الفقهاء والقراء فأذعن بالتوبة وكتب محضر توبته (٢) » :

وأهل معرفتنا لموقف الرجلين أن تعيننا على تبين الضابط الذي تعرف به القراءات الشاذة .

أما ابن شنبوذ فيصفه ابن الجزرى بأنه « شيخ الإقراء بالعراق ، أستاذ كبير ، أحد من جال في البلاد في طلب القراءات ، مع اقة والخير والصلاح والعلم (٣) » .

وأما ابن مقسم فيصفه على قول الداني بأنه « مشهور بالضبط والإتقان عالم بالعربية حافظ للغة ، حسن التصنيف في علوم القرآن (٤) » .

ولقد يلمح بعض أن هناك عوامل شخصية أدت إلى موقف ابن مجاهد من الرجلين ومن ابن شنبوذ خاصة ، وذلك في مثل قول ابن الجزرى بأنه « قد وقع بينه وبين أبي بكر بن مجاهد على عادة الأقران » أو في وصفه له بأنه « لم تغبر قدماء في هذا العلم (٥) » . وحين عقد له المجلس « أغلظ للوزير في الخطاب ، وللقاضى ولابن

(١) غاية النهاية : ٢ : ٥٢ .

(٢) » ١٢٤ : ٢ .

(٣) غاية النهاية : ٢ : ٥٢ .

(٤) » ١٢٤ : ٢ : ٥٢ .

(٥) » ٥٤ : ٢ : ٥٢ .

مجاهد ونسبهم إلى قلة المعرفة وأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر (١) . لكننا نؤكد أن موقف الرجل ما كان يمكن أن يكون أقل من ذلك في أمر يتصل بأقدس ما تقوم عليه حياة الأمة .

وانحاول الآن أن نعرف القراءات التي حدث ما حدث بسببها لابن شبنوذ ، قال ابن الجزري « والذى أنكر على ابن شبنوذ حين عقد له المجلس بحضرة الوزير أبي علي بن مقلة وبحضور ابن مجاهد وجماعة من العلماء والقضاة ، وكتب عليه به المحضر ، واستتيب عنه بعد اعترافه به هو « فامضوا إلى ذكر الله ٦٢ / ٩ » و « تجملون شكركم أنكم تكذبون ٨٢ / ٥٦ » و « وكل سفينة صالحة غصبا ٧٩ / ١٨ » و « كالصوف المنفوش ١٠١ / ٥ » و « فاليوم نضحك بيدك ٩٢ / ١٠ » و « تبت يدا أبي لهب وتب ١ / ١١١ » و « فلما خرّ تبنت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون القيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين ١٤ / ٣٤ » و « الذكر والأنثى ٣ / ٩٢ » و « فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً ٧٧ / ٢٥ » و « ينهون عن النكر ويستعينون الله على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون ٣ / ١٠٤ » و « فساد عريض ٨ / ٧٣ » (٢) .

ومع مقابلة هذه القراءات بقراءات الصحابة وجدنا أنها جميعاً لابن مسعود (٣) فيما عدا « وتجملون شكركم أنكم تكذبون » فهي أهلي وابن عباس (٤) ، و « وفساد عريض » فهي لأبي بن كعب (٥) ، و « فقد كذب الكافرون فسوف

(١) غاية النهاية : ٢ : ٥٤ .

(٢) » : ٢ : ٥٤ .

(٣) انظر جفري ٢٠ - ١١٣ .

(٤) السابق ١٩١ - ٢٠٦ .

(٥) السابق : ١٣٣ .

يرى يكون لزاما « فهي لابن عباس (١) .

مراة النص
فهذه القراءات إذن صحيحة السند ، وهي موافقة للعربية ، لكنها مخالفة لرسم المصاحف العثمانية . ولذلك يقرر ابن الجزري أن (ابن شبنو) كان يرى جواز القراءة بما خالف الرسم (٢) .

أما (ابن مقسم) فقد كان يرى أن كل قراءة وافقت المصحف ووجهها في العربية فالقراء بها جائزة وإن لم يكن لها سند (٣) . وليس من شك في أن ما ذهب إليه ابن مقسم — إن كان صحيحا — لا يدخل في الشواذ ، بل هو من المردود ، إذ القراءة سنة متبعة ، والقرآن لا يثبت إلا بالنقل ، وقد ذهب إلى ذلك ابن الجزري في تعريفه بالمردود بأنه « ما وافق العربية والرسم ، ولم ينقل البتة فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتبه مرتكب لعظيم من الكبائر ، وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر محمد ابن الحسن بن مقسم البغدادى المقرئ النحوي وكان بعد الثلاثمائة ، قال الإمام أبوطاهر ابن أبي هاشم في كتابه البيان ، وقد نبغ نابغ في عصرنا فزعم أن كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل (٤) .

فالرجلان إذن كانا يتفقان على موافقة القراءة العربية ومختلفان في الشرطين الآخرين ، أما (ابن مقسم) فلم يشترط النقل ، وقد رأينا أنهم يعملون ذلك من المردود ويبقى إذن مقياس ابن شبنو وهو صحة النقل وموافقة العربية ومخالفة الرسم .

ولنستعرض الآن آراء العلماء في الشواذ لنصل إلى المقياس الصحيح لها . قال مسكي بن أبي طالب في الإبانة « فإن سأل سائل فقال ، ما الذى يقبل من القراءات

(١) ابن خالويه : القراءات الشاذة (الرحمانية ١٩٣٤) ١٠٥

(٢) غاية النهاية : ٢ : ٥٤

(٣) السابق : ٢ : ١٢٤

(٤) النشر : ١ : ١٧ وغاية النهاية ٢ : ١٢٤

يقراً به ، وما الذى لا يقبل ولا يقراً به ، وما الذى يقبل ولا يقراً به ، فالجواب
أن جميع ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام

(١) — قسم يقراً به اليوم وذلك ما أجمع فيه ثلاث خلال وهى أن يستقل عن
الثقات إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون وجهه في العربية التى نزل بها القرآن
سائفاً ، ويكون موافقاً لحظ المصحف ويكفر من جعده (صحيح)

(٢) — ما صح نقله في الآحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظه لفظ المصحف
مهدا يقبل ولا يقراً به اعمتين ، إحداهما أنه لم يوجد إجماع ، إنما أحد أجار الآحاد .
والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه ولا يكفر من جعده (شاذ)

(٣) — ما نقله غير ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق حظ
المصحف (١) . « أي (مردود)

فقياس الشاذ عند مكى — وهو القسم الثانى — هو أن يكون منقولاً نقل
آحاد موافقاً للعربية ، لكنه مخالف للرسم .

ونقل ابن الجزرى في النشر عن ابن دقيق العيد أن « الشواذ نقلت لنقل
آحاد (٢) » . وبقل السيوطى في إتقانه خمسة أقوال

(١) — فنقل عن القاصى اللاتى أن القراء : « تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ ،
فالمتواتر القراءات السبع المشهورة ، والآحاد قراءات الثلاثة الى هى عام العشر
ويلاحظ بها قراءات الصغار . والشاذ قراءات الناهين كالأعشى وبجى وثاب وابن
جبير ونحوهم (٣) »

(١) مكى بن أبى طالب : إنباء عن معاني القراءات بخطوط دار الكتب رقم ١٩٦٦٤ -
ورقة ٥

١٥ ١ عشر

٧٧ ١ الاقفاص (٣)

وواضح أن هذا الرأي لا يستقيم مقياساً للشواذ، لأن هؤلاء التابعين ناقلون للقراءة من الصحابة الذين نقلوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن هؤلاء التابعين أخذ أئمة القراء على نحو ما نعرف عن نافع أنه قرأ على سبعين من التابعين (١) .

ونقل عن ابن الجزرى مخالفة الرسم « فإن لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية فساد لمخالفتها الرسم المجمع عليه (٢) » .

٣ — ونقل عن الكواشى أن كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ (٣) .

وهذا النص في الواقع لا ينطبق على القراءات الشاذة إذ لو فقد ركن النقل مثلاً لما كانت القراءة شاذة بل مردودة .

٤ — ونقل عن السبكي قوله « تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذ » ثم علق على النص بقوله « وظاهر هذا يوم أن غير السبع المشهورة من الشواذ ، وقد نقل البغوى الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبى جعفر مع السبع المشهورة وهذا هو القول الصواب » (٤) .

٥ — والقول الخامس هو ما وصل إليه السيوطى نفسه حين يرى أن « الشاذ هو ما لم يصح سنده (٥) » وقد رأينا فساد هذا الرأي .

والذى نراه في ضابط الشاذ هو ما ذهب إليه ابن الجزرى في النشر والمنجد ،

(١) النشر : ١ : ١١٢

(٢) الاتفاق : ١ : ٧٧

(٣) » : ١ : ٨٣

(٤) » : ١ : ٨٣

(٥) » : ١ : ٧٩

وقد قال عنه السيوطي « أتقن الإمام ابن الجزري هذا الفصل جداً ^(١) ». — فقد ذهب أولاً في تحليله لضابط القراءة الصحيحة إلى أنه « متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم ^(٢) ». وهذا النص لا يوقفنا على المقياس الصحيح الشاذ ، لكنه يقول في موضع آخر « فلو لم يكن ذلك كذلك في شيء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه ^(٣) ». وزاد ذلك إيضاحاً في المنجد حين أخذ يحلل ضابط القراءة الصحيحة ، وذكر أنها حين تجتمع تكون القراءة متواترة أو صحيحة للسبعة أو لغيرهم ، وحين يجتمع الأول (موافقة العربية ولو بوجه) والثالث (صحة السند) ، دون موافقة الرسم ، تصبح القراءة شاذة ، وضرب على ذلك مثلاً ما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم وقال « فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها ، لا في الصلاة ولا في غيرها ^(٤) » .

فالقراءات الشاذة إذن هي التي تفتقد موافقة المصاحف العثمانية والذي يهمنا هنا — في هذا البحث — هو أن هذه القراءات يتصل سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يجعلها مصدراً لدراسة اللهجات العربية . يقول ابن جني « إلا أنه — أى الشاذ — مع خروجه عنها — أى الصحيحة — نازع بالثقة إلى قرائه مخفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع

(١) الاتقان : ١ : ٧٩

(٢) النشر : ١ : ٩

(٣) السابق ١ : ١١

(٤) ابن الجزري : منجد المقرئين (القدس ١٣٥٠ هـ) ١٥ - ١٧

عليه (١) . . . و « أنه ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه (٢) . و « الرواية تميّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه) وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ ، وآخذه ه الآخذ به ، فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتبه (٣) ؟ .

* * *

وبعد فنحسب أننا بعد هذا العرض نستطيع أن تنتقل إلى الحديث عن :

-
- (١) ابن جني : المحتسب : نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رقم ٤٤٤ م
عن مخطوطة دار الكتب رقم ٧٨ قراءات ص ٢
(٢) المحتسب ص ٣
(٣) المحتسب ص ٣

الفصل الثاني

القرارات مصدر أصيل لدراسة اللهجات

في شبه الجزيرة العربية ، ومع هذا الواقع اللغوي الذي بيناه في الفصل الأول ، نزل القرآن الكريم نصا معجزا يتحدى العرب بلغتهم التي كانت فهم الأول ، وكان طبيعيا أن يخاطبهم بما اعتادت عليه ألسنتهم حتى يكون أقرب إلى قلوبهم .

وقد رأيت مارأيت عن حديث الأجراف السبعة ، وعن أنه صلى الله عليه وسلم بعث «إلى أمه أميين ومنهم الغلام والحادم والشيخ العاسي والمعجوز .» ورأيت ماعلى به ابن قتيبة وابن الجزري اختلاف القراءات لاختلاف اللهجات. ثم رأيت أيضا هذا الضابط الذي وضعوه للقراءة الصحيحة ، والذي أحد أشرطه أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .

وموافقة العربية ولو بوجه هو ما نعتده هنا من صحة القراءة بلهجات العرب على اختلافها ، يؤكد ذلك ما يقرره ابن خالويه في أول حجته بقوله « فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلامهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرف مذهبا من العربية لا يدفع ، وقصد من المقياس وجها لا يمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار . (١) »

فالقراءات القرآنية إذن هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة قبل الإسلام ، ونحن نعتبر القراءات أصل المصادر جميعا في

(١) ابن خالويه : الحجة في تراوات الأئمة السبعة . مخطوطة بدار الكتب بـرقم ١٩٩٨٢ بـ ص ١

معرفة اللهجات العربية ، لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والتبريل يختلف عن طرق نقل الحديث ، وقد رأيت ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلقيه الوحي ثم عرضه على جبريل ، وما كان من إقرائه الصحابة وقراءتهم عليه .

وعلى هذا المنهج سار أصحاب القراءات « فلم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط في التحمل ، وإن اكتفوا به في الحديث ، قالوا لأن انقصود هنا كيفية الأداء ، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء ، أى فلا بد من قراءة الطالب على الشيخ . (١) »
فالقراءة إذن لا تكتفى في النقل بالسماع ، بل لابد من شرط التلقى والعرض ، وهما أصح الطرق في النقل اللغوي . وكان من نتيجة ذلك ما رأيت من أن « أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يرد لها قياس عربية ولا فشوامة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليهم (٢) . »

أضف إلى ذلك أن أصحاب القراءات كانوا — إلى شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان — على معرفة واسعة بالعربية ووجوها ، فقد كان ابن كثير « أعلم بالعربية من مجاهد . (٣) » وعرف عن عاصم أنه « جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد (٤) . » كما عرف عن حمزة أنه « كان ثقة كبيراً ، حجة رضى ، قيا بكتاب الله ، مجوداً ، عارفاً بالفرائض والعربية (٥) . » والحديث عن أبي عمرو

(١) البناء / إتحاف فضلاء البعث بالقراءات الأربعة عشر (القسطنطينية ١٢٨٥ هـ)

ص ٣ / ٤

(٢) الذمير ١١ / ١

(٣) غاية النهاية ٤٤٣ / ١

(٤) السابق ٣٤٦ / ١

(٥) الذمير ١٦٦ / ١

ابن العلاء والكسائي إمامي أهل البصرة والكوفة من هذه الناحية — لا يحتاج إلى بيان .

لكن هل كان القراء على درجة من الضبط والدقة في النقل بحيث لا يلتبس عليهم شيء ، وبحيث نقل عنهم قراءاتهم — على أنها مصدر لدراسة اللهجات — قبولاً مطلقاً ؟

إن هناك نصوصاً ينبغي أن تتوقف عندها قليلاً .

ففي اختلافهم في قراءة « فنعما هي » قرأ أبو جعفر وأبو عمر بكسر النون وإسكان العين (١) . ويعلق أبو علي « وأمل أبا عمرو أخفى ذلك (أي حركة العين) كأخذه بالإخفاء في « بارئكم » و « يأمركم » فظن السامع الإخفاء إسكاناً للطف ذلك في السمع وخفائه (٢) . »

وفي اختلافهم في قراءة « ماذا قال آتفا » قرأ ابن كثير وحده « ماذا قال آتفا » ويعلق أبو علي « فأما ما روى عن ابن كثير من قوله « آتفا » فيجوز أن يكون توهمه مثل حاذر وحذر وفاكه وفكه ، والوجه الرواية الأخرى « آتفا » بالمد كما قرأه عامتهم (٣) . »

ويقول ابن جني « ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو (مالك لا تأمنا على يوسف) مختلساً لا محققاً ، وكذلك قوله عز وجل (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) مخفى لا مستوفى ، وكذلك قوله عز وجل (فتوبوا إلى بارئكم) مختلساً غير ممكن كسر الهمزة ، حتى دعا ذلك من اطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة ،

(١) السابق ٣٣٥:٢

(٢) أبو علي الفارسي : الحجة في القراءات السبع . مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم

٣٥٧٠ ج ٣: ٣٧

(٣) الحجة ١٦٧:٧

لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ، ولم يؤت القرم في ذلك من ضعف أمانة ، لكن أتوا من ضعف دراية (١) . »

فماذا يكون موقفنا من هذه النصوص ؟ هل نوافق سيويه وأبا علي وأبا الفتح على ما ذهبوا إليه فنخرج هذه القراءات ؟ أم أننا ينبغي أن نضع في اعتبارنا حقيقة هامة ، وهي أن هؤلاء الثلاثة نحاة ، وأن الآخرين قراء ، وفرق كبير بين هؤلاء وأولئك ؟

فالنحاة أصحاب تعقيد وتنظيم ، وهذه الروايات التي تخرج على قواعدهم كانت تفجأهم فلا يكون منهم إلا تجريئها وإخراجها على التوهم ، والقراء أصحاب أداء ، وهم أهل تلق وعرض ، فهم — من هذه الناحية أدق من النحاة في نقلهم للغة — نحسب أن الحق في جانب القراء حيث إن بحثنا في اللهجات ثبت أنه قد كانت هناك لهجات مستعملة تؤيد هذه القراءات على النحو الذي سيظهر في الباب الرابع من هذا البحث ، ولو كان النحاة مهتمين بدراسة اللهجات العربية القديمة لما ردوا هذه القراءات ولما جرحوا أصحابها .

ولقد كان أصحاب القراءات والمهتمون بها يدركون هذا الفرق بين منهجى النحو والقراءات ، ويرون — بحق — أن منهجهم أوثق وأصح من هذه الأصول والقواعد التي خضع لها النحاة وحاولوا أن يخضعوا لها العربية .

فهذا أبو حيان يقرر « أن نقل القراءات السبع متواتر لا يمكن وقوع الغلط فيه . » (٢) ثم إليك هذا النص المصاحم عنده . قال في قراءة « وجعلنا لكم فيها معاش » بالهمز . « قال المازني ، أصل هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدرى ما العربية وكلام العرب التصحيح في نحو هذا . انتهى . ولسنا متعبدين بأقوال البصرة . . . »

(١) الخصائص ١: ٧٣

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ٢: ٣٢٤

فوجب قبول ما نقلوه إلينا ولا مبالاة بمخالفة نعمة البصرة في مثل هذا ، وأما قول المازني أصل هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح لأنها نقلت عن ابن عامر وعن الأعرج وزيد بن علي والأعمش ، وأما قوله إن نافع لم يكن يدرى ما العربية فشهادة على النفي ، ولو فرضنا أنه لا يدرى ما العربية وهى هذه الصناعة التى يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثيرون من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك. « (١) رأيت إلى هذه الكلمات الأخيرة التى تعنى تصورا صحيحا للفهم اللغوى ؟ فالقارىء هنا فصيح ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، ومعنى ذلك أن النحوليس هو المستوى الوحيد للعربية ، بل إنه لا يرقى أمام القراءات باعتبارها مصدرا لدراستها ، وهو لذلك يقرر « أن لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تنجى على ما علمه البصريون ونقلوه . » (٢)

والآن ، إذا كنا مصيبين في نظرتنا إلى القراءات القرآنية ، وإذا كنا نعتمد عليها — فى المقام الأول — لمعرفة اللهجات العربية قبل الإسلام ، فهل نعتمد على القراءات الصحيحة وحدها دون الشاذة أم نعتمد عليها معا ؟

نحن لا نستطيع أن نعول على القراءات الصحيحة وحدها فى معرفة اللهجات العربية ، إذ أن العبرة فى اختلاف القراءات إنما كانت لاختلاف اللهجات ، وهذه القراءات الصحيحة ليست كل القراءات التى كان يقرأ بها المسلمون الأولون ، لكنها اشتهرت على رأس الثلاثمائة (٣) حين سبغ ابن مجاهد القراءات السبع وشذذ ما عداها . « فالقراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان

(١) السابق : ٤ : ٢٧١ - ٢٧٢

(٢) البحر : ٢ : ٣٦٢

(٣) غاية النهاية : ١ : ١٣٩

مشهورا في الأعصار الأول قل من كثر ونزر من بحر فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين^(١) . « ولو بقيت هذه القراءات حتى اليوم لكان محتملا أن تقدم لنا مادة لهجية كبيرة تعيننا على تصور اللهجات تصورا أكثر وضوحاً . وعلى أية حال فإن القراءات الشاذة جاءت منقولة مروية ، والرواية تبلغ بها عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الأمر الذي يهنا هنا إذ تعتبر بذلك صورة لاختلاف اللهجات ، وقد قرأت قول ابن جني حين قال « إلا أنه (أى الشاذ) مع خروجه عنها (أى الصحيحة) نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة المجتمع عليه^(٢) . « . . . و « أنه ضارب في صحة الرواية بجرانه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه^(٣) . « و « الرواية تنميه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه » وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ وآخذه هو الآخذ به فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه ؟^(٤) »

وعلى ذلك يقرر السيوطي أن « كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه^(٥) » .

نحن إذن نستطيع أن نعتمد على القراءات صحيحتها وشاذها في معرفة اللهجات

العربية ، لكن كيف ؟ ...

(٣) النشر : ١ : ٣٣

(٢) ابن جني : المختص ص ٢

(٣) السابق : ص ٣

(٤) السابق : ٣

(٥) السيوطي : الاقتراح ص ١٧

هل نعتد في معرفة اللهجات على القارىء نفسه ، فنبحث عن تراجم القراء ، فإذا كان منهم قرشي قلنا إن قراءته هي لهجة قريش ، وإن كان منهم تميمي قلنا إن قراءته هي لهجة تميم ؟ ثم نذهب أبعد من ذلك فنبحث عن الصحابي الذي تنتمي إليه القراءات فنعزوها إلى لهجة قبيلته ؟ . أم نعتد على بيضة القراء ، فنبحث هذه البيئات ومن كان ينزل بها من قبائل ، فنقول — على ذلك — إن قراءة الكسائي تمثل لهجة الأوس والحزرج مثلا ، وإن قراءة ابن كثير تمثل لهجة قريش ، وإن قراءة الكسائي تمثل لهجات القبائل التي كانت تنزل الكوفة وهكذا ؟ . .

نحن لا نستطيع أن نتخذ أيًا من هذين السبيلين ، للأسباب الآتية :

١ — أن القراء لم تكن تروى عنهم رواية واحدة ، بل جاء عنهم كثير من الروايات في قراءة واحدة ، فإذا كانت إحدى هذه الروايات يمكن أن تنسب إلى قبيلة والأخرى تنسب إلى غيرها ، فماذا يكون الموقف ؟ .

٢ — أننا لو فعلنا ذلك لكننا متناقضين مع المنهج الذي قررناه في القراءات من أن القارىء ليس غير ناقل للقراءة تلقاها ثم عرضها على أشيائه ، ثم إن هؤلاء القراء أخذوا عن كثير من الشيوخ على نحو ما نعرف من أن نافعا قرأ على سبعين من التابعين (١) . فإلى أيهم تنسب قراءته ؟ .

٣ — أن القارىء لا يمثل بيئته تماما ، وخير مثال عندنا ابن كثير قارىء مكة ، ومكة منزل قريش ، وقريش تسهل ولا تهمز ، وابن كثير كان أكثر الهامزين (٢) .

٤ — أن العربي كان يستطيع أن يجمع بين أكثر من لهجة على النحو الذي يبناء من قبل ، ثم إن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان

(١) الفهرست : ١ : ١١٢

(٢) أبو علي : المحجة : ٦ : ٦٧

كما ثبت في الصحيح وكلاهما قرشي من لهجة واحدة وقبيلة واحدة
نحن إذن لا نستطيع أن نسلك هذه السبيل أو تلك ، لكننا تتبع منهاجاً آخر ،
وهو أن نجتمع هذه القراءات من مظانها ، ونخرج منها ما نراه ممثلاً لل لهجة من
اللهجات ، ونعزو هذه اللهجات إلى قبائلها ، ونبحث عما يؤيدها في المصادر الأخرى
من اللغة والأدب ، وندرسها الدرس اللغوي العلمي الحديث .
ونحن نعتمد في جمع هذه القراءات على المصادر الآتية :

١ — كتب القراءات ، صحيحها وشاذها .

٢ — كتب الاحتجاج للقراءات .

٣ — كتب التفسير .

وفي هذه الكتب رصد طيب للهجات القبائل ، ونحن نضع بين يديك هذا الإحصاء
لتدرك منه حجم المادة اللهجية الموجودة فيها .
ففي حجة أبي على ذكر للقبائل الآتية (١) :

قريش — الحرميين — الحجاز وتميم — بكر بن وائل — طيء — قيس
بنو سليم — هذيل — بنو أسد — بنو ضبة — غطفان — الطائف — قهد .
وفي المحتسب لابن جني (٢) :

قيس — بنو سليم — هذيل — عقيل — الحجاز وتميم — الأنصار — أزد السراة —
بنو كلاب — بنو أسد — ربيعة — وهيل .

في البحر المحيط (٣) :

(١) انظر مثلاً ج ١ : ٤٨ — ٤٩ — ٥٦ — ٥٨ — ٧٤ — ١٧٤ — ٣١٦ ج ٣ : ٣٨ —
١٢٨ — ٢٣٩ ج ٤ : ٣٨ — ٢٩٩ ج ٧ : ٣٣٨ على التوالي .

(٢) انظر صفحات ١٥ ، ٢٦ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٤ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٧٧ ، ٢٧٠ ، ١٧٠ .

(٣) انظر ج ١ : ٢٢ ، ٢٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ١١٨ ، ٢٣٩ ج ٢ : ٢٦١ ،

٤٩٩ ج ٣ : ٣١٢ ، ٢٤٦ ، ٤١٩ ج ٥ : ٤١٩ ج ٧ : ٢٦٦ ج ٨ : ١١

الحجاز وتميم وأسد ورييمة وقيس - قريش وعذرة وكعب وبنو القين - كنانة
وهذيل - بنو أسد وبنو دبير - غنم - نجد - بنو صباح - أزد شنوءة - بنو
الصعداء - طيء - الأنصار - عقيل وكلاب - بكر بن وائل - كلب - بنو
يربوع - اليمن - أهل اليمامة .

وفي الإتحاف (١) :-

قريش - الحجاز - قيس وبنو سعد - بنو أسد - عقيل - نجد - تميم
هذيل - كنانة - بنو يربوع - غطفان .

نحن إذن أمام مادة لهجية يمكن أن تعيننا - مع المنهج الذي اخترناه - على أن
تبين بعضاً من ملامح اللهجات التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية ، وهو
ما سوف نتناوله في الباب التالي .

(١) انظر ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٨، ١٦١، ١٦٤، ١٩٦، ٢٦٧، ٣٢٧، ٤٨٩

المجلس الأعلى للثقافة

مركز البحوث والدراسات

البحوث والدراسات

البحوث والدراسات

البَابُ الرَّابِعُ

دراسة لغوية في اللهجات

المجلس الأعلى للثقافة

مركز البحوث والدراسات

الدراسات والبحوث

الدراسات والبحوث

الفصل الأول

المستوى الصوتي

أولاً - الصوائت والصوامت

١ - الهمزة

الهمزة عند القدماء حرف مجهور من أقصى الحلق^(١) . أو هي « حرف مجهور ،
سفل في الحلق ، وبعد عن الحروف ، وحصل طرفاً^(٢) . » أو هي « حرف شديد
مستقل من أقصى الحلق^(٣) . »

وهي بعد البحث التجريبي صوت صامت حنجري انفجاري ، وهو يحدث بأن
تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الورين انطباقاً تاماً
فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ، ثم ينفرج
الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً^(٤)

فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالهموس ، لأن فتحة المزمار معها
مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا نسمع لهذا دبديبة الورين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور
إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة^(٥) .
وانتداهم علماء القراءات اهتماماً كبيراً بالهمزة ، فعندوا لها فصلاً مطولة ،
نحدثوا فيها عن أحكامها محققة أو مبدلة أو محدودة

(١) سيوييه الكتاب ٢ : ٢٠٥

(٢) ابن جني سر صناعة الإعراب (الطبعة ١٩٥٤) ١ - ٧٨ - ٨١

(٣) ابن يمين شرح المفصل ٩ : ١٠٧

(٤) الدكتور محمود السمران علم اللغة (المعارف ١٩٦٢) ص ١٧٠

(٥) الدكتور راهم أنيس الأصوات اللغوية ٥٠ - ١٩٥٠ - ٨٣

والهمزة قسماً : -

١ — همزة مفردة . ٢ — همزتان مجتمعتان في كلمة أو كلمتين .

والهمزة المفردة ضربان : -

١ — همزة ساكنة . ٢ — همزة متحركة .

والساكنة على ثلاثة أضرب (١) . -

١ — مضموم ما قبلها . ٢ — مكسور ما قبلها .

٣ — مفتوح ما قبلها .

والمتحركة على ضربين : -

١ — متحركة قبلها متحرك . ٢ — متحركة قبلها ساكن .

والهمزتان المجتمعتان إما أن تكونا في كلمة أو في كلمتين .

(أ) الهمزتان المجتمعتان في كلمة (٢) .

تأتي الأولى منهما همزة زائدة للاستفهام وانقيده ، ولا تكون إلا متحركة ،
ولا تكون همزة الاستفهام إلا مفتوحة .

وتأتي الثانية منهما متحركة وساكنة . والتحركة إما أن تكون مفتوحة
أو مكسورة أو مضمومة .

(ب) والهمزتان المجتمعتان في كلمتين (٣) تأتيان على ضربين : -

١ — همزتان متفتحتان . ٢ — همزتان مختلفتان

والمتفتحتان إما أن تكونا متفتحتين بالكسر أو بالفتح أو بالضم .

(١) ابن الجوزي : ١ : ٣٩٠

(٢) النشر : ١ : ٣٦٢

(٣) السابق : ١ : ٦٣٢

والمختلفان على خمسة أقسام :

- ١ — مفتوحة ومضمومة .
- ٢ — مفتوحة ومكسورة .
- ٣ — مضمومة ومفتوحة .
- ٤ — مكسورة ومفتوحة .
- ٥ — مضمومة ومكسورة .

وغليظنا الآن أن نعرض لمذاهب القراء في الهمز لنرى بعد ذلك لهجات القبائل فيها .

أولاً - الهمزة المفردة

١ - آراءات صحيحة

أ — الهمزة الساكنة :

- ١ — مضموم ما قبلها نحو (يُؤْمِن — يُؤْتِي — مُؤْتَفَكَة — ويقولُ ائذن لي)
- ٢ — مكسور ما قبلها نحو (يَأْس — جِئْتُ — شِئْتُ — الذي اتَّمن) .
- ٣ — مفتوح ما قبلها نحو (فَأَتَوْهُن — فَأَذْنُوا — وَأَمْرَاهُك — والهدَى اتنا)

فقرأ أبو جعفر (١) وحده جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله . وقرأ الباقون بالهمز .

ولم يختلفوا في (أُنِيسْتُمْ) بسكونها وكسر ما قبلها فقرأها كلهم بالهمز (٢) .

ب — الهمزة المتحركة وقبلها متحرك .

- ١ — مفتوحة قبلها مضموم نحو (يُؤَدِّهِ — يُؤَاخِذ — يُؤَلِّف) فقرأ أبو جعفر بإبدالها واواً وقرأ الباقون بالهمز (٣) .
- ٢ — مفتوحة قبلها مكسور نحو (رِثَاءُ النَّاس — خَاسِئاً — شَاثِك)

(١) النشر : ١ : ٣٩٠

(٢) أبو علي : الحجة ٢ : ٢

(٣) النشر : ١ : ٣٩٥

فقرأ أبو جعفر وحده بإبدالها ياء ، وقرأ الباقون بالهمز ^(١) . وقرأ نافع (كِثْلًا)
بغير همز ^(٢) .

٣ — مضمومة بعد كسر وبعدها واو نحو (مستهزئُون — الصابِئُون —
متكثُون — مالمِئُون) فقرأ أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وضم ما قبلها
(مستهزون — الصابئون — متكوْن — مالوْن) ووافقه نافع على (الصابون)
وقرأ الباقون بالهمز ^(٣) .

٤ — مضمومة بعد فتح نحو (ولا يطأُون — ولم تطأوها — وإن تطأوهم)
فقرأ أبو جعفر وحده بحذفها وقرأ الباقون بالهمز ^(٤) .

٥ — مكسورة بعد كسر نحو (متكثين — الصابئين — الحاطئين) فقرأ
أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وقرأ الباقون بالهمز ^(٥) .

٦ — مفتوحة بعد فتح نحو (أَرَأَيْتُمْ — أَرَأَيْتُمْ — أَرَأَيْتُمْ) فقرأ ابن كثير
وعاصم وأبو عمر وابن عامر وحمة ذلك كله في القرآن بالهمز . وقرأ نافع (أَرَأَيْتُمْ
وَأَرَأَيْتُمْ — وَأَرَأَيْتُمْ) بألف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة ،
وقرأ الكسائي (أَرَيْتُمْ وَأَرَيْتُمْ وَأَرَيْتُمْ) بغير همز ولا أَلَف ^(٦) .

ج — الهمزة المتحركة وقبلها ساكن :

١ — متحركة وقبلها أَلَف نحو (إسرائيل) فقرأ أبو جعفر بتسهيلها وحققها

(١) النشر : ١ : ٣٩٦

(٢) الحجة : ٢ : ٢٦٤

(٣) النشر : ١ : ٣٩٧

(٤) النشر : ١ : ٣٩٧

(٥) المصدر والصفحة

(٦) الحجة : ٤ : ١٠

الباقون (١).

- ٢ — متحركة وقبلها ياء نحو (هنيئاً — مريئاً — برىء) فقرأ أبو جعفر بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التي قبلها فيها وقرأ الباقون بالهمز (٢).
 - ٣ — متحركة وقبلها سكون نحو (شَطْطاً) فقرأها كلهم بهمزة مفتوحة (٣).
 - ٤ — متحركة قبلها زاي ساكنة نحو (ثم اجمل على كل جبل منهن جزءاً) و (جزءٌ مقسوم) فقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة وتشديد الزاي (٤).
- وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية : —

١ — أن أبا جعفر قارئ المدينة كان أكثر القراء ميلاً إلى تسهيل الهمزة أو حذفها ، وهو بذلك يمثل بيئته في هذه الظاهرة خير تمثيل .

- ٢ — أن نافعاً قارئ المدينة أيضاً لم يرو عنه تسهيل الهمزة إلا في حروف قليلة.
- ٣ — أن ابن كثير قارئ مكة لم يرو عنه شيء من التسهيل في هذه القراءات كلها ، ومعنى ذلك أن قراءته — من هذه الناحية لا تصور بيئته بحال .
- ٤ — أن هذه القراءات توضح لنا — بما لا يدع مجالاً للشك — أن تحقيق الهمزة كان أكثر انتشاراً من تسهيلها .

وبقيت أمامنا قراءات أخرى في الهمزة المفردة تستوجب النظر :

- ١ — (على كل شيء قدير) كان حمزة يسكت على الياء من (شيء) قبل الهمزة سكتة خفيفة ثم يهزم ، وكذلك يسكت على اللام من (الآخرة — الأرض —

(١) النشر : ١ : ٤٠٠

(٢) السابق : ١ : ٤٠٥

(٣) المجعة : ٧ : ١٧٦

(٤) النشر : ١ : ٤٠٦

الأسماء) وما أشبه ذلك (١) . ومعنى ذلك أن حمزة كان حريصاً على إظهار تحقيق الحمزة ، ولذلك يعلق أبو على بأن حمزة « كان يقف هذه الوقفة قبل الحمزة توصلاً إلى تحقيقها لأنه جعل الحمزة بهذه الوقفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز معها إلا التحقيق لأن الحمزة قد صارت بالوقفة مضارعة المبتدأ بها ، والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها (٢) » .

٢ — اختلفوا في قوله تعالى (وكشف عن ساقها) فقرأ ابن كثير وحده بالهمز (ساقها) ولم يهز غيره أيضاً (سؤقه وبالسوق) (٣) .

٣ — قرأ ابن كثير وحده (ضئزى) بالهمز وقرأ الباقون بغير همز (٤) .

٤ — قرأ ابن كثير (ضاء) بهمزتين في كل القرآن ، الحمزة الأولى من قبل الألف والثانية بعدها . وقرأ الباقون بهمزة واحدة بعد الألف في كل القرآن (٥) .

٥ — « إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض » قرأ عاصم ويعقوب بالهمز قيل ولا وجه له إلا اللغة العربية المحكية عن العجاج أنه كان يهز العالم والخاتم (٦) .

وهذه القراءات الأربع الأخيرة تدل على أن بعض اللهجات لم تكن تكتفى بتحقيق الحمزة بل تبدل الصوائت الطويلة (الألف والواو والياء) همزة ، والذي يافت النظر أن ابن كثير قرأ في أكثر هذه الحروف وحده بالهمز ، وابن كثير مكى ، ومكة منزل قريش ، من أجل ذلك قررنا من قبل أننا لا نستطيع أن نعتمد على بيئة القارىء في تحديد اللمحة .

(١) الحجة : ١ : ٣٦٥

(٢) المصدر والصفحة

(٣) السابق : ٦ : ٦٧

(٤) السابق : ٧ : ٢٠٢

(٥) الحجة : ٥ : ٣٦٤

(٦) البحر : ٦ : ١٦٣

٢ - قراءات شاذة

أ — قراءات لا تحقق الهمزة :

١ — قرأ الزهري وقتادة « بين المرء وزوجه » من غير همز وبالتشديد (١) .

٢ — قرأ الزهري « دِفْءٌ » بالتشديد (٢) .

٣ — قرأ عيسى الثقفي « سَيِّئًا للشاربين » بتشديد الياء (٣) .

٤ — قرأ الحسن ومجاهد « من سَوَّتها » بتشديد الواو (٤) .

٥ — قرأ الأشهب والحسن « إلى باريكم » بغير همز (٥) .

٦ — قرأ الزهري « كما بدأكم » بغير همز (٦) .

٧ — قرأ زيد بن علي « وهم بدوكم » بسكون الواو بغير همز (٧) .

وواضح من هذه القراءات كلها أنها جنحت إلى التخلص من الهمزة بإدغامها فيما قبلها أو بتسهيلها أو بحذفها .

ب — قراءات تحقق الهمزة

١ — قرأ أيوب السخيتاني « ولا الضَّالِّين » بالهمز (٨) .

٢ — قرأ الحسن وعمرو بن عبيد « ولا جَنَّ » بالهمز (٩) .

٣ — قرأ علي والحسن وابن محيصن وأبو عمر وأما الدرداء وابن أبي عبلة

(١) المحتسب ٢١ والكرمانى ٣٠

(٢) الكرمانى : ١٣٠

(٣) المحتسب ٩١ والكرمانى ١٣٣

(٤) البحر ٤ : ٢٧٩

(٥) الكرمانى ٢٥

(٦) الكرمانى ١٨٧ والبحر ٧ : ١٤٦

(٧) الكرمانى ٩٨ والبحر ٥ : ١٦

(٨) المحتسب ١٠

(٩) المحتسب ١٥٦ والبحر ٨ : ١٩٦

« لينبذ أن » بالهمز وتشديد النون المكسورة (١) .

٤ — وروى قطرب عن بعض القراء (مؤسى) و (أم مؤسى) (٢) .

٥ — وقرأ طاححة بن مصرف (يؤنس) و (يؤسف) بالهمز (٣) .

٦ — وقرأ أبو عمرو والحسن وابن أبي إسحاق والأشهب (لترؤن) بالهمز (٤) .

وهذه القراءات — كما ترى — لا تكفى بتحقيق الهمزة بل تبدل من الصوائت

همزة .

ثانياً — الهمزتان المجتمعتان

١ — المجتمعتان في كلمة :

١ — « أنذرتهم » اختلفوا في تخفيف الثانية منها وتحقيقها وإدخال ألف بينهما ، فسهلها بين الهمزة والألف ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ، وقرأ الكوفيون بتحقيقهما ، وفصل بين الهمزتين بألف أبو عمرو وأبو جعفر (٥) .

٢ — « أآلتنا » اختلفوا في تحقيق الهمزة الثانية وفي تسهيلها بين بين فقرأ بتحقيقها الكوفيون وسهلها الباقون ولم يدخل أحد بينهما ألفاً (٦) .

٣ — « أعجمى » قرأ نافع وابن كثير وعاصم — في رواية — وأبو عمرو « آعجمى » بتخفيف الثانية ، وقرأ عاصم — في رواية — وحمزة والكسائي « أعجمى بهمزتين (٧) » .

(١) الكرماني : ٢١٠ والبحر : ٨ : ٥١٠

(٢) الكرماني : ٢٥ والمحتسب : ١٢٢

(٣) ابن خالويه : القراءات الشاذة ٣٠

(٤) ابن خالويه : ١٧٩ والمحتسب ١٦٩

(٥) الحجة : ١ : ٢٢٧ والبحر : ١ : ٤٧ والنشر : ١ : ٣٦٣

(٦) النشر : ١ : ٣٦٥

(٧) الحجة : ٧ : ٨٧

٤ — « أَتْسِكُمْ » و« وَأَتْنِ لَنَا لَأَجْرًا » و« أَإِلَهُ » ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الثانية بين بين وحققها الكوفيون وابن عامر ، وفصل بين الهمزتين في جميع الباب أبو عمرو وأبو جعفر (١) .

٥ — « قُلْ أُوْنِبْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَالِكُمْ » و« أُنْزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ » ، قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر بتسهيل الثانية ، وحققها الباقون وفصل بينهما بألف أبو جعفر واختلف عن أبي عمرو (٢) .

ومن الشواهد : —

١ — قرأ ابن مسعود « بَلْ أَدْرِكْ » بهمزتين (٣) .

٢ — « أَيْلَهَا مَعَ اللَّهِ » في بعض المصاحف كأنه قال أَدْعُوا إِلَهَا مَعَ اللَّهِ (٤)

٣ — وقرأ الأعمش « آيْنَكُمْ » بالمد (٥) .

٤ — وقرأ عبد الله بن إسحق الحضرمي « آانْذَرْتَهُمْ » بهمزتين مخففتين بينهما ألف (٦) .

٥ — وقرأ الأعمش « آَأَنْ ذَكَرْتُمْ » بمدة قبل الهمزة المفتوحة (٧) .

وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية :

١ — أن اختلافهم كان حول الهمزة الثانية بين تحقيقها وتخفيفها وتسهيلها بين بين ، وتحقيقها مع الفصل بينها وبين الأولى بألف ، ومعنى ذلك أن تحقيق الهمزة

(١) النشر : ١ : ٣٦٩

(٢) السابق : ١ : ٣٧٤ .

(٣) ابن خالويه : ١١٠ .

(٤) المصدر والصفحة

(٥) الكرمانى : ٨٨

(٦) الكرمانى : ١٨

(٧) ابن خالويه : ١٢٥

الأولى متفق عليه ، وأن هناك — مع الاختلاف — من يقرأ بتحقيق الثانية أيضا ، فالتحقيق إذن أظهر وأغلب .

٢ — أن الكوفيين قرأوا بتحقيق الهمزتين معا ، وكذلك قرأ ابن مسعود .

٣ — أن أبا عمرو — بخلاف — وأبا جعفر — بدونه — كانا يقرآن بتحقيق الهمزتين مع إدخال ألف بينهما .

٤ — أن الهمزتين لم تحقفا إلا في قراءة واحدة شاذة .

٢ - المجتمعان في كلمتين

همزتان متفتتان :

١ — كسر نحو « من النساء إلا » و « ومن وراء إسحق » .

٢ — فتح نحو « السفهاء أموالكم » و « جاء أحدكم » .

٣ — ضا نحو « أولياء أولئك » .

فقرأ أبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى منها في الأقسام الثلاثة . وقرأ أبو جعفر

بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية في الأقسام الثلاثة . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة

والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين جميعا في الأقسام الثلاثة . (١)

همزتان مختلفتان :

١ — مفتوحة ومضمومة « جاء أمة رسولها » .

٢ — مفتوحة ومكسورة نحو « شهداء إذ » و « جاء إخوة » .

٣ — مضمومة ومفتوحة نحو « نشاء أصبناهم » و « يا سماء أفعلى » .

٤ — مكسورة ومفتوحة نحو « وهؤلاء أهدى » و « من وعاء أخيه » .

٥ — مضمومة ومكسورة نحو « ولا ياب الشهداء إذا » و « يا أيها الملائ إني »

فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل

الهمزة الثانية فيها جميعا . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمره والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين (١) .

وهذه القراءات أيضا تؤكد أن تحقيق الهمزة أكثر انتشارا في العربية من تسهيلها .
والآن ، وبعد هذا العرض لمذاهب القراء في الهمزة تحقيقا أو تسهила ، علينا أن نعرف لهجات القبائل في الهمز .

تجمع كتب العربية على أن تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبنو أسد ومن جاورها ، أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز (٢) .

وليست القبائل المحققة للهمزة كلها سواء في التحقيق ، بل منهم من يذهب في تحقيقها مذهبا بعيدا فيبدل الألف والواو والياء همزة وهم بنو أسد ، إذ يذكر القراء أن همز يأجوج ومأجوج (لغة) بنو أسد « ولاوجه له إلا اللغة العربية المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العالم والخاتم . (٣) » وقد روى عنه (٤) :

يادار سلمى يا سلمى ثم سلمى

غندف هامة هذا العالم

وحكى اللحياني عنهم بأز بالهمزة والأصل باز من غير همز . قال الشاعر :

كأنه باز دجن فوق مرقبة

جلى القطبا وسط قاع سملق سلق (٥)

(١) النشر : ١ : ٣٨٦

(٢) السيرافي : شرح كتاب سيبويه . مخطوطة بدار الكتب رقم ١٣٦ نحو : ١٣ وشرح

المفصل ٨ : ١٠٧ وجمع الهوامع ٢ / ٢٣٣

(٣) البحر : ٦ : ١٦٣

(٤) سر الصناعة : ١٠١

(٥) شرح الفصل : ١٠ : ١٢ - ١٣

ويقول أبو زيد ، سمعت رجلا من غنى يقول ، هذه قسمة ضئلى بالهمز (١) .
وبنو غنى هؤلاء من قيس (٢) . وقيس من القبائل التى تحقق الهمزة كما ذكرنا .
وهذه القبائل التى كانت تحقق الهمزة قبائل كانت تعيش فى البادية ، أما قبائل
التسهيل فهى تلك التى كانت متحضرة فى الحجاز وبخاصة قريش فى مكة ، والأوس
والخزرج فى المدينة ، وتمثلها قراءة أبى جعفر وبعض قراءات نافع قارئى المدينة
أصدق تمثيل ، أما قراءة ابن كثير قارئ مسكة فإنها تخالف بيئة كل المخالفة ، ولقد
دفعنا ذلك — إلى جانب الأسباب الأخرى ، أن نرفض الاعتماد على بيئة القارئ فى
تحديد اللهجة التى تصورها قراءته .

وإيس معنى ذلك أن قبائل الحجاز كلها كانت تتخلص من الهمزة ، لكننا نرجح
أنها القبائل المتحضرة فى الحجاز ، إذ يقول سيويه (٣) « وقد بلغنا أن قوما من أهل
الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة وذلك قليل ردىء (٤) . » ونقل أبو
على الفارس أن أهل الحجاز يحققون الهمزتين المجتمعتين فى كلمة ويفصلون بينهما
بألف نحو آإنك وآ أنت (٥) . ونحن نرجح أن القبائل الحجازية التى كانت
تجنح إلى تحقيق الهمزة هى تلك القبائل التى كانت تسكن أطراف الحجاز مجاورة
لأهل البادية من وسط شبه الجزيرة وشرقها .

وينقل ابن جنى عن قطرب أن بعض عكل يهمزون ترقوة . ثم يقول « ووجه
القول عليها — عندى — أن تكون مما همز من غير الهموز ، بمنزلة استلأمت
الحجر واستنشأت الرائحة (٦) . » وعكل هؤلاء من طابخة (٧) ، وطابخة من

(١) ابن سيدة / المخصص (بولاق ١٣١٩ هـ) ١٢ / ٢٠٩

(٢) ابن حزم / جمهرة أنساب العرب ٢٣٢

(٣) الكتاب ٢ : ١٧٠

(٤) الحجة : ١ : ٢٦٧

(٥) ابن جنى : الخصائص ٣ : ٢٠٧

(٦) الفقهشندى : نهاية الأرب : ٢٩٩

من خندف (١) التي كانت تسكن الحجاز (٢) ، فلعل عكل كانت تسكن أطراف الحجاز مجاورة للقبائل البادية في وسط شبه الجزيرة وشرقها .

ويسأل الدكتور أنيس « كيف تأتى أن البيئة الحجازية التي عرفت بالتأني في الأداء ، ولم يشتهر عنا إدغام أو إمالة ، أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها ؟ إذ اتخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات (٣) » .

والذى عندنا أن تحقيق الهمزة يناسب البيئة البدوية ، إذ ثبت أنها صوت شديد لأنها صوت حنجري اتجاري لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، ولقد أدرك القدماء هذه الحقيقة عن الهمزة فعبّر غير واحد منهم عن ثقلها وصعوبتها في النطق . يقول ابن جني « وإنما لم تجتمع الفاء والعين ، ولا العين واللام همزتين ، لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفلى في الحلق وبعد عن الحروف ، وحصل طرفا ، فكان النطق به تكلفاً (٤) » . ويقول ابن يعيش « الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجها كالتنوع فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة ، والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا لأن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف (٥) » .

(١) السابق : ٢٦٣

(٢) البكري : معجم ما استعجم ١ : ١١

(٣) اللهجات العربية : ٥٨

(٤) سر الصناعة ١ : ٨١

(٥) شرح الفصل : ٩ : ١٠٧

ومع ذلك فإن الهمة التي نحاول أن نجد تعليلاً لتخلص الحجازيين منها هي التي سادت اللغة العربية المشتركة كما يتضح من القراءات القرآنية التي قدمناها ، وهي دليل قاطع على أن هذه العربية المشتركة التي نعرفها في النصوص الجاهلية لم تقم على لهجة قريش وحدها ، أو بعبارة أخرى ليست لهجة قريش هي هذه العربية المشتركة على ما ذهب إليه القدماء والمحدثون .

* * *

٢ - الصوامت الحلقية

الصوامت الحلقية عند سيوييه هي الهمزة والياء وهي أقصاها مخرجا ، ومن أوسط الخلق مخرج العين والحاء ، وأدناه مخرجا من الفم العين والحاء . والهمزة والعين والعين عنده مجهورة والهاء والحاء والحاء مهموسة (١) .

ولا يختلف الدكتور أنيس عن سيوييه إذ يذكر أن الأصوات الحلقية هي العين والحاء والعين والحاء والهاء والهمزة (٢) إلا أنه يختلف معه في الهمزة فيذكر أنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس (٣) .

لكن التجارب الحديثة تثبت أن الصوامت الحلقية هي :

- ١ — الهمزة وهي صوت صامت حنجري انفجاري (٤) .
- ٢ — الحاء وهي صوت صامت مهموس حلقى احتكاكي (٥) .
- ٣ — العين وهي صوت صامت مجهور حلقى احتكاكي (٦) .
- ٤ — الهاء وهي صوت مهموس حنجري احتكاكي (٧) .
- أما العين فهي صوت صامت مجهور حنكي — قصي احتكاكي (٨) .

(١) سيوييه : الكتاب ٢ : ٤٠٥

(٢) الدكتور أنيس : الأصوات اللغوية ٨٠

(٣) السابق : ٨٢

(٤) الدكتور السمران : علم اللغة ١٧١

(٥) السابق : ١٩٥

(٦) المصدر والصفحة

(٧) الدكتور السمران : علم اللغة ١٩٦

(٨) السابق ١٩٤

والحاء صوت صامت مهموس حنكى قصى احتكاكى (١) .

وقد اختلفت اللهجات العربية في الصوامت الحلقية ، بين إبقائها صامته دون صائت قصير (حركة) ، وبين تحريكها بالفتحة ، بل إن الصامت الحلقى يؤثر على الصامت الذى قبله فيحركه بالفتحة أيضاً .

والآن نعرض لمذاهب القراء في الصامت الحلقى :

قراءات صحيحة :

١ — اختلفوا في فتح العين وإسكانها من « من المَز » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر « من المَز » بفتح العين . وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى « من المَز » ساكنة العين (٢) .

٢ — واختلفوا في قراءة « أبى لَهَب » فقرأ ابن كثير وحده « يدا أبى لَهَب » ساكنة الهاء ، وقرأ الباقون « لَهَب » متحركة (٣) .

٣ — وقرأ الجمهور « وكلا منها رَغَدا » بفتح العين (٤) .

٤ — واختلفوا في « ويأوون الناس بالبخل » فقرأ حمزة والكسائى بفتح الباء والحاء وقرأ الباقون بضم الباء وسكون الحاء (٥) .

٥ — واختلفوا في « شَطَاه » فقرأ ابن كثير وابن عامر « شَطَاه » مفتوحة الطاء والمهمزة ، وقرأ الباقون « شَطَاه » ساكنة الطاء ، وكلهم يقرأ بهمزة مفتوحة (٦) .

(١) السابق : ١٩٤

(٢) الحجة : ٤ : ١١٦

(٣) الحجة : ٨ : ٤١٣

(٤) البحر : ١ : ١٥٥

(٥) البحر : ٢ : ٢٤٦

(٦) الحجة : ٧ : ١٧٦

ومن القراءات الشاذة:

- ١ - قرأ خارجة عن نافع « السَّحَّت » بفتحين (١)
- ٢ - قرأ يحيى بن وثاب « إلى النَّحَل » بفتحين (٢)
- ٣ - قرأ سهيل بن شعيب « جَهْرَة » و « زَهْرَة » كل شيء في القرآن محركاً (٣) .

- ٤ - قرأ طلحة « الصَّان » بفتح الهمزة (٤) .
- وقرأ الحسن « إلى يوم البعث » و « فهذا يوم البعث » بفتح العين فيهما (٥)
- ٦ - قرأ الحلواني « حماته أمة وهنا على وهن » بفتح الهاء (٦) .
- ٨ - قرأ محمد بن السميع « قَرَح » بفتح القاف والراء (٧) .

وواضح من هذه القراءات أن كثيرين من القراء كانوا يقرأون الصامت الحلقى بفتحة، وبتحريك الصامت الذي قبله بفتحة كما في « شَطَّاه » و « قَرَح » .
ويبدو أن هذا التحريك كان شائعاً حتى إن أبا علي يقول « واتفاقهم على الفتح يدل أنه أوجه من الإسكان » (٨) .

وتحريك صوت الحلق بالفتحة واضح كل الوضوح في اللغة العبرية نحو Ba'al

(١) ابن خالويه : ٣٢

(٢) ابن خالويه ٧٣

(٣) المحتسب : ٣٠

(٤) المحتسب : ١١١

(٥) محتسب : ٢٤٩

(٦) المحتسب : ٥٠

(٧) المحتسب : ٧٥

(٨)

بَعَل ، Na'al ، نَعَلْ Lahaç لحَص . وكذلك الصامت الذي قبله ، فالعلان
للاضيان Patah'Shama كان ينبغي أن يكون مضارعهما على قياس الثلاثي الصحيح
Yishmuع بضم الميم و Yiftuh بضم التاء ، لكن العين فيهما تفتح لصوت الحلق
الواقع لاما بعدها Yishmae , Yiftah .

أما القبائل العربية التي كانت تميل إلى فتح الأصوات الحلقية ، فيذكر ابن جني
أنهم بنو عقيل ، يقول أبو الفتح تعليقا على قراءة « جَهْرَة » (يذهب أصحابنا في كل
شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك إلا
على أنه لغة فيه كالزهررة والنهر والشهر والشعر والشعر ، فهذه أغات
عندهم كالنَشْر والنَّشْر ، والحلب والحالب والطَّرد والطَّرد . ومذهب
الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسموا
كالبخر والبحر ، والصخر والصحَر ، وما أرى القول من بعد إلا مهمم والحق
فيه إلا في أيديهم وذلك أني سمعت عامة عقيل تقول ذلك ولا تقف فيه سائما غير
مستكره ، حتى سمعت الشجرى يقول ، أنا محموم بفتح الحاء ، وليس أحد يدعى
أن في الكلام مفعولا . وسمته مرة أخرى يقول وقد قال له الطبيب مص التفتح
وارم بشفله — والله لقد كنت أبني مصه وعاليته تفتحو بفتح العين ، ولا أحد
يدعى أن في الكلام يفعُل بفتح الفاء ، وسمعت جماعة منهم وقد قيل لهم ، قد أقيمت
لكم أنزالكم من الحبز ، قالوا فاللحم يريدون اللحم بفتح الحاء ، وسمعت بعضهم وهو
يقول في كلامه ، ساروا سَحَوه بفتح الحاء (١) .

ويؤيد ذلك ما أورده في الخصائص مستشهدا عليه بقول كثير (٢) :

(١) المحتسب : ٣٠

(٢) الخصائص : ٢ : ٩

له نَعْل لا تطي الكلب ريجها
وإن جعلت وسط المجالس شمت

ويقول أبو النجم :

وجيلا طال معـداً فاشمخر

أشم لا يستطيعه الناس الدهر

وعن تحريك الصوت الذى يسبق صوت الحلق بالفتحة يذكر ابن جنى أيضاً أنه
لهجة عقيل ، فهو يقول فى تعليقه على قراءة (قَرَح) ، « واقـد رأيت كثيراً من
عقيل لا أحصيهـم تحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق (١) .

ويذكر أبو حيان أن تحريك الأصوات الحلقية بالفتحة من لهجة لبعض بكر
ابن وائل ، ويستشهد على ذلك بالبيت :

وإن امرأ لا يرتجى الخير عنده

لدو بـخَل كل على من يصاحب (٢)

فهذه اللهجة إذن يمكن أن نعزوها إلى بنى عقيل وإلى بنى بكر بن وائل ،
فإذا عرفنا أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين (٣) ، وأن بنى بكر بن وائل
كانوا يسكنون الحماة إلى البحرين (٤) ، أدركنا سر هذا التشابه فى اللهجة بين القبيلتين
والتفسير العلمى لهذه الظاهرة أن تحريك الصوت الحلقى أخف من تسكينه ، إذ
« أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقى تحتاج إلى اتساع فى مجراها
بالهم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من أصوات اللين

(١) المحتسب : ٥٧

(٢) البحر : ٣ : ٢٤٦ - ٢٤٧

(٣) القلقشندى : نهاية الأرب ٢٩٨

(٤) الهمدانى : صفة : ١٦٩

أكثرها اتساعاً ، وتلك هي الفتحة » (٢) .

* * *

٣ - كسر حرف المضارعة

الكسرة صائت قصير ، وهي أثقل من الفتحة وأخف من الضمة ، والمعروف أن حرف المضارعة يحرك بالفتحة إلا إذا كان الماضى رباعياً فإنه يضم . لكن بعض القبائل كانت تنجح إلى تحريك حرف المضارعة بالكسرة دائماً .

وإليك أولاً ما وجدناه من قراءات تشير إلى ذلك . والقراءات التي وجدناها كلها من القراءات الشاذة .

١ — قرأ عبيد بن عمير الليثي وزر بن حبش ويحيى بن وثاب والنخعي والأعمش « نستعين » بكسر النون (٣) .

٢ — وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلي وأبو نهيك « تبيض » و« وتسود » بكسر التاء فيها (٤) .

٣ — وقرأ يحيى بن وثاب « ولا تركنوا » بكسر التاء (٥) .

٤ — وقرأ ابن وثاب وطلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي « ألم إعهد إليكم » (١)

٥ — وقرأ عبد الرحمن المقرئ « فإنما إضل » بكسر الهمزة (٢) .

٦ — وقرأ يحيى والأعمش وطلحة بخلاف ورواه إسحق الأزرق عن حمزة « فتمسك النار » بكسر التاء (٣) .

(٢) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ١٣٥

(٣) البحر : ١ : ٢٣

(٤) البحر : ٣ : ٢٢

(٥) ابن خالويه : ٦١

(٦) ابن خالويه : ١٢٥ : والبحر : ٧ : ٣٤٣

٨١ ابن خالويه : ١٢٢

٧ — وقرأ عيسى القفي « سِنِفِرغ لِسِم » بكسر النون ^(٤) .

٨ — وقرأ يحيى بن وثاب « ثَمِ اضْطَرهم » بكسر الألف ^(٥) .

وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية :

١ — أن يحيى بن وثاب يكاد يشترك في كل القراءات التي تذهب إلى كسر حرف المضارعة ، وهو تابعي كوفي من موالى بني أسد ^(٦) .

٢ — أن القراءات التي وجدناها بكسر حرف المضارعة ليس من بينها الياء .

٣ — أن هذه القراءات موجودة في الفعل المضارع سواء كان ثلاثيا أم غيره .

والجدير بالملاحظة أن اللغة العبرية تكسر حرف المضارعة في معظم الأوزان ،
فالفعل Shamar « شمّر » مضارعه Yishmur « يَشْمُر » ، والفعل dibber « دَبَّر »
مضارعه Yidabbir . كما أن لهجاتنا العامية تميل إلى كسر حرف المضارعة نحو (يَلَب) —
يَنام — يَصلى — يَسْتَغفر) .

ويذكر القدماء أن كسر حرف المضارعة هو ما يعرف بالثلاثة ، وهم ينسبونها إلى
بهاء . يقول ابن جنى « وأما ثلاثة بهاء ، فإنها تقول ، تَملون وتَفعلون وتَصنعون
بكسر أوائل الحروف ^(١) » . ويذكر أبو الفتح في تعليقه على قراء (فِتْمِسَم
النار) أن هذه « لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور نحو تعلم
وأنا أعلم وهي تعلم ونحن نركب ، وثقل الكسرة في الياء نحو يعلم ويركب استقلا

(١) المحتسب ١٥٨

(٢) المحتسب : ٣١٠

(٣) ابن خالويه : ٩

(٤) غايه النهاية : ٢ : ٣٨٠

(٥) سر الصناعة : ١ : ٢٣٥

للكسرة في الياء (٢) » .

ولكن أبا حيان يزيد على ذلك بأنها « لغة قيس وتميم وأسد وربيعة (٣) » ثم ينقل عن أبي جعفر الطوسي أنها « لغة هذيل » (٤) ويضيف في موضع آخر أن « بعض كلب يكسرون أيضا في الياء ، يقولون هل يعلم ؟ » (٥) .

وينسبها الإستراباذي إلى جميع العرب إلا أهل الحجاز « واعلم أن جميع العرب إلا أهل الحجاز يجوزون كسر حرف المضارعة سوى الياء في الثلاثي المبني للفاعل ، إذا كان الماضي على فَعِل بكسر العين ، فيقولون أنا أعلم ونحن نعلم وأنت تعلم وكذا في الثلاث والأجوف والناقص والمضاعف نحو إيجل وإخال وإشقي وإعض ، والكسرة في همزة إخال وحده أكثر وأفصح من الفتح (٦) » .

هذه النصوص إذن تنسب هذه اللهجة إلى القبائل الآتية :

بهراء — كلب — تميم — قيس — أسد — ربيعة — هذيل .

أما بهراء وكتب فممارتان من قضاة ، ونحن نعلم أنهم كانوا ينزلون الشام بالقرب من العراق (١) . وأما ربيعة فكانت تسكن الحيرة (٢) ، وأسد من ربيعة وكانت تنزل قبل الكوفة بخمس مراحل (٣) . بقي لدينا تميم وهذيل ، أما تميم فكانت تسكن

(٢) المختب : ١٥٨

(٣) البحر : ١ : ٢٣

(٤) البحر : ١ : ٢٤

(٥) البحر : ٧ : ٣٤٣

(٦) الإستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب (١٩٣٩) : ١ : ١٤١

(١) الهمداني : صفة : ١٧

(٢) ابن الأثير : الكامل : ١ : ١٥٨

شرق شبه الجزيرة بالقرب من العراق ، وأما هذيل فكانت تسكن الحجاز (١) .
ومعنى ذلك أن هذه القبائل التي كانت تميل إلى كسر حرف المضارعة كانت تنزل
الشام بالقرب من العراق أو في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة بالقرب من العراق
أيضا فيما عدا بني هذيل . ولذلك يحاول الدكتور أنيس أن يفسر هذه الظاهرة بأن
« بعض القبائل التي تأثرت بحياة الحضر قد آثرت صوت اللين الأمامي الذي نسميه
الكسرة (٥) » . ثم يطبق ذلك على بهراء التي تأثرت بما في الشام من لغات كالآرامية
والعبرية اللتين اطردهما كسر حرف المضارعة .

ولقد يكون ذلك صحيحا لو أن الرواة لم ينسبوا هذه الظاهرة إلى تميم وإلى
هذيل ، فتميم من القبائل البادية كما نعلم ، وهذيل من القبائل الحجازية ، وعلى أية
حال فإن اللغة لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف .

(١) الهمداني : صفة ١٣١

(٢) البكري : معجم ١ : ١١

(٣) للهجاء العربية ٧٤

٤ - الصوائت القصيرة

الأصوات الصائتة القصيرة في العربية ثلاثة ، الفتحة والكسرة والضمة ، والفتحة أخفها تايها الكسرة وأثقلها الضمة .

وقد اختلفت اللهجات العربية في هذه الصوائت ، إذ نلاحظ أن بعض اللهجات يستعمل الفتحة مثلاً حيث تستعمل الكسرة أو الضمة لهجات أخرى .

١ - بين الفتح والكسر

مذاهب القراء ، قراءات صحيحة :

١ — اختلفوا في كسر السين وفتحها من قوله عز وجل « يحسبهم » و« تحسبن » ، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بكسر السين في كل القرآن ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة وأبو جعفر بفتح السين في كل القرآن ^(١)

٢ — اختلفوا في كسر السين وفتحها من « عسيتم » فقرأ نافع بكسر السين وفتحها الباقيون ^(٢) .

٣ — اختلفوا في فتح القاف وكسرها من قوله سبحانه « وقرن في بيوتكن » فقرأ عاصم ونافع « وقرن » بالفتح وقرأ الباقيون بالكسر ^(٣) .

٤ — اختلفوا في فتح السين وكسرها من قوله « السلم » فقرأ ابن كثير ونافع والكسائي بفتح السين ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر السين واختلف عن الباقيين ^(٤) .

٥ — اختلفوا في فتح الحاء وكسرها من قوله « حج البيت » فقرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الحاء ، وقرأ الباقيون بالفتح ^(٥)

(١) الحجة ٤٣:٣ ، والبحر ٣٢٨:٢ والإتحاف ١٩٧

(٢) الحجة ٣٨٤:٢

(٣) الحجة ١٥٤:٦

(٤) الحجة ٣١٩:٢

(٥) الحجة ١٧٨:٣

(٦) الحجة ١١٥:٤

٦ — اختلفوا في فتح الحاء وكسرها من قوله « يوم حصاده » فقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي بكسر الحاء وقرأ الباقر بالفتح (٦) .

٧ — اختلفوا في « غلظة » فقرأ عاصم - في رواية - بفتح الغين ، وقرأ الباقر بكسرها (١) .

٨ — اختلفوا في قوله « والوتر » فقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو ، وقرأ الباقر بفتحها (٢) .
قراءات شاذة :

١ — قرأ أبو حيوة « من الرِّضاعة » بكسر الراء (٣) .

٢ — وقرأ الأعمش وأبان بن ثعلب والمفضل « غلظة » بفتح الغين (٤) .

٣ — في قوله تعالى « لقد كان لسبأ في مساكنهم آية » قرأ النخعي وحمزة وحفص مفردا بفتح الكاف ، وقرأ الأعمش وعلقمة مفردا بكسرها (٥) .

٤ — قرأ الحسن وابن هرمز « نِجعة » بكسر النون (٦) .

أما عن لهجات القبائل في هذه الظاهرة ، فتذكر كتبهم أن أهل الحجاز يميلون إلى الفتح ، وأن قبائل قيس وتميم تميل إلى الكسر . (٧) ويذكر أبو حيان أن قبيلة أسد أيضا تنحج إلى الكسر حيث يذهب الحجازيون إلى الفتح (٨) . كما ينسب صاحب الإتحاف الكسر إلى أهل نجد (٩) . لكنه يعكس في (يحسب) فيعزو كسر السين

(١) الحجة : ٥ : ٣٤٩

(٢) الحجة : ٧ : ٣٦٥

(٣) البحر : ٣ : ٢١١

(٤) البحر : ٥ : ١١٥ والإتحاف : ٢٩٢

(٥) البحر : ٧ : ٢٦٩

(٦) البحر : ٧ : ٣٩٢

(٧) الحجة : ٧ : ٣٦٥

(٨) البحر : ٥ : ١١٥

(٩) الإتحاف : ٢١٢

إلى أهل الحجاز وفتحها إلى تميم ، فاعله أخطأ في النقل أو اعل إحدى القبيلتين تركت لهجتها إلى لهجة القبيلة الأخرى في هذا الفعل بعينه خصوصاً أن ابن جني يذكر أن بعض التميميين - في بعض الألفاظ - كانوا يتركون لهجتهم إلى لهجة الحجازيين وأن هؤلاء يفعلون ذلك أيضاً (١) .

وعلى أية حال فإننا نستطيع أن نعزو الفتح - وهو أخف من الكسرة - إلى البيئة المتحضرة في الحجاز ، وأن نعزو الكسر إلى تميم وأسد وأهل نجد وهي قبائل بادية لا تنفر طبائعهم من الخشونة .

ب - بين الفتح والضم

الفتح كما قلنا أخف الصوائت القصيرة في العربية ، والضم أثقلها ، وتدلنا القراءات على أن هناك لهجات تستعمل الفتح حيث تستعمل الضم ولهجات أخرى . وإليك أولاً مذاهب القراء في ذلك .

أ - قراءات صحيحة :

١ - اختلفوا في فتح القاف وضمها من قوله تعالى « قرح » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر « قرَح » بفتح القاف ، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي بضمها (٢) .

٢ - اختلفوا في فتح الكاف وضمها من قوله « كرها » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر بفتح الكاف ، وقرأ حمزة والكسائي بضمها (٣) .

٣ - اختلفوا في فتح الراء وضمها من قوله « الرهب » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالفتح وقرأ عاصم وحزمة والكسائي وابن عامر بالضم (٤) .

(١) المختص : ٣١

(٢) الحجة : ٣ : ١٨٦

(٣) الحجة : ٣ : ٢٥٥

(٤) الحجة : ٦ : ٩٠

٤ - اختالفوا في ضم الصاد وفتحها من قوله « الذي حلقكم من صعب » فقرأ عاصم وحمزة بفتح الصاد وقرأ الباقر بن عاصم (١).

٥ - اختالفوا في ضم السين وفتحها من قوله « سدا » فقرأ حمزة والكسائي وعاصم - في رواية - بفتح السين ، وقرأ الباقر بن عاصم (٢).

٦ - اختالفوا في ضم الفين وفتحها من قوله « عرفة » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتحها وقرأ الباقر بن عاصم (٣).

٧ - اختالفوا في ضم السين وفتحها من قوله « فنظرة إلى ميسرة » فقرأ نافع وحده بضم السين ، وقرأ الباقر بفتحها (٤).

وواضح أن هذه القراءات تبين أن القراء لم يكن لهم مذهب واحد في اللفتح أو بالضم ، لكننا نلاحظ أن أكثرهم قراءة بالفتح نافع وابن كثير، وقرأتهما تصور اللهجة التي كانت تسود بيئتهما ، وأن أكثرهم قراءة بالضم هم الكوفيون .
ب - ومن الشواهد :

- ١ - قرأ يحيى بن يعمر « ولولدى » بضم الواو (٥) .
- ٢ - وقرأ أبو حيوة والسلمي وابن أبي عبلة والمفضل وأبان « مُغلظة » بضم الفين (٦) .
- ٣ - وقرأ قتادة وطلحة والأشهب ورويت عن أبي عمرو « ولا تركنوا »

(١) الحجة : ٦ : ١٢٦ والنشر : ٢ : ٢٤٥

(٢) الحجة : ٦ : ١٩٤

(٣) الحجة : ٢ : ٣٨٥

(٤) الحجة : ٣ : ٥٤ والبحر : ٢ : ٣٤٠ والإنحاف : ١٩٨

(٥) ابن خالويه : ٦٩ والمحتسب : ١٧٧

(٦) البحر : ٥ : ١١٥

بضم الكاف (١) .

٤ — وقرأ الزعفراني والقورصي وابن المناذري بضم الباء من « إني بُراء مما تعبدون » (٢) .

أما لهجات القبائل في هذه الظاهرة فإنهم ينسبون الفتح إلى أهل الحجاز، وينسبون الضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد (٣) . ومن كلام بني أسد « ولِدُك من دمي عقيبك ، أى ولدك من ولدته فسأل نَمَك على عقيبك عند ولادته (٤) » .

والفتحة تلائم البيئة الحضرية لما فيها من خفة بينما تناسب الضمة أهل البادية لتقائها . لكنهم ينسبون الضم في (ميسرة) إلى أهل نجد (٥) . وقد وردت عليه كلمات أخرى نحو مقبرة ومشربة ومسربة ومأدبة (٦) . فاعل ذلك — شأن الظواهر الأخرى — انتقال لهجة إلى لهجة أخرى .

ج - بين الكسر والضم

قراءات صحيحة : أ — في الأسماء :

١ — اختلفوا في كسر الراء وضمها من قوله تعالى « ورضوان » فقرأ عاصم « وُرضوان » بالضم وقرأ الباكون بالكسر . (٧)

٢ — اختلفوا في « خفية » بكسر الخاء وضمها ، فقرأ عاصم بالكسر وقرأ

(١) البحر : ٥ : ٢٦٩

(٢) البحر : ٨ : ١١

(٣) البحر : ٥ : ١١٥ ، ٨ : ١١

(٤) المحتسب : ١٧٧

(٥) البحر : ٢ : ٣٤٠

(٦) لائحان : ١٩٨

(٧) الحجة : ٣ : ١٢٣

الباقون بالضم . (١)

٣ — اختلفوا في ضم الجيم وكسرها من قوله تعالى « جذوة » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي « جذوة » بكسر الجيم ، وقرأ حمزة بالضم . (٢)

٤ — اختلفوا في ضم الهمزة وكسرها من قوله سبحانه « أسوة حسنة » فقرأ عاصم بالضم وقرأ الباقر بالكسر . (٣)

٥ — وقرأ أبو جعفر ويعقوب « والرجز » بضم الراء والباقر بكسرها . (٤)

٦ — اختلفوا في « البيوت والعيون والشيوخ والغيوب والجيوب » في ضم الحرف الأول وكسرها ، فقرأ أبو عمرو بضم ذلك كله ، وقرأ حمزة بكسر الأول من هذه الحروف واختاف عن الباقرين . (٥)

٦ — وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم « من حلبيهم » بضم الحاء ، وقرأ حمزة والكسائي بكسرها . (٦)

ب — في الأنفال :

١ — اختلفوا في قوله تعالى « لا يعزب عنه » فقرأ الكسائي وحده بكسر الزاي ، وقرأ الباقر بضمها . (٧)

٢ — اختلفوا في قوله تعالى « لم يطمثهن » فقرأ الكسائي وحده بضم الميم ، وقرأ الباقر بكسرها . (٨)

(١) الحجة : ٤ : ٢٠ والنشر : ٢ : ٢٥٩

(٢) الحجة : ٦ : ٨٩

(٣) الحجة : ٦ : ١٥١ والإتحاف : ٤٣٢

(٤) الإتحاف : ٥٢٦

(٥) الحجة : ٢ : ٢٩٩

(٦) الحجة : ٤ : ٢٠٦

(٧) الحجة : ٦ : ١٦٢

(٨) الحجة : ٧ : ٢٢٤

- ٣ — اختلفوا في قوله سبحانه « يعكفون » فقرأ حمزة والكسائي بكسر الكاف وقرأ الباقون بضمها . (١)
- ٤ — واختلفوا في ضم الصاد وكسرها من قوله « فصرهن إليك » فقرأ حمزة بكسر الصاد ، وقرأ الباقون بضمها . (٢)
- ٥ — اختلفوا في « وإذا قيل لهم انشزوا فانشزوا » فقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين وقرأ الباقون بكسرها . (٣)
- ٦ — واختلفوا في كسر التاء وضمها من « خذوه فاعتلوه » فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بضم التاء وقرأ الباقون بالكسر . (٤)
- ومن الشواذ :-
- ١ — قرأ أبو عبد الرحمن السلمي « مُنْوان » بضم الصاد . (٥)
- ٢ — وقرأ الأعمش والخفاف والأعرج « مُنْوان » بضم القاف ورواه السلمي عن علي بن أبي طالب . (٦)
- ٣ — قرأ السلمي وأبو رجاء والحسن « في مُرية » بضم الميم . (٧)
- ٤ — وقرأ الأعمش « يمرجون » بكسر الراء . (٨)
- وعن لهجات القبائل في هذه الظاهرة فإنهم ينسبون الكسر إلى أهل الحجاز

(١) النشر : ٢ : ٢٧١ والإتعاظ ٢٧٣

(٢) الحجة : ٣ : ٣١

(٣) الحجة : ٧ : ٢٥٠ والنشر : ٢ : ٣٨٥

(٤) الحجة : ٧ : ١٣٧

(٥) المختص : ١٦٨

(٦) البحر : ٤ : ١٨٩

(٧) البحر : ٥ : ٢١١

(٨) البحر : ٥ : ٤٤٨ والإتعاظ ٣٢٩

لأنه أخف . (١) وسب الفراء الضم إلى أهل الحجاز فردّه أبو حيان قائلا « وهو مخالف لما نقلنا من أن لغة الحجاز قنوان بكسر القاف (٢) . » كما ينسبه بعضهم إلى هذيل (٣) ، ونحن نعلم أن هذيلاً من ساكني الحجاز (٤) .

وإذا كان الحجازيون يستعملون الكسر . فإن قبائل تميم وقيس (٥) وأسد (٦) ، وبكر (٧) ، تذهب إلى الضم وهي من القبائل التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ومعظمها قبائل بادية ، والضم أنسب لها .

نحن إذن أمام ثلاث ظواهر ، فتح وكسر ، فتح وضم ، كسر وضم . وفي الاختيار بين الفتح والكسر رأينا أن قبائل الحجاز المتحضرة تذهب إلى الأخف وهو الفتح ، وبين الفتح والضم تذهب إلى الفتح ، وبين الكسر والضم تذهب إلى الكسر ، بينما تميل لهجات القبائل البادية — وبخاصة في وسط شبه الجزيرة وشرقيها — إلى الصائت الأثقل (الكسر أو الضم) .

(١) المحتسب : ١٦٨ والبجر : ٢١١ : ٥

(٢) البجر : ٤ : ١٨٩

(٣) البجر : ٥ : ٤٤٨ والإتحاف ٣٢٩

(٤) البكرى : معجم ما استمع ١ : ١١

(٥) المحتسب : ١٦٨

(٦) البجر : ٥ : ٢١١

(٧) البجر : ٢ : ٣٩٨

ثانيا - الأصوات وتأثير بعضها في بعض

١ - الإدغام

الإدغام ضرب من التأثير الذى يقع فى الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة . ويقسم المحدثون تأثير الأصوات الى نوعين (١) :

١ - تأثير رجعى : Regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى .

٢ - وتأثير تقدمى : Progressive وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول .
والإدغام عند القدماء هو اللفظ بمحرفين حرفا كالثنائى مشددا (٢) . وهو عند القراء ضربان ، كبير وصغير ، أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا ، (٣) أى أن الصامت الأول معه صائت قصير ، وقد نسبت القراءة بهذا الضرب إلى أبى عمرو . وأما الإدغام الصغير فهو « عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكنا (٤) . » أى أن الصامت الأول لا يفصله عن الثانى صائت .

ويقسم ابن جنى الإدغام إلى ضربين ؛ الإدغام الأكبر ويشمل عنده النوعين السابقين ، والإدغام الأصغر وهو الذى يقول عنه « وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك . (٥) » وجعل منه الإمامة وما إليها من ضروب تقريب الأصوات .

والذين يذهبون إلى الإدغام يذهبون إليه طلبا للتخفيف ، يقول أبو الفتح « والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى أنك فى قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول فى الثانى حتى نبا اللسان عنها نبوة واحد ، وزالت الوقفة

(١) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٥١

✓ (٢) الذئب : ١ : ٢٧٤

(٣) المصدر والصفحة

(٤) السابق : ٢ : ٢

✓ (٥) الخصائص ٢ : ١٤١

التي كانت تكون في الأول لو أدغمته في الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها ، كقولك قتلطع وسكر ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به ، فإن أنت أزلت تلك الوقفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه وإحاقه به (١) . »

فالقبايل التي اشتهرت بالإدغام هي إذن تلك القبائل التي كانت تميل إلى الخفة والسرعة في كلامها ، والقبايل التي تذهب إلى الإظهار هي التي تمنح إلى الثاني والوضوح فيه ، فأيهما كان يدغم وأيها كان يظهر ؟

علينا أولاً أن نعرض مذاهب القراء في هذه الظاهرة ، على أنه مادام الإدغام الكبير ينسب إلى أبي عمرو فإننا نكتفي هنا بالأمثلة التي اختلف فيها القراء .

١ — الباء ، مع الفاء ، نحو « وإن تمعجب فعجب » ونحو « اذهب فإن لك » ،
قرأ أبو عمرو والكسائي بإدغام الباء في الفاء ، وقرأ الباقر بالإظهار (٢) .
مع الميم « يعذب من يشاء » ، قرأ أبو عمرو والكسائي بإدغام الباء في الميم
وقرأ الباقر بالإظهار واختلف عن ابن كثير وحزمة (٣) .

٢ — التاء ، مع التاء نحو « بعدت ثمود » و « كذبت ثمود » .
مع الجيم نحو « فضجت جلودهم » و « جبت جنوبها » .
مع الظاء نحو « حملت ظهورهما » و « وكانت ظالة » .
مع السين نحو « أنبت سبع » و « جاءت سيارة » .
مع الصاد نحو « حصرت صدورهم » و « لهدمت صوامع » .
مع الزاي نحو « خبت زدنهم » .

(١) الخصائص ٢ : ١٤٠

(٢) النشر ٢ : ٨

(٣) السابق ٢ : ١٠

فقرأ أبو عمرو وحمة والكسائي بإدغامها في كل هذه الحروف ، وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بالإظهار (١) .

٣ — التاء ، مع الدال ، « يلهث ذلك » فقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر وعاصم بالإظهار مع الاختلاف وقرأ الباقون بالإدغام (٢) .

مع التاء ، قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمة والكسائي وأبو جعفر « لبثتم ولبثت » كيف جاء بالإدغام وقرأ الباقون بالإظهار (٣) .

٤ — الدال ، مع التاء نحو « ومن يرد ثواب الدنيا » ، فقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمة والكسائي بإدغامها في التاء وأظهرها الباقون (٤) .

مع الدال نحو « ص ذكر » فقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمة والكسائي بإدغامها في الدال وقرأ الباقون بالإظهار (٥) .

٥ — الدال ، مع التاء ، نحو « فنبذتها » و « عدت بربي » فقرأ بإدغامها في التاء أبو عمرو وحمة والكسائي وخلف وقرأ الباقون بالإظهار (٦) .

٦ — الراء ، مع اللام ، نحو « واصطبر لعبادته » و « وأن اشكر لي » فقرأ أبو عمرو وحده — بخلاف — بإدغام الراء في اللام وقرأ الباقون بالإظهار (٧) .

٧ — الفاء ، مع الباء ، نحو « نخسف بهم » فقرأ الكسائي بإدغام الفاء في الباء وأظهر الباقون (٨) .

(١) السابق : ٢ : ٤ — ٦

(٢) الشر : ٢ : ١٣ : ١٥

(٣) » ٢ : ١٦

(٤) » ٢ : ١٣

(٥) » ٢ : ١٧

(٦) » ٢ : ١٦

(٧) » ٢ : ١٢

(٨) » ٢ : ٤٩

٨ — اللام ، اختلفوا في إدغام السلام في التاء والتاء والزاي والسين والضاد والطاء والظاء والنون والذال نحو « هل تعلم — هل ثوب الكفار — بل زعمتم — بل سولت لكم — بل ضلوا — بل طبع — بل ظننتم — هل نحن منظرون — من يفعل ذلك » فقرأ الكسائي بإدغام اللام فيها ووافقه حمزة في التاء والتاء والسين وأظهر الباقون (١) .

٩ — النون ، مع الواو نحو « يس والقرآن » فقرأ الكسائي ويعقوب بإدغامها في الواو واختلف عن نافع وعاصم وقرأ الباقون بالإظهار (٢) .
مع الميم ، نحو « طسم » فقرأ حمزة وأبو جعفر بالإظهار وقرأ الباقون بالإدغام (٣) .

١٠ — تاء الافعال ، قرأ نافع « فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ » بفتح التاء والحاء والطاء مشددة (٤) . وقرأ عاصم — في رواية — وحمزة والكسائي « يَطْهَرْنَ » مشددة (٥) .

ومن الشواذ قرأ الجعدي « إِنْ يَتَصَاخَا بَيْنَهُمَا » أراد يصطاحا ثم أدغم (٦) .

١١ — الفعل المضعف ، اختلفوا في إظهار الدال وإدغامها من قوله « مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بإدغام الدال الأولى في الآخرة ، وقرأ نافع وابن عامر « مَنْ يَرْتَدُّ » بإظهار الدالين وجزم الآخرة (٧) .

(١) النشر : ٢ : ٦

(٢) » : ٢ : ١٧

(٣) » : ٢ : ١٩

(٤) الحجة : ١ : ٣٦٤

(٥) الحجة : ٢ : ٣٥٣

(٦) ابن الويه : ٢٩

(٧) حجة : ٣ : ٣٢ و إنباح : ٢٢٩

وقرأ الجمهور « أفعيّنا » بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة ماضى عيبي كرضى ،
 وقرأ من (من الشواذ) ابن أبي عبلة والوليد بن مسلم والقورصى عن أبي جعفر
 والسمار عن شيبة وأبو بحر عن نافع بتشديد الياء (أفعيّنا) من غير إشباع
 في الثانية (١) .

١٢ — ألف المقصور في ياء التكلم ، من ذلك قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
 وأبي الطفيل وعبد الله بن أبي إسحق وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي
 « هَدَى » (٢) .

وقرأ ابن أبي إسحق وعيسى والجحدري (وعَحَيَّ) بقلب الألف ياء وإدغامها في
 ياء التكلم (٣) .

١٣ — تأثر تقدمي : قرأ أبو جعفر « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً »
 و « مُجَزَّءٌ مقسوم » بحذف الهمزة وتشديد الزاي . ومن الشواذ قرأ الزهري وقادة
 « بين المرء وزوجه » (٥) .

وقرأ الزهري « دَفَّئ » من غير همز وبالتشديد (٦) .

وهذه القراءات تضع أمامنا الحقائق الآتية : —

١ — أن الإدغام في اللغة العربية يكاد ينحصر في هذا الضرب الذي يتأثر فيه
 الصوت الأول بالتالي أى تأثر رجعى فيما عدا هذه القراءات الأخيرة التي يظهر فيها
 تأثر الصوت الثاني بالأول .

(١) البحر : ٨ : ٢٣

(٢) المحنّب : ٢٦

(٣) البحر : ٤ : ٢٦٢

(٤) النشر : ١ : ٤٠٦

(٥) المحنّب : ٢١ : الكرمانى ٣٠

(٦) الكرمانى : ١٣٠

٢ — أن القراء الذين اشتهر الإدغام هم أبو عمرو بن العلاء والكسائي وحمزة وابن عامر وهم قراء البيئة الكوفية والشامية، وأن الذين اشتهر عنهم الإظهار هم أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم ويعقوب ، وهم قراء البيئة الحجازية سوى عاصم ويعقوب فمن الكوفة والبصرة .

٣ — أن القراءة بالإدغام كانت مشهورة وفاشية بين القراء حتى لا نكاد نجد واحداً إلا وقد شارك فيه ولو بقدر قليل . ومعنى ذلك أن الإدغام لم يكن يقل شيوعاً في اللغة العربية عن الإظهار ، إن لم يزد عليه حتى إن أبا عمرو بن العلاء يقول « الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون غيره (١) » .

أما عن لهجات القبائل في الإدغام ، فتفق كتبهم على أن الإظهار لهجة الحجازيين ، وأن الإدغام لهجة تميم (٢) ، وهى القاعدة الكبيرة التى كانت تتخذ مثلاً لقبائل وسط شبه الجزيرة وشرقها ، أما الفعل المضعف فى حالة الجزم أو سكون اللام ففيه لهجات كثيرة :

١ — الإدغام مع التعريك بالفتح على كل حال وهى لهجة بنى أسد وغيرهم من بنى تميم ، يعنى أنهم يقولون ردّ يابني وإن تردّ أردّ وفرّ وعصّ (٣) .

٢ — الإدغام مع الكسر على كل حال وهى لهجة كعب (٤) وغنى وغير (٥) فهم يقولون ردّ وعصّ وفرّ .

٣ — إذا اتصل المضعف بواو جمع نحو ردوا أو ياء مخاطبة نحو ردى أو نون

(١) النشر : ١ : ٢٧٥

— (٢) المجة : ٣ : ٣٤٣

(٣) السيرافى : شرح كتاب سيبويه ٢ : ٥١٦

(٤) المصدر والصنعة

(٥) شرح التصريح على التوضيح ٢ : ٤٠٦

توكيد نحو ردون اشترك الحجازيون مع غيرهم من العرب في الإدغام^(١).

٤ — إذا أدغم في الأمر على لهجة تميم وجب طرح همزة الوصل، إلا أن الكسائي نسب إلى عبد القيس الإدغام مع همزة الوصل، ارد واعض وافر^(٢).
ويعلل الدكتور أنيس هذه الظاهرة بأنها من المحتمل أن تكون من أنواع القياس الخاطيء أى أن هذه اللهجة تقيس الفعل الأمر هنا على الأمر من الفعل الثلاثي الصحيح الذى يلتزم فيه البدء بهمزة الوصل^(٣).

٥ — عند اتصال المضعف بضمير رفع فإن القبائل التى تذهب إلى الإدغام تشارك الحجازيين في الإظهار نحو رددت ورددنا ورددن. إلا أن الخليل روى أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمونه أيضا فيقولون رَدَنَ ويرَدَنَ ورددَنَ في الماضى والمضارع والأمر^(٤). وعلى هذه اللهجة جاءت قراءة « أُنْعِمْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ »^(٥).
أما إدغام ألف القصور في ياء التكلم فهى لهجة نسبت إلى هذيل، ويستشهدون عليها بقول أبى ذؤيب الهذلي^(٦):

سبقوا كهوى وأعنقوا لهوام
وتخرموا ولكل جنب مصرع
ويروى أبو الفتح عن قطرب قول الشاعر^(٧):
يطوف بنى عكب فى معد
ويطعن بالصملة فى قفيا
فإن لم تشارا لى من عكب
فلا أرويتما أبدا صدّا

(١) السابق : ٢ : ٤٠٥

(٢) المصدر والصفحة

(٣) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ١١٤

(٤) الاسترأباضى : شرح شافية ابن الحاجب ٢ : ٢٤٦

(٥) البحر : ٨ : ١٢٣

(٦) السكرى : شرح أشعار الهذليين (ط العروبة) ١ : ٧

(٧) المحتسب : ١٦

فالقبايل التي تذهب إلى الإدغام إذن هي :

تميم — أسد — غنى — عبد القيس — بكر بن وائل — كعب — نمر —
هذيل (في حالة واحدة) .

أما تميم وأسد فقد ذكرناهما من قبل ، وأما غنى فتنسب إلى بني أسد ، ^(١) وكذلك
تنتمي عبد القيس إلى أسد ^(٢) .

ونحن نعلم أن بكر بن وائل كانت تسكن جنوب العراق ، وأما كعب ونمر
فبطنان من عامر بن صعصعة من هوازن ^(٣) ، وكانتا تسكنان العروش
بمجاورتين لتمييم ^(٤) .

فنحن نستطيع إذن أن نسب الإدغام إلى تلك القبائل التي كانت تسكن وسط
شبه الجزيرة وشرقيها ، ومعظمها قبائل بادية تميل إلى التخفيف والسرعة في الكلام .
كما نستطيع أن نسب الإظهار إلى بيئة الحجاز المتحضرة وهي تميل إلى التأني في
الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه . ^(٥) وبقيت لدينا هذيل وهي من القبائل
الحجازية ^(٦) ، وقد نسب إليها إدغام ألف المصور في ياء التكلم ، فلعلها ذهبت إلى
الإدغام في هذه الظاهرة وحدها ، وعلى أية حال فإن الحجازيين كانوا يذهبون إلى
بعض الإدغام كما رأينا .

(١) الفلقلندي : نهاية الأرب ٣١٦

(٢) السابق : ٢٥٧

(٣) ابن حزم : جهرة أنساب العرب ٢٧١ والفلقلندي : نهاية ٣٤٨

(٤) الهمداني : صفة ١٥٩

(٥) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٥٦

(٦) البكري : معجم ما استعجم ١ : ١١

٢ - الفتح والإمالة

الإمالة ضرب من ضروب التأثير الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاوز أو تقارب ، وهي والفتح صاتتان ، وقد يكونان طويلين أو قصيرين .

ويدو أن الإمالة كانت شائعة شيوعا كبيرا بين القبائل العربية مما نجد له أثره فيما كتب عنها في كتب النحو والقراءات ، ولقد اهتم علماء القراءات اهتماما كبيرا بالإمالة فبينوا معناها وأسبابها ودرجاتها ومذاهب القراء فيها .

ويعرف ابن الجزرى بها إذ يقول « والفتح عبارة عن فتح القارىء لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر ، ويقال له أيضا التفعيم وربما قيل له النصب . وينقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط . . . والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض ، ويقال له الإضجاع ، ويقال له البطح ، وربما قيل له الكسر أيضا ، (وقليل) وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين ، فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضا الى قسمين ، إمالة شديدة وإمالة متوسطة ، وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب (١) . »

فالإمالة إذن هي أن تيميل الفتحة إلى الكسرة ، والألف إلى الياء ، لكن الدكتور أنيس يذكر أنه كما تكون هناك إمالة من هذا النوع ، تكون هناك إمالة من نوع آخر ، وهو أن تنحو بالفتحة نحو الضمة والألف نحو الواو (٢) .

وقد ذكر ابن جنى مثل هذا النوع من الإمالة في قوله ألف « وأما ألف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عالم وخاتم عقلم وخقلم . وأما ألف التفعيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم ، سلام عليه وقائم

(١) الذمير : ٢ : ٢٩ - ٣٠

(٢) اللهجات العربية ٤٦ ونحن نلاحظ وجود هذه الإمالة في لهجاتنا العامية من نحو فوق -

نوع - شوط . . الخ » إذا تأمل الفتحة التي قبل الواو لمى : O

زيد. . وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحياة بالواو ، لأن الألف مالت نحو الواو (١) .

وذكر ابن جنى نوعا آخر من الإمالة قرىء به ، وهو إمالة الكسرة نحو الضمة وهى فى الفعل الثلاثى الذى قلبت عينه ألفا فى الماضى كقال إذا بنى للمجهول ، فيقول « وأما الكسرة المشوبة بالضمه فنحوقل ويبيع وغيض وسيق ، وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمه فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو (٢) » . وقد ذكرها الدكتور أنيس لكنه لم ينسبها إلى قبيلة بعينها . (٣) إلا أننا وجدنا نصوصا تغزوها إلى قبائلها على ما سيظهر بعد .

ولقد شغل القدماء بموضوع الأصلية والفرعية فى الفتح والإمالة ، فذهب أكثرهم إلى أن الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه ، يقول ابن خالويه « الحجة ان فتح أنه أتى بالكلام على أصله ووجهه الذى كان له ، لأن الأصل التفتيح ، والإمالة فرع عليه (٤) » . ويقول ابن يعيش « والذى يدل على أن التفتيح هو الأصل أنه يجوز تفتيح كل ممال ولا يجوز إمالة كل مفتوح ، وأيضاً فإن التفتيح لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب (٥) » . ويلخص ابن الجزرى آراء من تقدمه فيقول « ولقد اختلف أئمتنا فى كون الإمالة فرعاً عن الفتح ، أو أن كلا منها أصل برأسه مع اتفاقهم على أنها لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بها القرآن . فذهب جماعة إلى أصالة كان منها وعدم تقدمه

(١) سر الصناعة ١ / ٥٥ - ٥٦

(٢) السابق ١ / ٥٩

(٣) اللهجات العربية ٤٧

(٤) ابن خالويه / الحجة ص ٤

(٥) شرح المفصل ٩ / ١٥٤

عن الآخر . . . وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب . قالوا ووجود السبب لا يقتضى الفرعية ولا الأصالة . وقال آخرون إن الفتح هو الأصل وإن الإمالة فرع ، بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب ، فإن فقد سبب منها لزم الفتح وإن وجد شيء منها جاز الفتح والإمالة ، فما من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها ، ولا يقال كل كلمة تفتح في العرب من يميلها . . . قلت ولكل من الرأيين وجه وليس هذا موضع الترجيح (١) .

ويعالج الدكتور أنيس الموضوع بطريقة علمية حديثة ، فيرى أن الإمالة أقدم في حالات ، والفتح أقدم في حالات أخرى ، فالإمالة في الألف التي أصلها ياء تطورت من صائت مركب Diphthong إلى إمالة إلى فتح (بَنَعَ) ← (إمالة) ← (فتح) .

أما الإمالة بغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة أو إمالة الألف غير المنقلبة عن أصل فليس هذا إلا نوعاً من الانسجام بين الصوائت ، وهذا الانسجام أقرب إلى السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي ، وعلى فإن الكلمة التي تشتمل على صوائت منسجمة أحدث من نظيرتها التي خلت صوائتها من الانسجام . وعلى ذلك فإن كلمة (كتاب) بالفتح أقدم منها بالإمالة (٢) .

وأسباب الإمالة عندهم عشرة ترجع إلى شيئين ، أحدهما الكسرة والثاني الياء (٣) .

١ — كسرة متقدمة ، ولا بد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل

(١) النشر ٢ / ٣٢

(٢) اللهجات العربية ٤٧ - ٤٨

(٣) النشر ٢ / ٣٢ - ٣٥

وأفله حرف واحد مفتوح نحو كتاب وحساب . وأما الفتحة الممالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة .

٢ — ياء متقدمة نحو أياما ، الحياة ، شيان .

٣ — كسرة متأخرة نحو عابد ، من الناس ، في النار .

٤ — ياء متأخرة نحو مباح .

٥ — كسرة مقدرة في المحل المال نحو خاف أصله (خَوْف) .

٦ — ياء مقدرة في المحل المال نحو يخشى ، آنى .

٧ — كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة نحو (طلب — جاء — زاد) لأن

الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من التكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث .

٨ — إمالة لأجل إمالة نحو (رأيت عمادا) فأمالوا الألف المبذلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة .

٩ — إمالة لأجل الشبه نحو (الحسنى) قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف (الهدى) .

١٠ — إمالة لأجل كثرة الاستعمال نحو (الناس) .

والمهم في هذه الأسباب أن الإمالة تنتظم التأثير الرجعى والتقدمى أو كليهما ، فالإمالة للكسرة والياء المتقدمين تأثر تقدمى إذ يتأثر الصوت الثانى بالأول ، والإمالة للكسرة والياء المتأخرتين تأثر رجعى إذ يتأثر الأول بالثانى .

والآن علينا — قبل الحديث عن لهجات القبائل في الفتح والإمالة — أن نعرض مذاهب القراء فيها (١) .

١ — أمال حمزة والكسائى كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن سواء

كانت في اسم أو فعل نحو (الهدى — مأواه — مأواه — الأزكى — الأعلى — موسى — عيسى) و (آتى — سعى — يرضى — اجتنب — استعلى) . ووافقها أبو عمرو من جميع ما تقدم على ما كان فيه راء بعدها ألف مائلة بأى وزن كان نحو (ذكرى — بشرى — النصارى — اشترى — وارى) .

٢ — أمال أبو عمرو والكسائي في رواية كل ألف بعد راء متطرفة مجرورة سواء كانت الألف أصلية أم زائدة نحو (الدار والنار والقهار والغفار والكفار) .
٣ — أمال حمزة الألف التي هي عين من الفعل الثلاثي الماضي نحو (زاد — شاء — ران — خاف) ووافقه الكسائي في (ران) .

٤ — إمالة أحرف الهجاء في أوائل السور ، أمال الراء من « الر » أبو عمرو وحمزة والكسائي ، والهاء من « كهيعص » أبو عمرو والكسائي ، والهاء من « طه » أبو عمرو وحمزة والكسائي ، والياء من « يس » ابن عامر وحمزة والكسائي .
ومعنى ذلك أن القراء الذين اشتهروا بالإمالة هم أبو عمرو وحمزة والكسائي .
لكن أبا على يذكر في حجته هذه القراءات :

١ — اختلفوا في الإمالة والفتح من قوله « جرف هار » فقرأ ابن كثير وعاصم — في رواية — وحمزة بفتح الهاء . وأمالها نافع وأبو عمرو وعاصم — في رواية — والكسائي (١) .

٢ — اختلفوا في فتح الراء وإمالتها من قوله « ولا أدراكم به » فقرأ ابن كثير وعاصم — في رواية — ونافع بالفتح ، وقرأ أبو عمرو وعاصم — في رواية — وحمزه والكسائي بالإمالة (٢) .

اختلفوا في قوله « الهدى » وما أشبهه من نحو « الهوى والعوى واستوى

(١) الحجة : ٥ : ٣٣٤

(٢) الحجة : ٥ : ٣٦٦

وأعطى « فالكسائي يميل ذلك كله ، وأبو عمرو في رؤوس الآي ، وعاصم يفتح إلا « رأى ورعى ورآه » فيميل ، وحمزه يميل ذوات الياء وابن كثير وابن عامر يفتحان (١) .

٤ — قراءة بإمالة الكسرة نحو الضمة ، اختلفوا في قراءة « قيل وغيض وحيل وسىء وسيثف وجيء وسبق » فقرأ الكسائي بإمالة الكسرة نحو الضمة ، ووافقه نافع في « سىء وسيثف » ، وقرأ الباقون بإخلاص الكسر (٢) . وقرأ عيسى « سوء » بإخلاص الضم (٣) .

وإذن فقد شارك نافع وعاصم في الإمالة أيضا . ولذلك يقسم الجعبري أصحاب الإمالة إلى قسمين :

١ — مقل ، ابن عامر وعاصم .

٢ — مكثر ، أبو عمرو وحمزة والكسائي .

ومعنى ذلك أن الإمالة كانت شائعة في قراءات أهل البصرة والكوفة أى في البيئة العراقية .

أما عن لهجات القبائل في الفتح والإمالة فيكادالقدماء يتفقون على أن الفتح لهجة أهل الحجاز ، وأن الإمالة لهجة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس (٤) ، وذكر السيوطي في الإتيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قر « يا يحيى » فقبل له ، يا رسول الله تيميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال هي لغة الأخوال من بني سعد (٥) أى

(١) الحجة : ١ : ٣٤٨

(٢) البحر : ١ : ٦١

(٣) البحر : ٧ : ١٥١

(٤) شرح المفصل : ٩ : ٥٤ والنشر : ٢ : ٣٠

(٥) الإتيان : ١ : ١١٤

سعد بن بكر . وذكر ابن الجزرى أيضا أن « الإمالة لغة هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر ^(١) » . ونقل السيوطى فى الهمع أن « أكثر اليمن يميلون ألف (حتى) لأن الإمالة غالبية فى السنتهم فى أكثر الكلام » ^(٢) .

لكن هل كان الحجازيون يذهبون إلى الفتح دائماً ؟

يذكر سيبويه أن الحجازيين يميلون فى مواضع قليلة، وذلك حيث يقول «ومما يميلون ألفه كل شئ من بنات الياء والواو مما هما فيه عين إذا كان أول فعلت مكسوراً نحواً نحو الكمرة ، كما نحووا نحو الياء فيما كانت ألفه فى موضع الياء وهى لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون ، ولا يميلون ما كانت الواو فيه عيناً إلا ما كان منكسر الأول وذلك خاف وطاب وهاب ^(٣) . » وكذلك يذكر السيوطى فى الهمع والأشونى فى شرحه على الألفية ^(٤) .

ومعنى ذلك أن القبائل المميلة هى :

تميم — أسد — قيس — هوازن — سعد بن بكر — بكر بن وائل .

القبائل اليمنية فى مواضع قليلة .

الحجازيون فى مواضع قليلة .

أما تميم وأسد وقيس فقد ذكرنا أنهم من ساكنى وسط شبه الجزيرة وشرقها وأما هوازن فبطن من قيس ^(٥) ، وينتسب بنو سعد بن بكر إلى هوازن ^(٦) ، وبكر بن وائل فى جنوب العراق .

(١) ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٦٠

(٢) همع الهوامع : ٢ : ٢٠٤

(٣) الكتاب ٢ : ٢٦١

(٤) همع الهوامع : ٢ : ٢٠٠ وشرح الأشموني ٤ : ٤٣٨

(٥) القلقشندي : نهاية الأرب ٣٥٥

(٦) السابق : ٢٤٠

فنحن نستطيع إذن أن ننسب الإمالة إلى القبائل البادية في وسط شبه الجزيرة وشرقيها والفتح إلى غربيها ، ويدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية كانوا يملون — في كلامهم — إلى الاقتصاد في المجهود العضلي ، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات ، يقول ابن الجزري « وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع (١) . » لكن وجود الإمالة في اليمن وعند الحجازيين في مواضع قليلة يجعلنا نقرر أن الإمالة كانت معروفة منتشرة في شبه الجزيرة كلها . وهي ظاهرة أخرى تنضاف إلى غيرها لتؤكد أن اللفظة العربية المشتركة لم تقم على لهجة قريش وحدها .

وبقيت لدينا — بعد ذلك — اللهجات في إمالة الكسر نحو الضم ، وهي توجد في الفعل الثلاثي الذي قلبت عينه ألفاً في الماضي إذا بنى للمجهول ، وقد ذكر أبو حيان أن فيه ثلاث لهجات (٢) .

- ١ — إخلاص كسر أوله وسكون عينه ياء في لهجة قريش ومجاورهم من بني كنانة .
- ٢ — إمالة الكسر نحو الضم وهي لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد .

٣ — إخلاص الضم وهي لهجة هذيل .

ومعنى ذلك أن إخلاص الكسر عند قريش ومجاورهم من بني كنانة تناسب ما يذهبون إليه من الفتح ، وهذه اللهجة نستطيع أن ننسبها إلى بيئة الحجاز ، وإذا كانت هذيل قد اختلفت مع بيئتها الحجازية في هذه اللهجة فقد اختلفت معها كما ذكرنا

(٣) النشر : ٢ : ٣٥

(٤) البحر : ١ : ٦١ والإنحاف ١٥٨

من قبل من إدغامها ألف المقصور في ياء المتكلم. والقبائل التي تذهب إلى إمالة الكسرة نحو الضمة هي نفسها القبائل التي اشتهرت بالإمالة ، وهي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وإن كانت قد ذكرت هنا قبيلة عقيل دون أن تذكر في القبائل المييلة ، فهي من قبائل المنطقة الشرقية حيث كانت تنزل البحرين على ما هو مذكور في موضعه .



٣ - التأثير بالجهر أو بالإطباق أو بالمخالفة أو بالإتباع

حين ياتقى صوت مهموس بصوت مجهور، قد ينقلب أحدهما إلى نظير الآخر بحيث يتكون منهما صوتان مهموسان أو مجهوران (١). كما قد تؤثر الأصوات المطبقة فيما يجاورها فتحولها إلى مطبقة، والصوت المجهور كما نعلم هو الذى يهتز معه الوتران الصوتيان، والمهموس هو الذى لا يهتز معهما ولا يسمع لهما رنين حين النطق به (٢). والصوت المطبق يكون اللسان معه مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى، مع تصعد أقصاه وطرفه نحو الحنك (٣). ومن ثم فإن أصوات الإطباق أصوات مفخمة لها رنة قوية في الآذان (٤) لا تتوافر في غير المطبقة.

أما المخالفة فتحدث في الكلمات التى تشمل على صوتين متماثلين كل التماثل، إذ تميل بعض اللهجات إلى قلب أحدهما إلى صوت آخر انتم المخالفة بينهما، والغالب أن يتغير أحدهما إلى صائت طويل (٥).

والإتباع الذى نقصده هنا هو ما نجده من تأثير الصوائت القصيرة بعضها ببعض، إذ يحدث أن يتجاور أو يتقارب صائتان قصيران في كلمة أو كلمتين فيتأثر أحدهما بالآخر وينقلب إلى جنسه، ويؤدى ذلك إلى انسجام فى الأصوات، وهذا الانسجام كما ذكرنا يؤدى إلى السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى عند الكلام. وهذا الضرب من التأثير قد يكون تأثيرا رجعيا أو تقديميا على النحو الذى يظهر بعد.

واقف وجدنا أن الجهر والمهموس والإطباق والمخالفة والإتباع من خواص بعض

(١) الدكتور أنيس : الأصوات اللغوية ١١٧

(٢) السابق : ٢٣

(٣) السابق : ٧٤

(٤) اللهجات العربية : ٧١

(٥) الأصوات اللغوية ١٤٣

اللهجات العربية ، وعلينا الآن أن نعرض لمذاهب القراء في هذه الظواهر قبل الحديث عن اللهجات فيها .

١ - تائمر بالجهر :

١ — قرأ حمزة « اهدنا الصراط » بإشمام الصاد الزاى ، ورواها الأصمعى عن أبي عمرو بالزاي (١) .

٢ — « من أصدق من الله حديثاً » قرأ حمزة والكسائى بإشمام الصاد زايًا وكذا كذا فيما كان مثله من صاد ساكنة بعدها دال نحو « يصدقون » و « تصدية » (٢) .

ب - تائمر بالهمس :

قرأ يحيى بن وثاب « ألم أحسد إليكم » (٣) .

ج - تائمر بالإطباق :

١ — قرأ الجمهور « اهدنا الصراط » بالماد وقرأ ابن كثير فى رواية « السراط » بالسين (٤) .

٢ — اختلفوا فى السين والصاد من « يبسط وبسطة والمسيطرون وبمسيطر » فقرأ ابن كثير بالسين فى كل ذلك ، وقرأ نافع بالصاد ، واختلف عن الباقيين (٥) .

٣ — ومن ذلك ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « والنخل باسقات ، وباصقات » (٦) .

(١) الحجة : ١ : ٣٨ والبحر ١ : ٢٥

(٢) البحر : ٣ : ٣١٢

(٣) ابن خالويه : ١٢٥ والبحر ٧ : ٣٤٣

(٤) الحجة : ١ : ٣٨ والبحر ١ : ٢٥ والإتخاف ١٥١

(٥) الحجة : ٢ : ٣٨٠

(٦) المحتسب ٣٠١

٤ — وقرأ يحيى بن عمار « وأصنع عليكم نعمته » (١) .

د - تأثر بالمخالفة :

- ١ — اختلفوا في تشديد النون وتخفيفها من قوله جل وعز « فذانك » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو « فذانك » مشددة النون ، وروى عن ابن كثير « فذانيك » خفيفة النون بياء ، وقرأ الباقون « فذانك » خفيفة النون (٢) .
- ٢ — وقرأ عكرمة « إيلا ولا ذمة » بياء بعد الكسرة خفيفة اللام (٣) .

هـ - تأثر بالإتباع :

- ١ — اختلفوا في قوله جل وعز « أن اقتلوا أنفسكم ، أو اخرجوا » في كسر النون والواو وضمهما ، فقرأ أبو عمرو في رواية « أن اقتلوا » بكسر النون « أو اخرجوا » بضم الواو ، وقرأ ابن عامر وابن كثير ونافع والكسائي « أن اقتلوا » « أو اخرجوا » بالضم فيهما ، وقرأ عاصم وحمة « أن اقتلوا » « أو اخرجوا » بالكسر فيهما (٤) .
- ٢ — روى قطرب من قراءة بعضهم « قُمَ الليل » و« قُلَ الحق من ربكم » بالفتح (٥) .

٣ — وقرأ يزيد بن قطيب « والمُحْصَنَات » بضم الصاد إتباعاً للضممة الميم (٦) .

٤ — قرأ أهل البادية « الحمدُ لله » مضمومة الدال واللام ، وقرأ إبراهيم بن

(١) المحتسب : ٢٥٠

(٢) المجة : ٦ : ١٤

(٣) المحتسب : ١٣٦

(٤) المجة : ٣ : ٢٧٩

(٥) المحتسب : ١٥

(٦) البحر : ٣ : ٢١٤

أبي عبلة ورويت عن زيد بن علي ولحسن البصري « الحمد لله » بالكسر في الدال واللام . (٤)

٥ — وقرأ أبو جعفر وسليمان بن مهران « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا » بضم التاء إتباعا لحركة الجيم (٥) .

ونستطيع أن نرى في هذه القراءات ما يلي :

أولاً المجموعة الأولى

(١) — أن الذين ذهبوا إلى الجهر هم القراء الذين ذهبوا إلى الإمالة ومنهم هنا حمزة والكسائي قارئاً الكوفة .

(٢) — أن التأثير في « الصراط » و « أصدق » تأثر رجعي ، حيث تأثر الصوت الأول بالثاني ، فالصاد صوت مهموس لثوي احتكاكي مطبق (١) ، والراء صوت مجهور لثوي مكرر (٢) ، والدال صوت مجهور انفجاري (٣) ، ومعنى ذلك أن الصاد المهموسة تجاوزت مع صوت مجهور فتأثرت به ، وكان ما أسموه إشمامها زايًا ، وأغلب الظن أن هذا الإشمام لم يكن زايًا خالصة ، بل كان مطبق الزاي أي ما يشبه الظاء في لهجاتنا العامية في مصر . وكلام ابن جني يؤدي إلى ذلك إذ يقول « وأما الصاد التي كالزاي ، فهي التي يقل همسها قليلا ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضاعفها الزاي (٤) . » وقد جعل أبو الفتح هذا الضرب من التأثير نوعاً من الإدغام الأصغر « ومنه — أي الإدغام الأصغر — تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم في نحو مصدر مزدرد ، وفي التصدير التذير ، وعليه قول العرب في المثل (لم يحرم من فزْد له) أصله

(٤) المختصب : ٥

(٥) البحر : ١ : ١٥٢

(١) الدكتور السمران : علم اللغة ١٩٢

(٢) السابق : ١٧٨

(٣) السابق : ١٦٨

(٤) سر الصناعة : ١ : ٥٦

فصله (١) . « ويحمل أبو الفتح هذه الظاهرة من التأثر تحليلًا علميًا فيقول « ويرى
عن الأصمعي قال : اختلف رجلان من العرب في الصقر ، فقال أحدهما بالصاد وقال
الآخر بالسين فتراضيا بأول من يقدم عليهما ، فإذا راكب ، فأخبراه
ورجعا إليه ، فقال ليس كما قلت إنما هو الزقر ، وهذا أيضا تقريب الحرف من
الحرف ، وذلك أن السين مهموسة والقاف مجهورة فأبدل السين زايا وهي مجهورة
لتقرب من القاف وهي مجهورة والزاى أخت السين (٢) :

٣ — برهنت التجارب الحديثة على أن الصوت المجهور أوضح في السمع من
نظيره المهموس . فالمجهور يسمع من مسافة قد يخفى عندها المهموس . وحين يتحدث
اثنان بعدت بينهما المسافة يحس السامع منها بوضوح صوت (كالدال) حين يقارن
بنظيره المهموس وهو (التاء (٣) . وعلى ذلك فإن الذي توقعه أن تنسب هذه
الظاهرة من التأثر بالجهر إلى القبائل البادية حيث تتطلب البيئة الصحراوية التي
تنتشر فيها الأصوات في مسافات شاسعة لا يعوقها عائق ، ولا يحول دونها حائل ، توضيح
الأصوات بطرق عدة من ينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحا في أذن السامع .
ويعزو أبو حيان إشهام السين زايا في مثل هذه الحالة إلى قبائل قيس ، كما يعزو
قلها زايا خالصة إلى قبائل عذرة وكمب وبنو القين ، أما قيس فقد ذكرناها من قبل
بين القبائل البادية ، وأما عذرة فهم بطن من قضاة وهي قبيلة بادية أيضا اشتهرت
في الأدب العربي بشدة العشق ، وذكرنا أيضا أن كمبا بطن عامر بن صعصعة من
هوازن وأنها كانت تسكن العروض مجاورة (٤) لتميم . وأما بنو القين فبطن من بني
أسد ويقال لهم بلقين (٥) . وكانت تنزل بنفس المنازل التي كانت تنزلها بنو أسد التي

(١) الخصائص ٢ : ١٤٤

(٢) المحتسب : ٣٠١

(٣) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٩٠

(٤) الهمداني : صفة ١٥٩

(٥) الفلغشندي : نهاية ٩٢

حددها من قبل (١) .

وعلى ذلك نستطيع أن نعزو الميل إلى الجهر إلى القبائل البادية في وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وأن ننسب لليل إلى الخمس إلى القبائل المتحضرة .

ثانياً — المجموعة الثانية ، ونلاحظ فيها ما يلي :

١ — أن الذي رويت عنه القراءة في « ألم أحد » هو يحيى بن وثاب وهو كوفي من موالى بنى أسد على ما ذكرنا .

٢ — أن الذي حدث في هذه الظاهرة عمليتان ، الأولى نتيجة تجاور العين والهاء في «أعهد» ، فالعين صوت مجهور حلقى (٢) والهاء صوت مهموس حلقى (٣) ، فتأثر المجهور بالمهموس وقلب إلى نظيره المهموس وهو الحاء « أحد » وهو تأثر رجعى ، ثم تأثرت الهاء وفيت فيها وهو تأثر تقدمي . وقد جاء على هذه اللهجة قولهم « دحاً ححاً » أى « دعها معها » . (٤)

٣ — الغريب حقا أن تنسب هذه اللهجة إلى تميم ، ذلك أن الميل إلى الخمس مناقض لنظيره وهو الميل إلى الجهر ، والجهر أنسب للقبائل البادية على ما ذكرنا آنفاً ، خاصة وأن تيمناً قد اشتهرت بالميل إلى الجهر أكثر من غيرها من القبائل حتى نسبوا إليها ما يسمونه بالنعنة وهى قلب الهمزة عينا إذا اجتمعت مع همزة ثانية أو مع نون (٥) . ويستشهدون على ذلك بقول ذى الرمة : (٦)

أعن ترممت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

(١) الهمداني : ١٣٢

(٢) الدكتور السمران : علم اللغة ١٩٥

(٣) السابق : ١٩٦

(٤) البهر : ٧ : ٣٤٣

(٥) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ١٥٤/١ .

(٦) ابن جني : سر الصناعة ١ : ٢٣٤

وقول قيس :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها

سوى عَنْ عَظْم الساق منك دقيق (١)

وذلك يجعلنا نشك في نسبة هذه الظاهرة — أى التأثير بالهمس — إلى تميم ،
هذا بالإضافة إلى أننا لم نجد شاهداً آخر من القراءات أو غيرها عليها ، ولعلها —
إن وجدت أن تكون لهجة لبعض من بني تميم دون أن تكون لهم جميعاً .

ثالثاً — المجموعة الثالثة . ونلاحظ فيها :

١ — أن القراء جميعاً اتفقوا على قراءة « الصراط » بالصاد ، وأن ابن كثير
وحده قرأ « يبسط » بالسين ، ونافع وحده بالصاد وهذا مدنى وذلك مكى أى
أنها من بيئة واحدة .

(٢) — أن الذى حدث في « الصراط » هو تأثير رجعى ، تأثر فيه الصوت
الأول (السين) بالثانى (الراء) . لكن كيف أثرت الراء المجهورة في السين
المهموسة فقلبتا صوتاً مطبقاً ؟ إذا رجعنا إلى كتب القراءات أعانتنا على فهم هذه
الظاهرة ، إذ تذكر أن القراء قد اتفقوا على قراءة « الصراط » بتفخيم الراء ، (٢)
فإذا علمنا أن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق (٣)
فهمنا تأثيرها في السين بأن حولتها صوتاً مطبقاً . وما حدث في « يبسط »
و « بمسيطر » واضح لإطباق الطاء . أما الذى حدث في « باسقات وباصقات »

(١) شرح المفصل ٨ / ٧٩ .

(٢) النشر : ٣ / ٩٣

(٣) الدكتور أنيس : الأصوات اللغوية ٦٢ .

« وأصبغ » فلأنهم كانوا يرون في هذه الأصوات المجهورة استعلاء ، والقاف عندهم صوت مجهور . (١) يقول ابن جني « الأصل السين وإنما الصاد بدل منها لاستعلاء القاف فأبدلت السين صاداً لتقرب من القاف لما في الصاد من الاستعلاء ، ونحوه قولهم في سقر صقر وفي السقر الصقر » (٢) . وجعل ابن جني هذا النوع أيضاً من الإدغام الأصغر لأنه تقريب صوت من صوت (٣) .

وعن اللهجات في هذه الظاهرة يذكر أبو حيان أن التأثير بالإطباق في « الصراط » لهجة قریش ويصفها بأنها « اللغة الجيدة » (٤) . وقد يكون ذلك صحيحاً في الألفاظ التي يوجد فيها إطباق نحو « ييسط وبميسطر » . أما أن قریشاً كانت تذهب إلى الإطباق في « باسقات » و « أسبغ » و « سقر » ، فذلك ما لا نظنه لأن البيئة الحضرية تميل إلى الأناة في الأداء بحيث تعطى كل صوت حقه فتنتطقه بصفاته ، وأما هذه الظاهرة أن تنسب إلى أهل البادية أجدر ، حيث عرفنا أن صوت الإطباق فيه من الوضوح ما يناسب البيئة الصحراوية .

رابعاً — المجموعة الرابعة . ونلاحظ فيها ما يلي :

١ — أن الذي حدث في « فذانيك » و « وإيلا » إنما هو نوع من المخالفة ، حيث اجتمع صوتان متماثلان ، فغيرت النون الثانية من « فذانيك » إلى صائت طويل وهو الياء ، كما أبدلت اللام الأولى من « وإيلاً » إلى صائت طويل وهو الياء أيضاً .

٢ — أن هذه الظاهرة يقصد بها التخفيف من شيء يستثقلونه ، وهو التضعيف

(١) سر الصناعة : ١ / ٢٧٨ .

(٢) المحتسب : ٣٠١ .

(٣) الخصائص : ٣ / ١٤٣ .

(٤) البحر : ١ / ٢٥ .

والذين يذهبون إلى هذا التخفيف هم القبائل البادية ذاتها التي تذهب إلى التضعيف . يقول السيوطي « وقد يقال في المذكر ذانيك وذيئيك ، وفي المؤنث تانيك وتينيك على لغة من شدد النون بإبدال إحدى النونين ياء ^(١) . والتثنية موجودة في اللفظة الأولى « فذائك » لوجود صائت طويل (الألف) قبل صوت مضعف (النون) ، وفي اللفظة الثانية لوجود الهمزة قبل اللام المشددة ، والهمزة صوت شديد لأنه صوت انفجاري كما ذكرنا من قبل . يقول ابن جني « طريق الصنعة فيه أن يكون أراد (إلا) كقراءة الجماعة إلا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام ، وانضاف إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة ، وقد جاء نحو هذا أحرف صالحة كدينار لقولهم دنانير وقيراط أقولهم قراريط وديماس فيمن قال دماميس وديساج فيمن قال دبابيج وشيراز فيمن قل شراريز وقد جاء مع الفتحة استثقالا للتضعيف وحده . قال سعد بن قرط يهجو أمه :

يألتما أمنا شالت نعمتها أيما إلى جنة أيما إلى نار

وقال عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت ويضحى وأيما بالعشى فيحضر

وقد قبلوا الثاني منها فقالوا في أملات أمليت ، وفي أمل أنا أملا أنا . وحدثنا

أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى عنهم لا ورييك لا أفعل ، أي لا وربك ^(٢) .

٣ - نسبت هذه الظاهرة إلى بني عبد القيس ^(٣) وهم بطن من أسد ، وكانوا يسكنون المنطقة الشرقية مجاورين لبني تميم وبكر بن وائل ^(٤) . وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نعزو هذه الظاهرة أيضا إلى القبائل البادية .

(١) الهمع : ٧٥ / ١ .

(٢) المحنص : ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) ابن هشام : فني اللبيب ٥٧ / ١ .

(٤) القفشندي : نهاية ٢٧٥ .

خامسا — المجموعة الخامسة . ونلاحظ فيها ما يلي :

١ — أن الذى حدث فى « الحمد لله » تأثر تقدمى ، تأثر فيه الصوت الثانى بالأول ، وما حدث فى « الحمد لله » تأثر رجعى ، تأثر فيه الصوت الأول بالثانى ، ويلاحظ هنا أن الصائت القصير (الضمة فى الحمد) له وظيفة إعرابية ومع ذلك تأثر بالصائت القصير الآخر (الكسرة فى الله) طلبا لهذا الانسجام بين الأصوات .

٢ — ذكر ابن جنى هذا الضرب أيضا من بين ضروب الإدغام الأصغر ، وقال إن الأغلب فيه أن يكون « مع حروف الحلق نحو شعير وبِعير ورِغيف . وسمعت الشجرى غير مرة يقول زثير الأسد ، وحكى أبو زيد عنهم (لمن خاف وعيد الله) (٢) » . وذكر فى المحتسب أمثلة أخرى ليست كلها مع أصوات الحلق مثل السُّلطان والقُرُصاء ، وما حكى من قولهم « مُنْتَن » وهو مُنْحَدِر من الجبل ، وحكى أيضا أَجْوُوكَ وَأَنْبُوُوكَ (٣) .

٣ — يلحظ أن قراءة « الحمد لله » بالضم لم ترو عن قارئ بعينه بل جاءت رواية عن « أهل البادية » وهو ما نعتده من أن هذه الظاهرة كانت شائعة فيهم كون فيها من انسجام صوتى تتحقق به السهولة والسرعة فى الكلام . وقد عزا كثيرا من هذه الأمثلة إلى أزد شنوءة (٤) وهم من القبائل البادية التى كانت ات الحجاز على ما ذكرنا من قبل .

، فلعلك لاحظت الآن أن التأثر بالجهر ينسب إلى قبائل قيس وعذرة وبنى حنين ، وأن التأثر بالإطباق ينسب أيضا إلى أهل البادية ، وأن التأثر بالخالفة ينسب إلى عبد القيس ، وأن التأثر بالإتباع ينسب إلى أزد شنوءة . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذه الظواهر كانت من خصائص اللهجات المنتشرة فى البادية .

(٢) الخصائص : ٢ / ١٤٣

(٣) المحتسب : ٨١

(٤) البحر : ١ / ١٥٢

٤ - التامير بالحذف

حين تتجاور أصوات متماثلة أو متقاربة ، تميل بعض اللهجات إلى حذف أحدها طلباً للتخفيف ، وليس هذا الحذف مقصورياً على الصوامت وحدها بل يشمل الصوائت أيضاً ، وقد يكون الصائت جزءاً من الشكل « form » في بنية الكلمة ، وقد يكون ذا وظيفة إعرابية على النحو الذي يظهر بعد .

وإليك الآن عرضاً لنماذج من القراءات التي تشير إلى هذه الظاهرة .

أولاً — حذف في الصوامت .

١ — اختلفوا في تشديد النون وتخفيفها من قوله تعالى « أتحتاجوني في الله »

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي بتشديد النون ، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بتخفيفها (١) .

٢ — اختلفوا في « تأمروني » فقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر « تأمروني »

بنون خفيفة ، وقرأ الباقر بالتشديد ، وقرأ ابن عامر في رواية « تأمروتي »

بنون خفيفتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة (٢) .

٣ — ومن الشواذ قرأ أبي عيسى « الذي يخرج الحب » بنقل حركة الهمزة

إلى الباء وحذف الهمزة . (٣)

وهذه القراءات توضح لنا ما يلي :

١ — أن الذي حدث في القراءتين الأوليين « أتحتاجوني » و « تأمروني »

هو اجتماع صوتين متماثلين (النون) نتج عنه إدغامها في صوت واحد ، والإدغام

بطبيعته مستقل ، أضف إلى ذلك أن قبلة صائتا طويلاً وهو عندهم « حرف

(١) الحجة : ٣٧ / ٤ والنشر ٢ / ٢٥٩

(٢) الحجة : ٦٣ / ٧ والنشر ٢ / ٣٩٣

(٣) ابن خالويه : ١٠٩ والبجر ٧ / ٦٩

ساكن « والإدغام أوله ساكن ، مما جعل بعضهم يقلب مثل هذا الصائت الطويل همزة على ما رأيت في قراءتهم « ولا الضالين » و « دأبة » . وعلى ذلك فإن حذف النون الثانية إنما طلب به التخفيف . وعلى هذه اللمجة في حذف النون جاءت شواهد كثيرة من نحو (١) :

أبلموت الذى لا بد أنى ملاق لا أبالك تحوفنى

وينقل أبو على أن هذه اللمجة انعطاف (٢) . وهى كما ذكرنا تنسب إلى قيس عيلان (٣) ، كما أنها من انقبائل البادية التى كانت تسكن مجاورة لطيء (٤) ، والبدو يميلون إلى السهولة والسرعة فى الكلام ومن هنا كان الحذف .

أن الذى حدث فى « الحبء » هو وجود صوتين صامتين متجاورين وبينهما شئ من التشابه ، فالباء صوت صامت انفجارى (٥) ، والهمزة كذلك انفجارى ، فكان حذف الهمزة مؤدياً إلى التخفيف .

ثانياً — حذف فى الصوائت :

أ — فى الأسماء :

١ — اختلفوا فى تحريك الدال وتسكينها من قوله جل وعز « على الموسع قدره وعلى القتر قدره » ، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم بإسكان الدال وقرأ ابن عامر وحمة والسكائى بالتحريك (٦) .

٢ — اختلفوا فى فتح الراء وإسكانها من قوله تعالى « الدرك » فقرأ ابن كثير

(١) الحجة : ٤ / ٣٨

(٢) المصدر والصفة .

(٣) المبرد : نسب عدنان و قحطان ١١

(٤) القلشندى : نهاية الأرب ٣١٤

(٥) الدكتور السمران : علم اللغة ١٦٧

(٦) الحجة : ٣ / ٣٧٠

ونافع وأبو عمر وابن عامر بفتح الراء ، وقرأ عاصم وحزوه والكسائي بإسكانها (١) .

٣ — اختلفوا في ضم الطاء وإسكانها من قوله تعالى « خطوات » فقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي « خُطُوات » مثقلة ، وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحزوة « خُطُوات » ساكنة الراء (٢) .

٤ — اختلفوا في ضم الكاف وإسكانها من « الأكل » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع بسكون الكاف ، وقرأ عاصم وابن عامر وحزوة والكسائي « أَكَلُها والأَكُلُ وأَكُلُه » مثقلا كله (٣) .

ومن الشواذ :

روى ابن مجاهد وابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو « في قلوبهم مَرَضٌ » ساكنة الراء (٤) .

٢ — وقرأ عبيد عن أبي عمر « وقال رَجُلٌ » بسكون الجيم (٥) .

وقرأ الحسن « فنظَّرة إلى ميسرة » بسكون الظاء (٦) .

٤ — وقرأ ابن الزبير وأبو حيوة وابن أبي عبلة ورواية عن أبي عمرو وزيد بن علي والأعمش « الجمعة » بسكون الميم (٧) .

(١) الحجة : ٣ / ٣٠٠

(٢) الحجة : ٢ / ٢٨٨

(٣) الحجة : ٣ / ٣٤

(٤) المحتسب : ١٤

(٥) ابن خالوية : ١٣٢

(٦) السابق : ١٧

(٧) البحر : ٨ / ٢٦٧

ب — في الأفعال :

١ — قرأ بعضهم « أُعْثُوا » بإسكان العين (١) .

٢ — وقرأ زيد بن علي « بما رُجبت » بسكون الحاء (٢) .

ثالثا — حذف صائت ذي وظيفة إعرابية :

١ — قرأ الجمهور بظهور حركة إعراب في « بارئكم » وروى عن أبي عمرو الاختلاس ، روى ذلك عنه سيويه . وروى عنه الإسكان وذلك إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل (٣) .

٢ — واختلف في راء « يأمركم وتأمرهم ويأمرهم وينصرم ويشعركم » حيث وقع مرفوعا ، فأبو عمرو من أكثر الطرق بإسكان الراء كما ورد عنه وعن أصحابه منصوصا . (٤)

٣ — سئل أبو عمرو عن « يعلمهم الكتاب » فقال : أهل الحجاز يقولون يعلمهم ويعلمهم مثقلة ، ولغة تميم يعلمهم ويعلمهم (٥) .

وهذه القراءات توضح لنا ما يأتي :

١ — أن القراء اختلفوا في التحريك والتسكين بحيث لا يظهر لهم مذهب واحد لكن أبا عمرو كان أكثرهم قراءة بالتسكين وهو من البيئة البصرية .

٢ — أن حذف الصائت جاء نتيجة توالي الصوائت ، سواء كانت هذه الصوائت في اسم أم في فعل ، وسواء كانت في كلمة أم في كلمتين ، وسواء كانت متاثلة نحو « الدَّرَك — خُطوات » أم مختلفة نحو « رَجُل — فَتَظْرَة » .

(١) ابن خالويه : ٣٤

(٢) البحر : ٥ / ٢٤

(٣) البحر : ١ : ٢٠٦

(٤) الاتحاف : ١٦٤

(٥) المختص : ٤٤

٣ — أن هذا الحذف للصائت كان طلباً للتخفيف لاستقلالهم توالى الصائت ، حتى لو كان هذا الصائت ذا وظيفة إعرابية كما في قراءة أبي عمرو .

٤ — أن هذا الحذف في الصائت الإعرابي قد أثار نقاشاً بين النحويين والقراء فذهب النحاة إلى ما يعبر عنه ابن جنى بقوله « حتى دما ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة ، لاحذفها البتة ، هو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين روه ساكناً ، ولم يؤث القوم في ذلك من ضعف أمانة ، لكن أتوا من ضعف دراية . (١) » وذهب أصحاب القراءات إلى أن « كثيرين من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك (٢) . » وإلى أن « القراءات لا تجيء على ما علمه البصريون وتقلوه » (٣) .

٥ — أن أصحاب الضرائر جعلوا حذف الصائت ذى الوظيفة الإعرابية من الضرورة الشعرية ويخرجون عليها بيت الكتاب : (٤)

فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل

ومع ذلك يعترف بعضهم أن هذا التخفيف « سائغ في حال السعة لأنه لغة » . (٥)

٦ — أن الروايات تكاد تتفق على أن توالى الصوائت من لهجة الحجاز ، وهى تلائم البيئة الحضرية التى تميل إلى التأتى فى الكلام بحيث تعطى كل صوت حقه ، وأن التخفيف من لهجات بنى تميم وأسد وبعض نجد ، وهى قبائل بادية تميل إلى السرعة والاقتصاد فى المجهود العضلى وهذا الحذف يوفر لهم ذلك .

(١) الخصائص : ١ : ٧٣

(٢) البحر : ٤ : ٢٧٢

(٣) البحر : ٣٦٢

(٤) الكتاب : ٢ : ٢٩٧

(٥) الألوسى : الضرائر ص ٢٧٠

وقد جاءت على هذه اللهجة البدوية شواهد كثيرة منها بيت الكتاب السابق ذكره ، ومنها قول جرير (١) :

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ونهر تيرى فلا تعرفكم العرب
وقول الراعي :

تأبى قضاة أن تعرفكم نسا وإنا نزار فأنتم بيضة البلد

* * *

(١) الخصائص ١ : ٧٤

الفصل الثاني

المستوى الصرفي

أولا — في الأسماء والمشتقات :

١ — الضمير

الحق أنه لا يزال هناك اختلاط كبير بين منهج الدرس الصوتي وبين الصرف ، فإذا كانت دراسة الأصوات بحثا في العناصر الأولى البسيطة التي تتكون منها اللغة ، فإن كثيرا من الموضوعات التي يدور حولها الصرف إنما تنبني على قوانين صوتية مرجعها ذلك التأثير المتبادل بين الحروف حين تتألف ويتصل بعضها ببعض . بل إن اللغويين المحدثين حين يحددون ميدان النحو يحصلونه مشتملا على « المورفولوجيا » و « النظم » (١) .

وانقد كنا نستطيع أن ندرس الضمير فيما عرضناه من الفروق اللفجية في الأصوات ، كأن نجعل بعضه تحت اللفجات التي تميل إلى الضم ، وبعضه الثاني تحت التي تميل إلى الكسر ، وبعضه الثالث تحت التي تميل إلى الحذف . . الخ . ولكننا آثرنا أن نضعه هنا في المستوى الصرفي لأننا — أولا — أردنا أن نلم شتاته ، ولأننا — ثانيا — وجدنا أن عرضنا له على هذه الصورة يوضح لنا بنية الكلمة التي يتكون منها الضمير منفصلا أو متصلا مع غيره على النحو الذي يظهر بعد .

ومما يقوى عندنا ذلك ما كان من اختلافهم في الشكل « Form » الذي يبنى عليه الضمير حيث يقولون مثلا « المختار في (أنا) أن الضمير هو الهمزة والنون فقط والآلف

(1) Bloomfield : Language, London (1950) p. 184

زائدة لبيان الحركة ومذهب الكوفيين أنه الأحرف الثلاثة ... وفي (أنت) وفروعه
أن الضمير نفس (أن) عند البصريين واللواحق لها حروف خطاب ، ومذهب القراء
إلى أن (أنت) بكامله هو الضمير ، ومذهب ابن كيسان إلى أن التاء هي الضمير وهي
التي في فعلت ... وفي (هو وهي) الجميع ضمير وهو مذهب البصريين ، ومذهب
الكوفيين إلى أن الضمير هو الهاء فقط والواو والياء إشباع وفي (هما وهم) للضمير
الهاء وحدها وحكى عن الفارسي أنه المجموع وفي (هن) الهاء وحدها والنون الأولى
كليم في (هم) والثانية كالواو في (هو) ^(١) .

وإليك الآن عرضا لما ورد من قراءات في الضمائر :

أولاً — ضمير المفرد المتكلم :

١ — اختلفوا في قوله تعالى « أنا أحيي » فقرأوا جميعا بحذف الألف من « أنا »
إذا وصلوا في كل القرآن ، غير أبي جعفر ونافع فإنهما يثبتان الألف في الوصل إذا
لقيتها همزة في كل القرآن مثل « أنا أحيي » و « أنا أخوك » إلا في قوله « إن أنا
إلا نذير مبين » فإنهما يطرحانها في هذا الوضع ^(٢) . ولم يختلفوا في إثباتها وقفا .

٢ — اختلفوا في « بمصرخى » فقرأ حمزة بكسر الباء « بمصرخى » وقرأ الباقون بفتحها ^(٣) .

٣ — وقرأ الحسن « هي عصاي » بكسر الياء ^(٤) .

٤ — قرأ النبي صلى الله عليه وسلم وأبو الطفيل وعبد الله بن أبي إسحاق وعاصم
الجحدري وهيب بن عمر الثقفي « كهوى » ^(٥) وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى

(١) شرح التصريح على التوضيح ١ : ١٠٣

(٢) الحجة ٢ : ٣٩٤ والإنعاف ١٩٣ .

(٣) النشر ٢ : ٢٢٨ والإنعاف ٣٢٧

(٤) المحتجب ١٩٧

(٥) المحرر ٢٦ :

والجحدري « وَتَحْيِي » (١)

وهذه القراءات تقدم لنا ثلاث ظواهر لهجية

١ — أن ضمير المتكلم (أنا) تثبت ألفه في كل القراءات ، لكنها تثبت وصلا في قراءة أبي جعفر ونافع وهما قارئتا المدينة ، وهم يسبون إثبات الألف في الوقف والوصل إلى بنى تميم ، وحذفها إلى الحجاز (٢) ، وعريب حقا أن تثبت تميم ويحذف الحجازيون ، فاشهور عن تميم أنها قبيلة بادية تميم إلى السرعة في الكلام حتى نسب إليها حذف بعضه على ما بينا من قبل ، لكننا إذا نظرنا إلى هذه الظاهرة من ناحية أخرى وهي أن الروايات التي تثبت الألف في (أنا) وردت في قراءات بعدها همزة ، فقد يكون محتملا أن تيمما — وهي من القبائل المشهورة بالهمز — كانت تثبت هذه الألف توصلا إلى تحقيق الهمزة . إلا أنه وردت على هذه اللهجة شواهد بثبوت ألف (أنا) في الوصل دون أن يكون بعدها همزة من نحو قول الشاعر (٣) :

أنا سيف العشيرة فأعرفوني حميد قد تذريرت الساما

ويذكر الأشموني أن هذا الضمير فيه خمس لهجات دون أن يحددها كلها ، فصحاها إثبات ألفه ووقفا وحذفها وصلا ، والثانية إثباتها وصلا ووقفا وهي لهجة تميم ، والثالثة (كنا) بإبدال همزته هاء ، والرابعة (آن) عدة بعد الهمزة ، والخامسة (أن) كعن (٤) .

٢ — أن القراءات التي قدمناها بضمير المتكلم مصافا إليه تبين بنيتها في حالة واحدة فقط ، وهي أن يسبقه صائت طويل « بصرخي » و « عصاي » ، وهي

(١) البحر : ٤ ٢٦٢

(٢) الانتهاج ١٩٣

(٣) المحقق ٩٣ ٣

(٤) حاشية الصان ١ ١٠٠

تدل على أنه قد كانت هناك لهجة تحرك هذا الضمير بالكسر في هذه الحالة ، ولقد
 كنا نستطيع أن نعال هذه اللهجة بالإتباع في « بمصرخى » لكن القراءة الأخرى
 تناقض ذلك . وعليه فإننا نقول إن هذه اللهجة كانت تحرك ياء التكلم في حالة الإضافة
 بالكسر ، وهم يتفقون على نسبة هذه اللهجة إلى بني يربوع ^(١) وهم ينتسبون إلى بني
 تميم ^(٢) ، ويذكرهم الهمداني فيمن كان يسكن بلاد بني تميم ، ويقول عنهم « وهم
 البادية » ^(٣) ، ويرجح ذلك عندنا أن اللهجة البادية تذهب إلى الكسر حيث تميل
 لهجات الحضر إلى الفتح . وعلى هذه اللهجة جاءت شواهد من نحو قول الشاعر ^(٤) :

على لعمر و نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
 ٣ — واللهجة الثالثة التي تشير إليها هذه القراءات هي إضافة المقصور إلى ياء
 التكلم وقد ذكرناها في حديثنا عن الإدغام وذكرنا أنها تعزى إلى هذيل .

ثانياً — ضمير الغيبة :

١ — اختلفوا في قوله جل وعز « فألقه إليهم » فقرأ ابن كثير وابن عامر
 والكسائي « فألقهم إليهم » موصولة بيساء ، وقرأ عاصم وحزمة « فألقه إليهم »
 بإسكان الهاء ، واختلف عن أبي عمرو ^(٥) .

٢ — اختلفوا في قوله « يرضه لكم » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
 « يرضو لكم » موصولة بواو ، وقرأ ابن عامر « يرضه لكم » من غير إشباع ،
 وقرأ حمزة وعاصم في رواية « يرضه » بإسكان الهاء ^(٦) .

(١) النشر : ٢ : ٢٢٨

(٢) القلشندي : نهاية الأرب ٣٥٩

(٣) الهمداني صفة ١٤٠

(٤) المحتسب : ١٩٧

(٥) الحجة : ٦ : ٦٢

(٦) الحجة : ٧ : ٥٣

٣ — اختلفوا في قوله « يؤده إليك » فقرأ أبو عمرو وحزمة بإسكان الهاء ،
وقرأ الباقر بكسرهما ووصلها بياء (١) .

٤ — وروى عن ابن عباس « ونادى نوح ابنه » بسكون الهاء (٢) .

٥ — اختلفوا في الهاء من قوله تعالى « فهو — وهى » إذا كان قبلها لام أو
واو أو ثم أوفاء ، فقرأ ابن كثير وابن عامر وحزمة « وهُو — فهو — لهُو —
ثم هو — فهى — وهى » بتحريك الهاء في ذلك كله وقرأ أبو عمرو والكاسى
وأبو جعفر بإسكان الهاء في ذلك كله واختلف عن نافع (٣) .

وهذه القراءات تضع بين أيدينا ما يأتى :

١ — أن ضمير الغائب المفرد إذا كان ما قبله مفتوحاً فإنه إما أن يتكون من
الهاء وحدها ساكنة ، أو من الهاء وحدها مع تحريكها بالضم ، أو من الهاء مع
وصلها بواو .

٢ — وإذا كان ما قبله مكسوراً فإنه يتكون من الهاء وحدها ساكنة أو من
الهاء موصولة بياء .

٣ — أن ضمير الغائب الذى يكون في محل رفع ويكون مسبوفاً بصات قصير
فإنه يكون بين حالتين ، تحريك الهاء أو إسكانها .

وعن اللهجات في هذا الضمير يذكر أبو على أنه يتكون من الهاء والواو في
لهجة أهل الحجاز سواء كان ما قبلها مفتوحاً أم مكسوراً ، يقولون مرت بهو ،
ولديهومال ، ويقرأون « فحسبنا بهو وبدار هو الأرض » (٤) . وهذا الضمير نفسه

(١) البحر : ٢ : ٤٩٩

(٢) المحتسب : ١٥٥

(٣) الهجة : ١ : ٣٨٢ والإتحاف : ١٦٠

(٤) الهجة : ١ : ٥٠

يتكون من الهاء الساكنة وحدها في لهجة أزد السراة كما ينقل ابن جني ويؤيده
بقول الشاعر (١) :

فولت لدى البيت القتيق أخيلهو ومطواى مشتاقان له أرقان

وينقل أبو حيان عن الكسائي أنها لهجة لعقيل وكلاب وأنهم يقرأون « لربة
لكنود » بسكون الهاء (٢) .

أما أزد السراة فقد ذكرنا أنهم فرع من الأزد وأنها قبيلة بادية كانت تسكن
سروات الحجاز ، وأما عقيل فقد ذكرنا أيضا أنها كانت تسكن البحرين في النقطة
الشرقية من شبه الجزيرة وأما كلاب فبطن من عامر بن صعصعة وكانت تسكن في
جهاز المدينة وفدك والموالي ثم انتقلت إلى الشام (٣) .

وأما الضمير المرفوع الذي يسبقه صائت قصير فنستطيع أن ننسب تحريك هائه
إلى البيئة المتحضرة من الحجاز ، وإسكان الهاء إلى تميم ومن يجاورهم في وسط شبه
الجزيرة وشرقيها ، إذ أن هذا التسكين يندرج تحت ما عرضناه من التأثير بالحذف حين
تتوالى مجموعة من الصوائت ، وعلى هذه الالهاة جاءت شواهد كثيرة من نحو
قول الشاعر (٤) :

فقممت للزور مرتاعا فأرقنى فقلت أهوى سرت أم عادنى حلم
ويذكر أصحاب الضرائر أن تسكين الهاء من هذا الضمير ضرورة شعرية (٥) ،

(١) المختب : ١١٧

(٢) البحر : ٢ : ٤٩٩

(٣) الفلق شندى : نهاية ٣٩٩

(٤) شرح المفصل : ٩ : ١٣٩

(٥) الألوسى : الضرائر : ٨١ : ٨٢

وقد رأيت أنه قد ورد عليها قراءات كثيرة ، وأن هذه القراءات تدل على لهجات بذاتها .

ثالثاً — ضمير الغيبة في التثنية والجمع :

١ — اختلفوا في ضم الهاء وكسرها من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو « عليهم وإليهم ولديهم ، وعليهما وإليها وفيها ، وعليهن وإلين وفيهن وأبيهم ، وترميمهم وما نريمهم » فقرأ يعقوب جميع ذلك بضم الهاء ووافقه حمزة في « عليهم وإليهم » وقرأ الباقون بكسر الهاء (١) .

٢ — اختلفوا في صلة ميم الجمع بواو وإسكانها إذا وقعت قبل محرك نحو « أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » و « مما رزقناهم ينفقون » و « عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » و « على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب » فقرأ ابن كثير وأبو جعفر بضم الميم من جميع ذلك ووصلها بواو وصلوا ، وقرأ الباقون بإسكان الميم في جميع القرآن ، وأجمعوا على إسكانها وقفا (٢) .

٣ — اختلفوا في كسر ميم الجمع وضمها ، وضم ما قبلها وكسرها ، إذا كان بعد الميم ساكن وكان قبلها كسرة أو ياء ساكنة وذلك نحو « قلوبهم العجل — وبهم الأسباب — ويغنيهم الله — ويريمهم الله — وعليهم القتال — ومن يومهم الذي » فقرأ أبو عمرو بكسر الميم والهاء في ذلك كله وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر بضم الميم وكسر الهاء ، وقرأ حمزة والكسائي بضم الميم والهاء (٣) .

وهذه القراءات تقدم لنا لهجتين مختلفتان في هاء هذا الضمير ، أما ضمها فلهجة قريش والحجازيين (٤) وهي توافق ما ذكرناه عن ضم هاء الضمير المفرد عندهم أيضاً ،

(١) النشر : ١ : ٢٧٢

(٢) السابق : ١ : ٢٧٣

(٣) النشر : ١ : ٢٧٤

(٤) الإتحاف : ١٩١

وضم هذه الهاء في الجمع مع ضم الميم ووصلها بواو (هو) يزوجها أبو علي إلى قریش وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن (١) .

واللهجة الثانية كسر الهاء ، وينقل أبو علي أنها لهجة بكر بن وائل يحكى عن أبي زيد أن رجلا من بني بكر بن وائل قال، أخذت هذا منه ومنهـا ومنهـى ... ويؤكد كسر الهاء أن ناسا من بكر بن وائل قالوا بكم وفضل أحلامكم (٢). ونحن نعلم أن هذه القبيلة كانت تسكن جنوب العراق ولعله قد كانت بينها وبين اللغات التي كانت تنتشر في هذه المنطقة كالآرامية والعبرية شيء من التأثير إذ من الملاحظ أن هذا الضمير في العبرية يقارب هذه اللهجة وإن كان لا يميل إلى الكسر الخالص Hä (هم) و Hān (هن) و alākhem (عليخهم) .

(١) الحجة : ١ : ٤٨

(٢) الحجة : ١ : ٥٨

٢ - المقصور والمدود

ونحن لا نغنى به هذا الباب الطويل الذى عقده علماء القراءات عن القصر والمد ،
لكننا نغنى به هذا المصطلح الصرفى فى الاسم المقصور والمدود كما يعرف بهما فى علم
الصرف بأن « المقصور هو الاسم المتمكن الذى آخره ألف لازمة ، والمدود هو الاسم
المتمكن الذى آخره همزة بعد ألف زائدة »^(١). ومعنى هذا التعريف أن آخر الاسم
المقصور صائت طويل مفتوح ، وأن كمية هذا الصائت تزداد فى المدود حتى تخلق همزة.
وقد جعل أصحاب الضرائر قصر المدود ومد المقصور من الضرورات الشعرية^(٢)
مستشهدين على ذلك بقول الشاعر :

وهم مثل الناس الذى يعرفونه وأهل الوفا من حادث وقديم
وقول آخر :

..يفغنى الذى أغناك عفى فلا فقر يدوم ولا غناء

فهل كان ذلك حقيقة من الضرورات الشعرية أم كان لهجة يؤيدها ما ورد فيها
من قراءات ؟ علينا أولاً أن ننظر فى هذه القراءات التى تمثل هذه الظاهرة :

١ — اختلفوا فى قوله عز وجل « دكا » فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن
عامر « دكاً » منونة مقصورة ، وقرأ حمزة والكسائى « دكاء » ممدودة غير منونة^(٣).

٢ — وقرأ طلحة بن مصرف « يسكاد سناء برقه » بالمد ، وقرأ الجمهور
« سنا برقه » بالقصر^(٤).

وواضح من القراءتين أن القراء أجازوا القصر والمد فى القرآن ، والقرآن
ليس شعراً ومن ثم فإن قصر المدود أو مد المقصور ليسا من الضرورة الشعرية .

(١) شرح التصريح ٢ : ٢٩٣

(٢) الألوسى : الضرائر ٥٧

(٣) الحجة : ٤ : ٢٠٢

(٤) الكرمانى : ١٧٢

وتتفق الروايات على أن المدود من لهجات الحجاز حيث يذهب بنو تميم وقيس
وربيعة وأسد إلى القصر (١) ، وذلك يناسب كلا من البيئتين ، إذ أن الفرق بين
المقصور والمدود إنما هو في كمية الصائت الطويل الذي يقع في آخر الاسم ، فإذا
كانت القبائل الحجازية المتحضرة تذهب إلى التأني وتحقيق الأصوات فتستوفي كمية
هذا الصائت حتى تصل إلى الهمزة ، فإن القبائل البادية من تميم وقيس وربيعه وأسد
تميل إلى السرعة في النطق مما يؤدي بها إلى كثير من الحذف على ما رأينا سابقاً .

(١) البحر : ١ : ١٣٨ وشرح التصريح ١٢٧

٣ - من المصادر

والمصدر من الثلاثي سماعي في معظمه وإن وضعوا له أقيسة ، وهو قياسي في غيره وقد وردت قراءات بمصادر نسبوها إلى لهجات نعرضها فيما يلي :

- ١ - قرأ الجمهور « وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون » (١) .
- ٢ - وقرأ الجمهور « كذّابا » بتشديد الذال مصدر كذب (٢) .
- ٣ - وقرأ الكسائي « بزعم » بضم الزاي ، وقرأ باقي السبعة بالفتح (٣) .

وأهمية القراءتين الأوليين في أنه لاختلاف فيهما ، وذلك دليل على أن خصائص لهجة من غير بيئة الحجاز قد كانت شائعة حتى إنه لا يظهر فيها خلاف بين القراء .
أما القراءة الأولى فتقدم لنا مصدرا من الفعل الثلاثي ، وينقل أبو حيان أن هذا المصدر « براء » لهجة لأهل العالية ، أي عالية نجد ، وهي من البيئة البدوية ، وأما المصدر الثاني (كذّابا) فمن فعل ثلاثي مضعف العين ، وقياسه في العربية على التفعيل ، وينقل أبو حيان أيضا أنها لهجة يمانية لكننا لانعرف أي القبائل اليمنية كان يتكلم بها ، وعلى هذه اللهجة جاءت شواهد من نحو قول الشاعر :

لقد طال ماثبطتي عن صحابي وعن حجة قضاؤها من شفائيا
ومن كلام أحدهم وهو يستفيق ، الحلق أحب إليك أم القصّار ؟ يريد
التقصير (٤) .

وينقل أبو حيان أيضا أن هذا المصدر (يقال) في باب (فَعَّل) كله فاش في

(١) البحر : ٨ - ١١

(٢) البحر : ٨ - ١٤

(٣) البحر : ٤ : ٢٢٧

(٤) البحر : ٨ - ١٤ ورواية اللسان :

لقد طال ما اثبتني عن صحابي وعن حوج قضاؤها من شفائيا

كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره) وأن بعضهم سمعه يفسر آية فقال له (لقد فسرتها
فستارا) (١) .

أما القراءة الثالثة التي قرأ بها الكسائي وهي (بزعمهم) بالضم فقد قالوا إنها
والفتح مصدران ، وهو مصدر من الفعل الثلاثي ، ويذكرون أن الضم فيه لهجة
لبنى أسد (٢) ، وقد يكون ذلك صحيحا لما علمنا من ميل هذه القبيلة البادية إلى الضم .

(١) البحر : ٨ - ٤١٤

(٢) البحر : ٤ - ٢٢٧

٤- من صيغ المبالغة

صيغ المبالغة التي تحول من صيغة (فاعل) للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث خمسة أوزان (فَعَّالٌ، ومفعَّالٌ، وفَعُولٌ، وفَعِيلٌ، وفَعِّلٌ، وهناك أوزان أخرى إلى هذه الخمسة المشهورة من نحو فَعَّيْلٌ بكسر الفاء وتشديد العين كسكيرٌ، ومفعَّيْلٌ بكسر فسكون كمعطيرٌ، وفُعَّعَلَةٌ بضم فتحة كهُمَّرةٌ ولمسرةٌ وفاعُولٌ كفاروقٌ .
وتقدم لنا القراءات وزنين آخرين تقول عنهما الروايات إنهما ينتسبان إلى لهجات بعينها .

وإليك أولاً ماورد في ذلك من قراءات :

(١) — اختلفوا في قوله عز وجل (لرؤف) فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم — في رواية — وابن عامر (لرؤف) على وزن (فَعُولٌ) في كل القرآن . وقرأ عاصم — في رواية — وأبو عمرو وحزمة والكسائي (لرؤف) على وزن (فَعِّلٌ) (١) .
وقرأ الجمهور قوله عز وجل (ومكرو مكراً كُبَّاراً) على وزن (فُعَّعَالٌ) (٢) .
وقرأ علي والسلمي وعيسى (إن هذا لشيء عَجَبٌ) بتشديد الجيم (٣) .
فنحن إذن أمام وزنين يفيدان المبالغة ، أولهما (فَعِّلٌ) والقارئون به هم ابن كثير ونافع من البيئة الحجازية ، فإن كان صحيحاً ما يذكره أبو علي من أن هذا الوزن هو لهجة أهل الحجاز ، فإن ابن كثير ونافعاً يكونان ممثلين للهجة بيتهما في هذه الظاهرة ، لكن نص أبي علي يلفتنا إلى نقطة هامة إذ يقول (ومنه قول الوليد بن عقبة لمعاوية بن أبي سفيان :

وشر الطالبين فلا تكنه بقاتل عمه الرؤف الرحيم

وقال جرير (١) :

(١) الحجة : ٢-٢٤٦

(٢) البحر : ٨-٣٤١

(٣) ابن خالويه : ١٢٩ والكرمانى ٢٠٧

٥. ديوان جرير (١٣٥٣ هـ) ص ٥٠٧

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤوف الرحيم
ثم يذكر أن هذا الوزن هو (الغالب على أهل الحجاز^(١)) ، أفلا يدل ذلك —
إذا كان الأمر هكذا — ونحن نعلم أن (فعولاً) أكثر في الاستعمال — على أن لهجة
الحجاز لم تكن المستوى الأعلى للعربية المشتركة ؟ ... وعلى أية حال فقد وردت ألفاظ
أخرى على هذا الوزن من نحو (رجل قَدَرُ وفَطْنُ ونَجْدُ وَيَمُظُ وعَجَلُ
وكلمعُ وحَذَرُ وأُثْمِرُ وفَرَحُ^(٢)).

والوزن الثاني هو (فُعْثَالُ) وينقل أبو حيان عن عيسى بن عمر أنه لهجة
يمانية ، ويستشهد عليها بقول الشاعر :

والمرء يلعقه بفتيان الندى خلق كريم ليس بالوُضَاءِ
وبقوله أيضاً :

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القمراء
ويقال حُسَّانٌ ومُطَوَّالٌ ومُجَمَّالٌ^(٣) .

وهذا النص لا يحدد إلى أى جهات اليمن تنسب هذه اللهجة لكنه في نص آخر
يذكر أن هذه الصيغة لهجة (أزرد شنوءة^(٤)) ، وهى — كما نعلم — قبيلة يمنية كانت
تسكن سروات الحجاز الجنوبية ، لكن الذى يلفت النظر أيضاً أن البيتين اللذين
قدمناهما شاهدين على هذه اللهجة قد قالمهما فيما يروون شاعر واحد وهو أبو صدقة
الديبرى^(٥) وهو شاعر من بنى دبير، وبنو دبير هؤلاء من بنى أسد^(٦) ، فإذا كنا نعلم أن
أزرد شنوءة من القبائل البادية فى جنوب الحجاز ، وأن بنى أسد من القبائل البادية
فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، فلعل هذه الصيغة من المبالغة كانت شائعة بين القبائل
البادية فى شبه الجزيرة ، وليس ذلك غريباً على قبائل تميم إلى الضم أو تميم إلى
التضعيف أيضاً .

(١) الهجة : ٢ - ٢٤٦ (٢) المخصص : ١٥ - ٨٣

(٣) البحر : ٨ - ٣٤١ (٤) البحر : ٧ - ٣٨٥

(٥) اللسان : (قرأ) و (وضأ) (٦) اللسان (دبر)

ثانيا - في الأفعال

١ - بين فَعَلَ وأَفْعَلَ

الفعل الثلاثي المجرد قد يكون لازما وقد يكون متعديا ، وهو حين يكون مجردا ويراد تعديته فإنهم يجعلونه مزيدا ، والهمزة من بين الزيادات التي تلحق الفعل فتجمله متعديا ، لكننا وجدنا بعض اللهجات تستعمل الفعل الثلاثي مزيدا بالهمزة حيث تستعمله لهجات أخرى غير مزيد ، والمعنى في الوزنين واحد . وقد وردت على هذه اللهجة قراءات نعرضها فيما يلي :

اختلفوا في قوله تعالى (ما ننسخ من آية) فقرأ ابن عامر وحده (ما ننسخ) بضم النون الأولى وكسر السين ، وقرأ الباقر بفتح النون والسين^(١)

٢ - اختلفوا في قوله تعالى (ولا يحزنك - ولا يحزنهم) فقرأ أبو جعفر ونافع (يُحْزِنُكَ - يُحْزِنُهُمْ) بضم الياء وكسر الزاي ، وقرأ الباقر بفتح الياء وضم الزاي^(٢) .

٣ - اختلفوا في قوله تعالى (يلحدون) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (يُلْحَدُونَ) بضم الياء في الأعراف والنحل والسجدة ، وقرأ حمزة الأحرف الثلاثة بفتح الياء والحاء ، وقرأ الكسائي في النحل بفتح الياء والحاء (يَلْحَدُونَ) وفي الأعراف والسجدة بضم الياء^(٣) .

(١) الحجة : ٢ - ١٩٦ والنشر ٢ - ٢١٩

(٢) الحجة : ٣ - ٢٠٥ والبحر : ٦ - ٣٤٢

(٣) الحجة : ٥ - ٢٢٩

٤ — واختلفوا في قوله تعالى « فيسحقكم » فقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الحاء ، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء (١) .

٥ — وقرأ الجعدي والثقف وأبو الهججاج « وأجنبني » بهمزة قطع (٢) .

٦ — وقرأ الحسن « لم تُصِدون عن سبيل الله » بضم التاء وكسر الصاد (٣) .

٧ — وحكى أبو زيد عن رجل من كلب « ولا يُصِدنك » بضم الياء وكسر الصاد (٤) .

وهذه القراءات التي قدمناها توضح أن القراء قد اشتركوا جميعا في القراءتين ، والاختلاف في القراءتين لا يؤدي إلى اختلاف في المعنى في هذه الأمثلة ، وليس معنى ذلك أن كل (فَعَلَ) في لهجة معينة يكون (أَفْعَلَ) في لهجة أخرى ، وقد نقلت كتب اللغة أمثلة كثيرة لهذين الوزنين بمعنى واحد ، من نحو ما ينقل ابن دريد في الجهرة « دنت الشمس للغروب وأدنت — وجن الليل عليه وأجن — وهجد وأهجد — وصليته النار وأصليته — وهدرت دمه وأهدرته » (٥) .

وينقل ابن جني قول الشاعر :

لئن فتنني لهُمى بالأس أفتت سميذا فأضحى قد قلى كل مسلم

ثم يقول « وفتن أقوى من أفتن ، حتى إن الأصمعي لما أنشد هذا البيت شاهدا لأفتن قال (ذلك محنت ، ولست آخذ بآفته) . وقد جاء به رؤية إلا أنه لم يضممه

إلى غيره . قال :

(١) الإتحاف : ٣٦٨

(٢) ابن خالويه : ٦٨ والمحاسب ١٧٥

(٣) ابن خالويه : ٢٢

(٤) السابق : ١١٤

(٥) الجهرة : ٣ : ٤٣٦

يعرضن إعراضا لدين المفاين (١) .

وينقل ابن سيده « يقال أويته وآويته ، وأهلته للامر وأهلته ، ويقال بكر في حاجته يبكر بكورا وأبكر ، ويقال بت عليه الحكم بينه بتا وأبته » (٢) .
وتكاد رواياتهم تتفق على أنه حين يتحد الثالان (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) في المعنى فإن (فَعَلَ) لهجة لأهل الحجاز ، حيث يعمل التميميون (أفعل) (٣) ، ويعزو أبو حيان مثال (أفعل) إلى تميم وربيعة وقيس (٤) . كما ينقل ابن خالويه عن أبي زيد أنها لهجة لبني كلب (٥) .

وليس هناك فرق بين هذه القبائل إذ هي من القبائل البادية في وسط شبه الجزيرة وشرقها ، ونحسب أن ذلك يلائم البيئة البادية حيث تميل إلى السرعة في كلامها فلا تفرق بين وزن ووزن ، بينما تميل البيئة المتحضرة إلى التأنى في النطق والتفريق في الاستعمال بين مثال وآخر .

(١) الخصائص ٣ : ٣١٥

(٢) المحض ١٤ : ٢٢٧

(٣) المجتبى ١٧٥ والمزهر ٢ : ١٧٦

(٤) البحر ٣ : ٢٣٩

بين التفعيل والانعالة

أما التفعيل ففي العربية للتكثير ، وأما المفاعلة فللمشاركة ، لكن وردت قراءات تجمع بين الوزنين في فعل واحد وقال عنهما أصحاب الاحتجاج إنهما بمعنى ، ولقد يكون ذلك صحيحا إذ ليس كل تفعيل مؤديا إلى تكثير ، ولا كل مفاعلة مؤدية إلى مشاركة ، صحيح أن بنية الفعل هي « صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها » (١) ، لكنه صحيح أيضا أن هذه البنية « Form » أيسر مرتبطة ارتباطا حادا بدلالاتها ، وعندنا من المفاعلة أفعال لا تدل على المشاركة من نحو (عافاه الله وقاتله الله) .

والقراءات التي تمثل هذه الظاهرة يمكن أن نعرض منها ما يأتي :

١ — اختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها من قوله عز وجل « ولا تصعر خدك للناس » فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر « ولا تُصَعِّر » بغير ألف وتشديد العين ، وقرأ الباقر « تصاعر » بألف (٢) .

٢ — اختلفوا في قوله سبحانه « ربنا باعد » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو « بَاعِد » مشددة العين ، وقرأ نافع وعاصم وحمة والسكسائي « باعد » بألف وعين خفيفة (٣) .

ومعنى ذلك أن أمامنا في هاتين القرائتين فعلا جاء على وزنين مختلفين (فَعَّل - فاعل) والاختلاف في البنية يؤدي إلى اختلاف في المعنى ، لكنهم ذكروا فيهما أن التفعيل والمفاعلة هنا بمعنى ، ويذكر أبو علي أن هناك أفصلا جاءت على الوزنين من

(١) الخصائص : ٩٨/٣

(٢) الحجة : ١٣١/٦ والنشر ٣٤٦/٢ والإتحاف ٤٢٦

(٣) الحجة : ١٧٦/٦ والنشر ٣٥٠/٢

نحو ضعّف وضاعف ، وأنه إذا اختلف هذان الوزنان وافق المعنى فإن المفاعلة هي لهجة الحجاز ، والتفعيل لهجة بنى تميم ^(١) ولقد يكون ذلك صحيحاً من حيث إن التميميين أكثر ميلاً إلى التضعيف على النحو الذى رأيناه فى حديثنا عن الإدغام ، وإذا كان ذلك صحيحاً فإن لهجة بنى تميم هنا تكون أقرب إلى دلالة البنية من لهجة الحجازيين ، وذلك أن معنى الآيتين كما نرى لا يذهب إلى المفاعلة بل إلى التكثير .

الفصل الثالث

المستوى النحوى

١ - من النصائل النحوية

الجنس

ونعنى بالفصائل النحوية تلك التى يسميها اللغويون المحدثون : Grammatical Categories ويراد بها المعانى التى يعبر عنها بواسطة دوال النسبة ، (١) فالنوع والعدد والزمن . . . الفخ كلها فصائل نحوية تسمى دوال النسبة إلى التعبير عنها . (٢)

والجنس من الفصائل النحوية الهامة التى تبرز فى اللغات بروزا قويا ، ومن الواضح أن اللغات لاتسير على نظام واحد فى التمييز بين الأسماء من حيث الجنس ، فإذا كانت العربية لاتتميز إلا بين مذكر ومؤنث فإن هناك لغات تقابل المذكر بالمؤنث بالمحايد . ثم إن الجنس اللغوى لايطابق — دائماً — الجنس فى الواقع الطبيعى بل يجرى على منطق خاص . فالاصطلاح وحده هو الذى جعل « القمر » فى العربية مذكرا و « الشمس » مؤنثة . أضف إلى ذلك أن معرفة الجنس اللغوى فى كثير من اللغات يتوقف عليه نظام الجملة ، وانظر إلى الألمانية مثلا تجد أن الاسم يتغير فى موافقه من الجملة وفقا لجنسه .

وإذا كان هناك فى العربية علامات تصحب الاسم للدلالة على تأنيده كالألف والالف الممدودة فإن هناك أسماء مؤنثة دون علامة كالشمس مثلا . ثم إن هناك أسماء اختلف فى جنسها فهى مذكرة مؤنثة ، وأغلب الظن أن هذا الاختلاف فى الجنس فى اسم واحد نتج عن اختلاف اللهجات .

(١) دال النسبة هى الترجمة التى اختارها مترجما فندريس لكلمة المورفيم .

(٢) فندريس : اللغة ١٢٥

وإليك أولا ما ورد في ذلك من قراءات :

١ — قرأ ابن كثير وحده « ولتستين سبيلُ المجرمين » بالتاء وسبيل بالرفع .
وقرأ أبو بكر « وليستين سبيلُ » بالياء وسبيل بالرفع .^(١)

٢ — لم يختلفوا في قوله تعالى « وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا » ولم
يختلفوا أيضا في قوله تعالى « قل هذه سبيلي » .

٣ — تعليقا على قراءة « اهدنا الصراط المستقيم » يقول أبو حيان « والصراط
يذكر ويؤنث » .^(٢)

٤ — وتعليقا على قراءة « ولهم فيها أزواج مطهرة » ينقل عن القراء أن
« زوجا » المراد به المؤنث فيه لغتان ، زوج وزوجة » .^(٣)

وعن اللهجات في هذه الأسماء تذكر الروايات أن السبيل مذكر عند تميم وأهل
نجد ، مؤنث عند أهل الحجاز^(٤) ، وأن أهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق
والسبيل والسوق ، وبنو تميم يذكرون هذا كله .^(٥) وأن « زوجا » لهجة أهل
الحجاز ، « وزوجة » لهجة تميم وكثير من قيس وأهل نجد^(٦) ، فهل يعنى ذلك أن
الأسماء التي اختلفت في جنسها ينسب تأنيثها إلى الحجازيين وينسب تذكيرها إلى هذه
القبائل البادية من تميم وقيس وأهل نجد ؟

الحق أننا لا نستطيع أن نعلل الجنس اللغوي في لهجة من اللهجات أو في لغة من
اللغات ، لأنه كما قلنا يجرى على منطقة خاص ، فنحن لا نعرف لماذا يؤنث
الفرنسيون الباب La porte ويذكرون الشمس Le soleil كما لا نعرف لماذا كانت
البت das Mädchen في الألمانية « محايدا » .

(١) البحر : ٤ : ١٤١

(٢) البحر : ١ : ٢٥

(٣) البحر : ١ : ١٠٩

(٤) البحر : ٣ : ١٤١

(٥) البحر : ١ : ٢٥

(٦) البحر : ١ : ١٠٩

أضف إلى ذلك أن هناك قبائل من هذه المجموعة البادية نسب إليها تأنيث أسماء مذكرة « ومن ذلك (الهدى) يؤنث ويذكر ، قال أبو حاتم (الهدى) مذكر في جميع اللغات إلا أن بعض بني أسد يؤنث . ومن ذلك (السلاح) يذكر ويؤنث ، قال الفراء : سمعت بعض بني دبير يقول ، إنما سمي جدنا دبيراً لأن السلاح أدبرته .^(١) وينو دبير هؤلاء من بني أسد . فموضوع الجنس إذن لا يمكن تعليقه بالبدواة أو بالتحضر ، لكن هكذا كان « المنطق الخاص » للمجات على اختلافها .

٢ - (ما) عند الحجازيين والتميميين

ذكر النحاة أن (ما) تدخل على الجملة الاسمية فترفع الاسم وتنصب الخبر في لهجة الحجاز ولا تعمل شيئاً في لهجة بني تميم . وقد وردت بالهجتين قراءات نوردها فيما يلي :

١ - قرأ عاصم في رواية « ما هن أمهاتهن » بالرفع ، وقرأ الباقر بالنصب^(٢)

٢ - وقرأ عبد الله بن مسعود « ما هن بأمهاتهن » بالياء .^(٣)

٣ - وقرأ الجمهور « ما هذا بشراً » بالنصب وقرأ ابن مسعود « ما هذا بشرُ » بالرفع .^(٤)

هذه هي القراءات التي وجدناها تمثل هذه الظاهرة ، وهي توضح لنا ما يأتي :

- ١ - أن (ما) تعمل في الخبر النصب .
- ٢ - أن (ما) لا تعمل شيئاً .
- ٣ - أن الخبر قد يأتي معها مقترناً بالياء .
- ٤ - أن ابن مسعود كان يذهب إلى القراءة بالرفع أو بالياء مع الخبر ، وأن

(١) المتخصص : ٧ : ١٥ - ٢٧

(٢) الحجّة : ٧ : ٢٤٦

(٣) ابن خالويه : ١٥٣

(٤) البحر : ٥ : ٣٠٤

عاصما — في رواية — كان يذهب إلى القراءة بالرفع وهو من البيئة الكوفية.

وتتفق الروايات على أن إعمال (ما) عمل (ليس) لهجة الحجازيين ، وأن إعمالها لهجة التميميين ، يقول سيويه « هذا باب ما أجرى مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله وذلك الحرف (ما) تقول: ماعبد الله أخاك، وما زيد منطلقا ، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهو القياس لأنه ليس بفعل كليس ولا يكون فيه إضمار ، وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها » . (١)

ومع ذلك ينكر الكوفيون أن لهجة الحجازيين تنصب الخبر بما ، يقول السيوطي في الهمع « وزعم الكوفيون أن (ما) لا تعمل شيئا في لغة الحجازيين وأن المرفوع بعدها باق على ما كان قبل دخولها والمنصوب على إسقاط الباء لأن العرب لا تكاد تنطق بها إلا بالباء فإذا حذفوها عوضوا منها النصب كما هو معهود عند حذف حرف الجر ، وليفرقوا بين الخبر المقدّر فيه الباء وغيره . ورد بكثير من الحروف الجارة حذفت ولم ينصب ما بعدها » . (٢)

ويدو أن نصب الخبر (بما) لم يكن شائعا في شبه الجزيرة ، بل يكاد يكون معدوما حتى إن السيرافي ينقل عن الأصمعي أنه قال « ما سمعته في شيء من أشعار العرب » (٣) .

وينقل أبو حيان عن الزمخشري أن «إعمال (ما) عمل (ليس) هي اللغة القديمية الحجازية وبها ورد القرآن . وإنما قال القديمي لأن الكثير في لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء

(١) الكتاب ١ : ٢١٠

(٢) همع المواع ١ : ١٢٣

(٣) شرح كتاب سيويه ١ : ٢١٥

فَقُولْ مَا زِيدَ بَقَائِهِمْ ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ، وَأَمَّا نَصْبُ الْخَبَرِ فَهِيَ نَغَّةُ
الْحِجَازِيِّينَ الْقَدِيمَةِ حَتَّى إِنَّ النُّحَوِيِّينَ لَمْ يَجِدُوا شَاهِدًا عَلَى نَصْبِ الْخَبَرِ غَيْرَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
وَأَنَا النَّذِيرُ بِمَحَرَّةٍ مَسُودَةٍ تَصِلُ الْجِيُوشُ إِلَيْكُمْ أَقْوَادَهَا
أَبْنَاؤُهَا مَتَكَنُّونَ أَبَاهُمْ حَتَقُوا الصُّدُورَ وَمَاهُمْ أَوْلَاذُهَا (١)
فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مُحْيِيًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ تَكُونُ قَدْ تَطَوَّرَتْ مِنْ إِعْمَالِ (مَا)
النَّصْبِ فِي الْخَبَرِ إِلَى الْإِهْمَالِ أَوْ اقْتِرَانِ الْخَبَرِ بِالْبَاءِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ ، وَيَكُونُ مَعْنَى ذَلِكَ
أَيْضًا أَنَّ اللُّغَةَ الْمَشْتَرَكَةَ لَمْ تَأْخُذْ بِأَهْجَةِ الْحِجَازِيِّينَ فِي هَذِهِ الظَّاهِرَةِ .

(١) البعر : ٥ : ٤ : ٣٠

٣ - ضمير الفصل

وضمير الفصل في العربية يأتي للتأكيد ولا يكون له محل من الإعراب، ولكن هناك لهجات تجعل له محلاً من الإعراب ، وقد وردت بهذه اللهجات قراءات نعرضها فيما يلي :-

١ - قرأ الجمهور « إن كان هذا هو الحق من عندك » بنصب الحق ، وقرأ الأعمش وزيد بن علي « الحق » بالرفع (١) .

٢ - وقرأ الجمهور « لكن كانوا الظالمين » بالنصب ، وقرأ عبد الله وأبو زيد « الظالمون » بالرفع (٢) .

٣ - وقرأ الجمهور « تجددوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً » بنصب « خيراً وأعظم » وقرأ أبو السمال وابن السميع « هو خير وأعظم أجراً » بالرفع فيها (٣) .

وواضح من هذه القراءات أن إهمال ضمير الفصل كان أكثر شيوعاً في العربية إذ لم يختلف فيه القراء السبعة ، وأن الذين قرأوا بإعماله هم أصحاب القراءات الشاذة. وينقل أبو حيان عن أبي عمرو الجرمي أن لهجة تميم « جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ ويرفعون ما بعده على الخبر . » ويستشهد على ذلك بقول قيس :

نحن إلى ليلي وأنت تركتها وكنت عليها بلللاً أنت أقدر (٤)

ويذكر أن رؤبة كان يقول ، أظن زيدا هو خير منك ، بالرفع . وعلى ذلك

(١) البحر : ٤ : ٤٨٨

(٢) البحر : ٨ : ٢٧

(٣) المسكر : ٢٥٢ : ٨ : البحر : ٣٦٧

(٤) البحر : ٨ : ٢٧ ورواية الأغاني (بيروت ١٩٥٥) ٨ : ٢٤٤

أتبكي على لبي وأنت تركتها وأنت عليها باللائ أنت أقدر

لا نستطيع أن ننسب إهمال ضمير الفصل إلى لهجة الحجازيين ، إذ يبدو من هذه النصوص أنه كان شائعاً عند (غير) بنى تميم .

* * *

٤ - المتن

تذكر الروايات أن المتن لم يكن يرفع بالآلف وينصب ويجر بالياء في كل اللهجات العربية ، بل كانت هناك لهجات تلزمه الألف دائماً ، ولهجات أخرى تعربه بحركات على النون . وقد يكون محتملاً ما ذهب إليه الدكتور حسن عون من أن الإعراب بالحركات أسبق طوراً من الإعراب بالحروف اعتماداً على نظرية ، البسيط يسبق للركب ، والحركة بمثابة البسيط والحروف بمثابة المركب وعلى أن النحاة يذكرون أن الإعراب بالحروف إنما هو نيابة عن الحركات (١) .

وفي لزوم المتن الألف وردت قراءات نعرضها فيما يلي :

١ — اختلفوا في قوله تعالى « إن هذان لساحران » فقرأ أبو عمرو وحده « هذين » بالياء وقرأ الباقر بتشديد النون من « إن » وهذان بالآلف . ووافقهم الشنوبذى والأعشى وطلحة (٢) .

٢ — وقرأ أبو سعيد الخدري « فكان أبواب مؤمنان » بالآلف (٣) .

والقراءة الأولى منها توضح أن القراء السبعة غير أبي عمرو قرأوا المتن في موضع النصب بالآلف ، ولقد كثرت تأويلات النحاة للتعسفة لهذه الآية على ما هو

(١) الدكتور حسن عون : اللف والنون ٨٣

(٢) النشر : ٢ : ٣٢١ والجز : ٦ : ٢٥٥ والإتحاف : ٣٦٨

(٣) البحر : ٦ : ٢٥٥

مذكور في كتبهم ، وليس من شك في أن هاتين القراءتين قد جاءتا على لهجة من يلزم الثني الألف في كل حال وقد وردت عليها شواهد كثيرة مشهورة .

وينسب ابن خالويه هذه اللهجة إلى بلحارث بن كعب^(١) . وينسبها غيره إلى قبائل كثيرة وهي كنانة وبلحارث بن كعب وبلعنبر وبنو الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزيد وخثعم وحمدان ومراد وعذرة^(٢) .

وإذا كان ذلك صحيحاً فإن معناه أن هذه اللهجة كانت منتشرة انتشاراً واسعاً بين عدد غير قليل من القبائل وفي مواطن مختلفة ، أما كنانة فقد ذكرنا أنها من مجاوري قريش وأما بلحارث بن كعب فهم بطن من تميم^(٣) ، وقد ذكرهم الهمداني فيمن كان يسكن الخاليف الشمالية في اليمن^(٤) : وبلعنبر بطن من تميم^(٥) ، وقد ذكر الهمداني أنها كانت تسكن العروض في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة^(٦) ، وبنو الهجيم بطن من تميم أيضاً^(٧) ، وزيد بطن من تميم أو من سعد العشيرة من القحطانية^(٨) ومن المحتمل أن تعزى هذه اللهجة إلى كليهما إذ أن قبائل كثيرة من تميم اشتركت في هذه الظاهرة ، وزيد اليمنية كانت تجار بلحارث^(٩) وخثعم بطن من كهلان^(١٠) ،

(١) ابن خالويه : الحجة ٩٦

(٢) مع الموامع ٤١ والبحر ٦ : ٢٥٥

(٣) القلقشندي نهاية الأرب ٤٢

(٤) الهمداني : صفة ١٠٢

(٥) القلقشندي : نهاية ١٥٩

(٦) الهمداني : صفة ١٥٩

(٧) القلقشندي : نهاية ٦٨

(٨) السابق ٢٢٣

(٩) الهمداني : صفة ١٣٦

(١٠) البرد : نسب عدنان وقحطان ٢٣

وكانت تسكن السراة إلى جوار مذحج^(١) ، وحمدان أيضا بطن من كهلان وكانت تنزل شمالى صنعاء^(٢) ، ومراد بطن من كهلان أيضا وكانت تنزل إلى جوار بلحارث^(٣) . وقد ذكرنا من قبل أن مواضع ريعة وبكر بن وائل كانت في العراق .

ومعنى ذلك إذن أن هذه اللهجة كانت موجودة في شرقي شبه الجزيرة حيث توجد بطون بنى تميم وبالقرب من مكة حيث توجد كنانة ، وفي شمال اليمن حيث توجد هذه القبائل اليمنية .

* * *

(١) البكرى : معجم ما استعجم ١ : ١١

(٢) الهمداني : صفة ١٠٩

(٣) السابق : ٨١

٥ - الفعل والداعل أو نائبه

الفعل — في العربية لا يتطابق مع فاعله أو نائبه إفراداً وثنائية وجمعاً ، وإنما هو مفرد في كل حال ، إلا أنهم يذكرون أنه قد كانت هناك لهجة تطابق بين الفعل وفاعله أو نائبه سموها « لغة أكلوني البراغيث » ، وقد وردت عليها قراءات نعرضها فيما يلي :

١ — لم يختلفوا في قوله تعالى « وأسروا النجوى الذين ظلموا » .

٢ — ولم يختلفوا في توله تعالى « ثم عموا وصموا كثير منهم » .

٣ — وقرأ الحسن وعمر بن عبيد « وأدخلوا الذين آمنوا » ^(١) .

وهذه القراءات تدل — بما لا يدع مجالاً للشك — أن هذه اللهجة كانت معروفة ومعترفاً بها في الفصحى إذ لم يختلف القراء جميعاً في القراءتين الأوليين .

وقد وردت على هذه اللهجة شواهد كثيرة نذكر منها قول الشاعر :

✓ رأين القواني الشيب لاح بعارضى فأعرضن عني بالحدود النواضر

وقول ابن قيس الرقيات

تولى قتال المارقين بسيفه وقد أسلماه مبعد وحميم

وقول أمية بن أبي الصلت :

✓ يلومنى في اشتراء النخيل أهلى فكلهم ألوهم

وهم ينسبون هذه اللهجة إلى قبائل طيء وأزد شنوءة وبلعازث بن كعب ^(٢) . أما طيء فقبيلة عسمة تنسب إلى كهلان ، وقد ذكرنا أنها تسكن في شمال الحجاز حيث

(١) ابن خالويه : ٦٨

(٢) معنى اللبيب ٦ : ٣٧ والمهم ١ : ١٦٠

جبلها المشهوران أجأ وسلمى (١) . وأما أزد شنوءة ففرع من الأزد اليمنية وكانت تنزل في سروات الحجاز الجنوبية ، وبلحارث في شمال اليمن .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة من مطابقة الفعل لفاعله أو نائبه هي القاعدة المطردة الآن في العبرية مثل Kativa hayyiladiem « كتبوا الأولاد » .

وهذه اللهجة تعد مرحلة من مراحل التطور اللغوي في حياة العربية ، ونحن نرجح ما ذهب إليه الدكتور حسن عون من أن هذه اللهجة أسبق من القاعدة العامة المعروفة الآن وهي إفراد الفعل عندما يتقدم الفاعل الجمع ، فالمعقول أن يجمع الفعل مع الجمع ويفرد مع المفرد (٢) .

* * *

(١) الهداني : صفة ١٢٦

(٢) الدكتور حسن عون : اللغة والنحو ٦١

٦ - البذل التميمي

وبذل التميمي يطلق على الاسم الواقع بعد (إلا) فيما يسمونه بالاستثناء المنقطع وتنفق الروايات على أن لهجة الحجازيين نصب الاسم بعد (إلا) في الاستثناء المنقطع ، وأن بنى تميم يتبعونه ما قبل (إلا) . يقول سيديويه « هذا باب يختار فيه النصب لأن الآخر ليس من النوع الأول وهو لغة أهل الحجاز ، وذلك قولك : ما فيها أحد إلا حمراً ، جاءوا به على معنى ولكن ، وكرهوا أن يدلوا الآخر من الأول فيصير كأنه من نوعه ، فحمل على معنى ولكن وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم ، وأما بنو تميم فيقولون ، ما أحد فيها إلا حمار . . . وعلى هذا أنشدت بنو تميم قول النابغة :

يادار مية بالعلياء فالسند	أقوت وطال عليها سائف الأمد
وقفت فيها أصيلاً أسائلها	عيت جواباً وما بالربع من أحد
إلا أوارئى لأيا ما أينها	والنوى كالحوض بالظلومة الجلد

وأهل الحجاز ينصبون .^(١)

وعلى هذه اللمحة وردت قراءات نعرضها فيما يلي :

١ — كلهم قرأ « ما فعلوه إلا قليل منهم » رفعا إلا ابن عامر فإنه قرأ « إلا قليلاً منهم » وكذلك هي في مصاحفهم^(٢) .

(١) المكتاب : ١ : ٣١٩ — ٣٢٠

(٢) الحجة : ٣ : ٢٨١ والنشر : ٢ : ٢٥٠

وقرأ الجمهور « وما لأحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى »
بصب الهمزة ، وقرأ يحيى بن وثاب (إلا ابتغاء) بالرفع (١) .

٣ — وقرأ الجمهور (لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلى الله) بالرفع
وقرأ ابن أبي عبلة (إلا الله) بالنصب (٢) .

٤ — وقرأ الجمهور (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) بالنصب ، وقرأ ابن عمير
(إلا اتباع) بالرفع (٣) .

وهذه القراءات تدل على أن القراء قد ذهبوا مرة إلى لهجة أهل الحجاز فنصبوا
ومرة إلى لهجة بني تميم فأتبعوا ، وعلى هذه اللهجة جاءت شواهد كثيرة من نحو
قول الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس إلا العافيرُ وإلا العيسُ
وقوله :

عشية لاتغنى الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرقي المصمم
وإذا كان صحيحاً أن تنسب هذه اللهجة إلى تميم ، فإننا نظن أنها قد تدل على
تطور نحوى في العربية ، ولعلها أسبق من لهجة الحجازيين ، إذ أن هذه اللهجة
الأخيرة تفرق بين ما إذا كان ما بعد (إلا) داخلاً فيما قبلها أو خارجاً عنها ، ونحسب
أن مثل هذا التفريق يكون متأخراً عن عدمه في لهجة تميم ، وعلى العموم فإن الإعراب
عند النحاة إنما كان للتفريق بين المعاني ، من هنا نرجح أن لهجة الحجاز في هذه
الظاهرة تعد طوراً متأخراً عن لهجة بني تميم .

(١) البحر : ٨ - ٤٨٤

(٢) الكرماني : ١٨٢

(٣) السابق : ٦٦

٧ - الممنوع من الصرف

والممنوع من الصرف عندهم اسم متمكن غير أمكن ، ولهم في منعه علل مذكورة في كتبهم ، وهو يعرب بالضمه رفعا وبالفتحة نصبا وجرا ، إلا إن أضيف أو لحقته (أل) . وقد يصرف عندهم للضرورة أو للمناسبة . والراجح عندنا أن هذه (المناسبة) إنما كانت تعليلا لما وجدوه مصر وفا في القراءات القرآنية ، وأغلب الظن أن صرف الممنوع كان لهجة من اللهجات على ما تنقله بعض الكتب .

ولنعرض الآن ماورد في القراءات من هذه الظاهرة :

١ — اختلفوا في قوله تعالى (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحزمة (سلاسل) ممنوع الصرف، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (سلاسلًا) منونة^(١).

٢ — واختلفوا في (كانت قوارير) فقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والكسائي بالتثنية وقرأ الباقون بغير تثنية^(٢).

٣ — وقرأ الأعمش (ولا يفتونا ويعرقنا) بالصرف^(٣).

وواضح من هذه القراءات أن القراء الذين قرأوا بصرف الممنوع ، منهم من هو من البيئة الحجازية كإبي جعفر ونافع وابن كثير ، ومنهم من هو من بيئة الكوفة كعاصم والكسائي .

(١) الحجة : ٣١٦-٧ والبحر : ٨ - ٣٩٤

(٢) النشر ٢ - ٣٩٥

(٣) ابن خالويه : ١٦٢ والبحر : ٣١٢

ومما يرجح أن صرف المنوع كان لهجة ما تذكره كتب النحو من أن (صرف ما لا ينصرف مطاقا لغة)^(١) وقد حكى عن الأخفش أنه قال (وهي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في كلامهم)^(٢) . وينقل عنه صاحب الإتحاف أن لهجة بني أسد الصراف مطلقا ^(٣) .

فإذا كان ذلك صحيحا فإننا نستطيع أن ننسب هذه اللهجة إلى البيئة البادية في وسط شبه الجزيرة ، ولعل هذه أيضا كانت طورا سابقا من أطوار العربية ، حيث لا تفرق اللهجة بين اسم وآخر ، والتفريق متأخر عن عدمه .

وبعد هذا العرض لما وجدناه من ظواهر لهجية على المستوى النحوي في القراءات القرآنية ، نختم هذا الفصل برأى الدكتور أنيس في الاختلافات اللهجية من الناحية الإعرابية حيث يقول (والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابي لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم ، وحاول كل فريق أن يأتي بمجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم ، وصرفتهم عن كثير من البحوث القيمة في اللغة . فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلزم الإعراب على الصورة التي رويت لنا في كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونطق بها الشعر^(١) .

والحق عندنا نحن أن نفي الصفة اللهجية عن هذه الاختلافات الإعرابية لا يقره

(١) حاشية الصبّات : ٣ - ٢٠٨

(٢) البحر : ٨ - ٣٩٤

(٣) الإتحاف : ٥٢٨

(٤) الدكتور أنيس : اللهجات العربية ٧٤

القرآن الكريم ممثلاً في قراءاته الصحيحة والشاذة ، وأقدر أيت كيف اختلف القراء في الاعراب على ما عرضنا خلال هذا الفصل ، ونحن لانظن أيضاً أن هذا الاختلاف من صناعة النحاة ، لأن هؤلاء النحاة لو كانوا أولوا اللهجات العربية ما تستحق من اهتمام لما تعسفوا في تأويل ما خرج على قواعدهم من شواهد ، وفي هذه الشواهد كثير من القراءات ، ثم إننا نرى أن دراسة هذه الاختلافات اللهجية من الناحية الإعرابية تفيد في معرفة التطور النحوي للعربية ، ولعلنا يوماً نوفق إلى بحثها واستقصائها وردها إلى أصولها .

الفصل الرابع

المستوى الدلالي

إن الدرس اللغوي على المستوى الدلالي هو غاية الدراسات السابقة عليه من صوتية وصرفية ونحوية ، وليس من شك في أنه أكثر هذه الدراسات صعوبة ، ذلك أن تحديد المعنى ليس أمراً سهلاً ، وإنا لنلاحظ ذلك في استعمالاتنا اليومية للكلام ، بل إن كثيراً مما يصيبنا في حياتنا من خلاقات ومشقات وآلام مرجعه أننا لا نعرف بصورة واحدة معنى ما نقوله ، أو ما يقال لنا ، أو ما نسمعه ، أو ما نقرؤه .

وإذا كان الأمر كذلك في الاستعمال اليومي للكلام — وإنه كذلك — فإن دراسة النصوص القديمة على المستوى الدلالي أكثر صعوبة وأعظم مشقة ، ذلك أنه يخفى علينا من ظروف قولها أشياء كثيرة ، وقد نضطر إلى إعادة تصور بعض ما يمكن تصوره من هذه العناصر ، وقد لا نوفق في هذا ، وقد نوفق فيه إلى درجة محدودة . ومع ذلك يتخذ علم الدلالة — إلى جانب دراسة المعنى من الناحية الوصفية — منهاجاً تاريخياً خاصاً لدراسة النصوص القديمة ، يحاول أن يتبع بهذا المنهج حياة اللفظة وتطورها (١) .

والتطور الدلالي يحدث تدريجياً في أغلب الأحوال ، لكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى . ولقد حاول اللغويون المحدثون أن يحدّدوا ما يطرأ على المعنى من تغيرات في أنواع ، كالتغير الانحطاطي ، والتسامي ، والتغير نحو تخصيص المعنى ،

أو تعميمه ، أو نحو الضد (١) .

ولكن إذا كانت تغيرات المعنى غالباً ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعية (٢) ، فإن من أسباب هذا التغير اختلاف البيئات اللهجية للغة الواحدة ، وهو ما نلاحظه في لغتنا العربية حيث يكثر فيه « المترادف » و « المشترك » و « الأضداد » مما نرجح أن يكون سببه اختلاف القبائل في استعمال الألفاظ .

والآن ، هل نجد في القراءات القرآنية ما يشير إلى فروق لهجية على المستوى الدلالي ؟ . . الحق أننا لا نجد من هذا الضرب إلا كلمات قليلة ، وكلها من القراءات الشاذة ، وذلك أمر طبيعي ، إذ أن القراءات لم تكن تختلف في اللفظة ذاتها ، بل كانت تختلف فيها من ناحية أدائها ، ومعظم هذه الاختلافات على ما رأيت اختلافات صوتية .

والآن نعرض ما وجدناه في القراءات على المستوى الدلالي مما ذكرت كتبهم أنها لهجات ، مع ملاحظة أن تحليل هذه الظواهر اللهجية أمر عسير ، ذلك أننا لا نستطيع أن نعرف لماذا استعملت قبيلة لفظة بعينها واستعملت قبيلة أخرى لفظة أخرى للدلالة على المعنى نفسه ، أو لماذا استعملت القبيلتان لفظة واحدة بمعنيين متضادين .

١ - قرأ الجمهور « فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقرأ ابن أبي عتبة « فول وجهك تلقاء المسجد الحرام » (٣) .

وهذه القراءة تقدم لنا لفظتين بمعنى واحد ، وهما « شطر » و « تلقاء » ويذكر

(١) الدكتور أنيس : دلالة الألفاظ ١٤٨ - ١٥٥

(٢) الدكتور السمران : علم الله ٣٠٥

(٣) الكرماني : ٣٣

أبو عبيد أن التلقاء معناها (النحو) في لهجة كنانة (١). فنحن إذن أمام لفظتين مترادفتين تؤيدان معنى واحدا وهو النحو والقصد .

أما اللفظة الأولى «شطر» فتذكر المعاجم أن الشطر نصف الشيء ، وهو ما نظنه الأصل الأول لمعاني هذه اللفظة ، ثم كان من معانيها المتطورة بعد ذلك النحو أو القصد ، إذ أن نصف الشيء يتضام إلى نصفه أو يلتحم معه أو يتجه إليه . ومن ثم قالوا شطر بصره يشطر شطورا أو شطرا صار كأنه ينظر إليك، وشطر الشيء ناحيته، وقال أبو زنباع الجذامي (٢)

أقبل لأم زنباع أقيمي صدور العيس شطربني تميم
وأما اللفظة الثانية (تلقاء) فنحسب أن المعنى الأصلي لها مأخوذ عن (اللقوة)
وهي داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق (٣) ، فكان (تلقاء) مأخوذة من اتجاه الوجه في ناحية بعينها .

ونحاول الآن أن نرى استعمال اللفظتين في القرآن :

وردت كلمة (شطر) في خمسة مواضع :

- ١ — «فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام» . البقرة ١٤٤
- ٢ — «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» . البقرة ١٤٩
- ٣ — «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» . البقرة ١٥٠
- ٤ — «حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» . البقرة ١٤٤
- ٥ — «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» . البقرة ١٥٠

(١) تفسير الجلالين ١ : ١٢٦

(٢) اللسان (شطر)

(٣) اللسان (لقي)

ووردت (تلقاء) في ثلاثة مواضع :

١ — « وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا . » الأعراف ٤٧

٢ — « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه . » يونس ١٥

٣ — « ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل . » القصص ٢٢

ويبدو لنا من هذه الاستعمالات القرآنية أن لفظة (شطر) أخص من (تلقاء) ، إذ من الواضح أن الأولى مستعملة في الموضع كلها مع الفعل (ولى) ومع (الوجه) (وجهك أو وجوهكم) ، بينما استعملت (تلقاء) استعمالات مختلفة بغير هذا التحديد ، ولم نثر في استعمال آخر على (شطر) مسبوقة بحرف جر كما استعملت (تلقاء) كذلك (من تلقاء نفسه) .

وإذا كان صحيحاً ما ذكره أبو عبيد من أن (تلقاء) معناها النحوى لهجة كنانة ، فنحن نعرف أن كنانة من القبائل الحجازية التى كانت تجاور قريشا .

* * *

٢ — قرأ الجمهور — « إني أراى أعصر خمرأ » ، وقرأ ابن مسعود « أعصر عنباً » (١) .

وهذه القراءة تقدم لنا أيضاً لفظتين ، أما الأولى (خمرأ) فيقول عنها البلاغيون إنها نوع من المجاز ، وهو تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه ، وأما الثانية (عنباً) فاستعمال اللفظة على وجه الحقيقة . لكن أبو عبيد يذكر أن لفظة (خمر) إنما هى لهجة في الغب ، ويقول إنها لهجة عمان (٢) .

ولقد استعملت لفظة (خمر) في القرآن في خمسة مواضع :

(١) الكرماني ١١٩ .

(٢) تفسير الجلالين ١ : ١٩٣ .

- ١ — « يسألونك عن الخمر واليسر . » البقرة ٢١٩
 ٢ — « إنما الخمر واليسر والأنصاب والأزلام . » المائدة ٩١
 ٣ — « وأنها من خمر لثة للشاربين . » محمد ١٥
 ٤ — « قال أحدهما إني أراي أعصر خمرأ . » يوسف ٣٦

وواضح من هذه الآيات أن اللفظة قد استعملت على حقيقتها في المواضع كلها فيما عدا الوضع الذي نحن بصده .

أما اللفظة الثانية (عنب) فهي مستعملة أيضا في القرآن على حقيقتها في نحو :

- ١ — « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . » الإسراء ٩١
 ٢ — « فأنبتنا فيها جبا . وعنبا وقصبا . » عبس ٢٨

ومن اليسير أن تصور التقارب بين دلالة اللفظتين إذ أن الخمر « ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل » (١) . ويبدو أن كلا من اللفظتين كانت تدل على معنى الأخرى ، فإذا كانت الخمر هي العنب في لهجة عمان على ما ذكر أبو عبيد فإن أبا حنيفة قال ، إن العنب هو الخمر وزعم أنها لهجة يمانية (٢) . وهم يستشهدون على هذه اللهجة بقول الراعي :

ينازعني بها ندمان صدق
 شواء الطير والعنب الحقينا
 (يريد الخمر) .

ولكن الراجح عندنا أن استعمال (الخمر) بمعنى العنب ، أو العنب بمعنى الخمر ليس إلا نوعا من الاستعمال المجازي .

(١) اللسان (خمر)

(٢) اللسان (عنب)

(٣) جفرى : ٥٧

٣ — قرأ الجمهور « حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا » وفي مصحف ابن مسعود « حتى إذا ساوى بين الجبلين » (٣).

والقراءة تقدم لفظتين مترادفتين . أما الأولى (الصدفين) فيذكر أبو عبيد أنها تدل على الجبلين في لهجة بنى تميم (١) ونحن نرجح أن اللفظة أقرب إلى المعنى الذى تؤدي إليه الآية ، فإذا كان الجبل اسما لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطراد ، (٢) فإن الصدف أخص منه ، إذ الصدف « إقبال إحدى الركبتين على الأخرى » فيه — أولا — معنى الميل والالتقاء ، ويقال لجانبى الجبل إذا تحاذيا صدفاً وصدفاً لتصادفهما أى تلاقيهما وتحاذى هذا الجانب الجانب الذى يلاقيه وما بينهما فج أو شعب أو واد ، ومن هذا يقال صادفت فلانا أى لاقيته (٣) .

فإذا كان صحيحاً ما ذكره أبو عبيد ، فإن الاستعمال القرآنى للفظ (الصدفين) يكون مأخوذاً من لهجة بنى تميم وهو أقرب للمعنى المقصود من الآية .

* * *

٤ — قرأ الجمهور (إنكم وما تعبدون من دين الله حسب جهنم) ، وعن عائشة وابن الزبير وأبي عكرمة (حطب جهنم) بالطاء (٤) .

ونحن هنا أيضاً أمام كلمتين تؤديان معنى واحداً وهما (الحصب) و (الحطب) أما الأولى فقد استعملت في القرآن مرة واحدة وهى التى نحن بصدددها ، وأما الثانية فقد وردت مرتين :

١ — « وأما الفاسقون فكانوا لجهنم حطباً » الجن ١٥

٢ — « وامراته حمالة الحطب . فى جديها جبل من مسد » المسد ٤

(١) تفسير الجلالين ٢ : ١١

(٢) اللسان (جبل)

(٣) اللسان (صدف)

(٤) السكرماتى : ١٦٠

ويذكر أبو عبيد أن (الحصب) معناها (الخطب) في لهجة قريش ^(١) ، ويقول
الفراء إن (الحصب) في لهجة أهل نجد مارميت به في النار ^(٢) . والذي نحسبه أن
بين اللفظتين عموما وخصوصا ، فالحصب كما تقول المعاجم الحجارة والحصى ، والحصب
كل ما ألقته في النار من حطب وغيره . ولعلهما كلمة واحدة حدث فيها تغير في أحد
أصوانها ، وأدى هذا التغير إلى تخصيص المعنى في إحدى الكلمتين وتعميمه في
الكلمة الأخرى .

* * *

٥ — قرأ الجمهور « أفلم يئأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا »
وقرأ على وابن عباس وابن أبي مليكة وعكرمة والجعدري « أفلم يتبين الذين
آمنوا » ^(٣) .

ومن الواضح أن الآية في القراءتين تؤدي معنى واحدا وهو التبين والعلم ، أما
أبو عبيد فيذكر أن « يئأس » بمعنى « علم » في لهجة هوازن ^(٤) . ويذكر ابن جني أنها
لهجة بني وهيل ^(٥) ، أما هوازن من قيس عيلان وكانت تنزل سراة الطائف في
نجدها ^(٦) ، وأما وهيل فبطن من النخع ^(٧) ، والنخع من كهلان ^(٨) وهم من سكان
المنطقة الشمالية في اليمن ^(٩) .

وهم يستشهدون على هذه اللهجة بقول الشاعر ^(١٠) .

(١) تفسير الجلالين : ٢ - ٣٥

(٢) اللسان (حصب)

(٣) المحتسب : ١٧١

(٤) تفسير الجلالين : ١ - ٢٠٥

(٥) المحتسب : ١٧١

(٦) الهمداني : صفة : ٧١

(٧) الفافشندي - نهاية ٣٥٨

(٨) الفافشندي : نهاية ٦٦

(٩) الهمداني : صفة : ٩١

(١٠) المحتسب : ١٧١

ألم ييأس الأقواء أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا
وقول الآخر :

أقول لأهل الشعب إذ يأسروني ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

ويخيل إلينا أن لفظة « اليأس » توحى بمعنى « التبين اليتيمى » إذ لو كان عند
« اليأس » نسبة معينة غير معلومة لما كان يأسا . ولعلها — إن صح ما قاله القراء
وابن جنى — كانت تستعمل بمعنى التبين والعلم عند القبيلتين اللتين ذكراهما .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا في ضلال مبين

والصلاة والسلام

الخاتمة

ونظنا — الآن — لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إن البحث في اللهجات العربية القديمة من أصل البحوث اللغوية ، ونحن نقدر هذه الأمانة ونذكر أنها تحتاج ما تحتاج من صبر ومثابرة ، وعلى قدر الطاقة سرنا في هذا البحث بما نظن أنه يوصل إلى الغاية المقصودة ، فمهدنا له بدراسة للبيئة الجغرافية أشبه الجزيرة العربية لما رأينا من أهميتها للدرس اللهجي ، ثم أتممنا هذا التمهيد بدراسة للقبائل العربية ومنازلها من شبه الجزيرة بالقدر الذي يخدم غرض البحث . وأنت ترى أننا حددنا ميدان بحث اللهجات في مصدر واحد حسب وهو القراءات القرآنية ، من أجل ذلك قسمنا بحثنا على النحو الذي يشير إليه عنوانه ، فدرسنا الواقع اللغوي قبل الإسلام ، ثم حاولنا أن تقدم (تقييماً) للدراسة اللهجية في كتب العربية ، وانتقلنا إلى دراسة في القراءات مهمتين بوثائقها مصدراً لدراسة اللهجات دون أن تتفرع بنا المسائل . ثم كان الدرس اللغوي لما وجدناه في القراءات معتمداً على المنهج الحديث ، فقسّمناه مستويات أربعة ؛ صوتية وصرفية ونحوية ودلالية . فما هو الجديد في هذه المحاولة ، وما هي النتائج التي آلت إليها ؟

لعل أهم ما في المحاولة من جديد أننا استطعنا أن نحدد كثيراً من الظواهر اللهجية قبل الإسلام ، وأن نعزوها إلى أصحابها ، وليس ذلك جديداً هينا لأنه يدل على طور من أطوار العربية ، ولعله أهم أطوارها لأنه المستوى الذي صدرت عنه هذه اللغة في حياتها حتى الآن ، وإذا وجدت المحاولات الجادة في هذا الميدان فلقد نستطيع أن نصل يوماً إلى تاريخ لهذه اللغة تاريخاً يعتمد على المنهج العلمي بما يصلنا بترائنا القديم من ناحية ، وبما يعين — من ناحية أخرى — على جعل لغتنا مسيرة للحياة المتطورة وليس من شك في أن أولى خطوات التجديد قتل القديم بحثاً .

وإذا كنا قد استطعنا أن نصور بعضا من ملامح الواقع اللغوى قبل الإسلام فإننا نحسب أن بحثنا قد آل إلى النتائج الآتية :

أولا — فى ميدان القراءات:

(١) — تعتبر القراءات مرآة صادقة لما كانت عليه ألسنة العرب قبل الإسلام ، وعلى ذلك لا يستطيع باحث أن يتعرض للهجات العربية دون أن يقوم بدراسة للقراءات .

(٢) — وإذا كانت القراءات كذلك فهى أوثق المصادر اللغوية لدراسة اللهجات إذ تختلف عن الشعر الجاهلى الذى أصابه ما أصابه من تحريف فى الرواية على مر العصور ، وتختلف عن الحديث بما أجيز فيه من رواية بالعى ، ولقد رأيت أن منهج القراءات أصح مناهج النقل اللغوى لأنها تعتمد على التلقى والعرض وهما يكفلان صحة النقل ودقته .

(٣) — أن القراء لا يمثلون بيئاتهم اللهجية تماما ، لأن القراءة كما قلنا تقوم على الرواية ، وأصدق مثل على ذلك ابن كثير قارىء مكة .

(٤) — أن النحاة قد جرحوا بعض القراءات حين رأوها تخرج على قواعدهم ، وكان ينبغى أن يكون العكس صحيحا ، إذ القرآن مصدر لمعرفة اللغة وليس النقيض كذلك .

ثانيا — فى الميدان اللغوى :

(١) — ذهب القدماء ومن بعدهم المحدثون إلى أن هذه العربية الفصحى هى لهجة قريش ، وقد أدى بنا البحث إلى أن ذلك لا يتفق مع ما تقدمه لنا اللغة من نصوص ، وأن الأقرب إلينا أن هذه الفصحى قد تكونت على مر الزمن بطريقة لا نستطيع أن تبينها الآن ، وأن بعض الظواهر اللهجية القرشية ليست هى السائدة فى الفصحى ، وقدم لك البحث مادة كافية على ذلك ، وأوضح مثل ما رأيته فى الهمز والإدغام .

٢ — أن المادة الالهجية في البحث تظهر أننا لا ينبغي أن ندرس اللهجات معزوة إلى قبائل باعتبار أنسابها بل باعتبار بيئاتها الجغرافية، وأقد كان من نتائج ذلك أننا وجدنا أن تقسيم القبائل من ناحية اللهجات هو تقسيم من حيث التبدى والتحضر، فالقبائل المتحضرة تميل إلى تحقيق الأصوات والثاني في نطقها والبعده عن الحشونة، بينما تمنح القبائل البادية إلى السرعة والاقتصاد في المجهود العضلى فى الكلام على ما رأينا فى الإدغام والحذف والإنباع، كما تميل إلى ارتفاع الصوت على ما رأينا فى اختيارها للأصوات المجهورة.

٣ — أن بعض الظواهر الالهجية يمكن تعليقه بالاحتكاك ببيئات لغوية أخرى ويظهر ذلك فى دراستنا لكسر حرف المضارعة وفتح حرف الحلق إذ وجدنا أن هاتين الظاهرتين كانتا توجدان فى بيئة تنتشر فيها العبرية وهما من خصائصها.

٤ — وإذا كان معظم الاختلاف بين اللهجات يرجع إلى الناحية الصوتية، فإن فى اللهجات أيضا ما يعين على تعميق البحث الصرفى، وأهل الصرف لا يزال ميدانا بكرا يحتاج إلى أبحاث كثيرة وبخاصة فى لغتنا التى تقوم على الاشتقاق.

٥ — أن بعض الاختلاف فى الناحية النحوية يعود إلى اختلاف اللهجات ولا يعود إلى صنع النحاة كما رأيت، ودراسة هذه الاختلافات النحوية يعين على فهم تطور الناحية الإعرابية فى اللغة، كما يعين على «تقييم» جديد للظواهر النحوية بعيدا عن التأويل المتعسف الذى كان يذهب إليه النحاة.

٦ — أن أهم النتائج التى وصلنا إليها فى البحث وضعناها على خرائط، ونحسب أن ذلك من الأعمال الهامة التى ينبغى أن تقوم بها الدراسات اللغوية، فلأطلس اللغوى يعين على فهم صحيح للغة موضع الدرس.

ولنا بعد هذه النتائج مقترحات :

١ - في ميدان القراءات :

القراءات ميدان أصيل للبحث ، لأنه يصلنا بالدرس الإسلامى وبالدرس الأدبى واللغوى .
وهى لا تزال فى حاجة إلى دراسات مستفيضة ، ثم إن فيها كثيرا من المخطوطات
التي تحتاج إلى تحقيق .

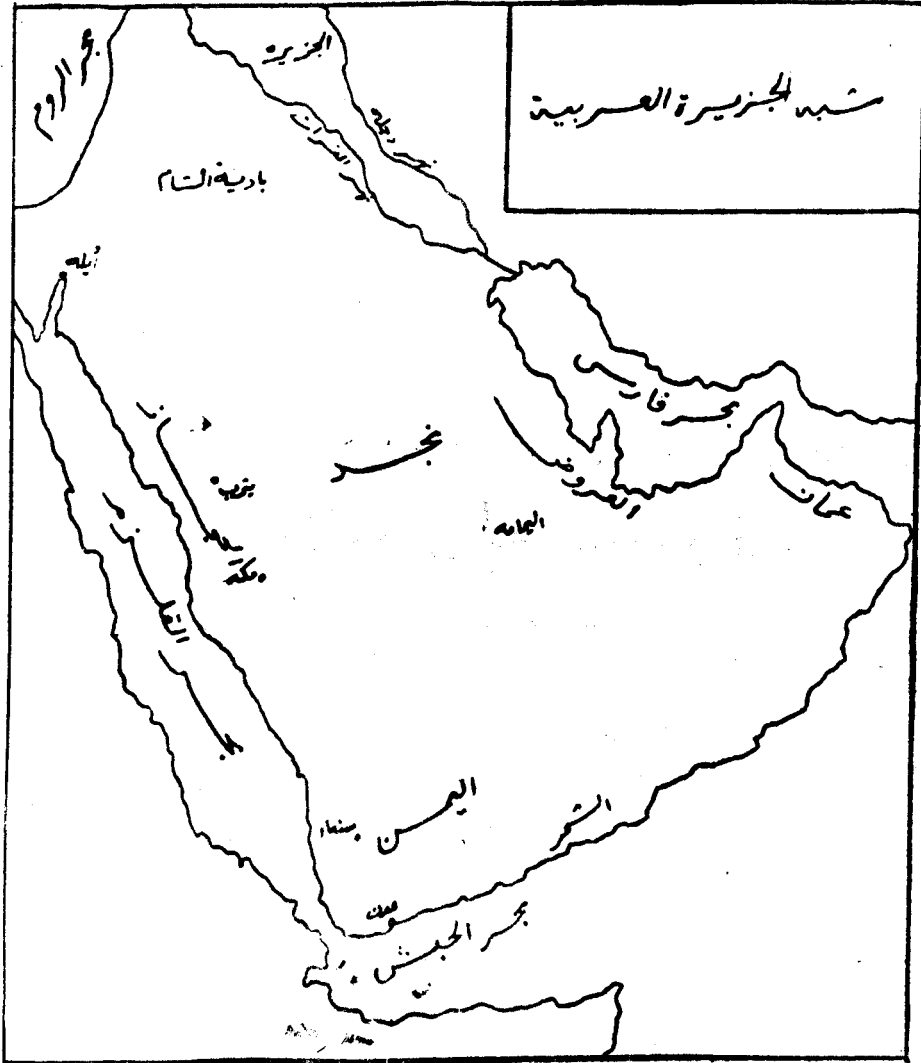
٢ - في ميدان اللغة :

إن دراسة اللهجات العربية ضرورية جدا لفهم التطور اللغوى للعربية ولتأصيل
الدرس اللغوى ، ولا بد من دراسة اللهجات القديمة من مصادرها المختلفة وقد قمنا هنا
بدراستها من مصدر واحد وينبغى بعد ذلك التوفر على المصادر الأخرى ، ثم إن
دراسة هذه اللهجات لن تكون كاملة إلا بحث شبه الجزيرة العربية بحثا منقبا للوصول
إلى ما قد يكون فيها من آثار ونقوش تعين على تصور التطور اللغوى فيها .

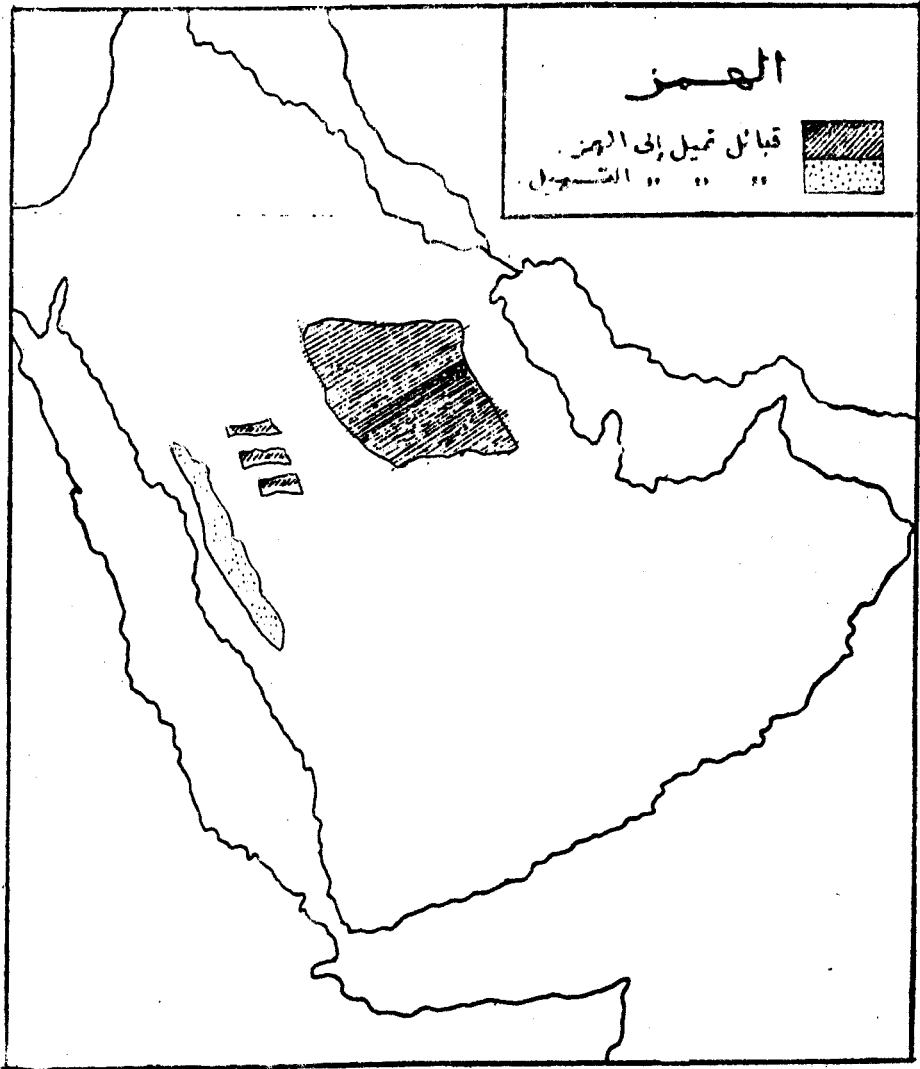
وبعد ، فإننا نرجو بعد هذه المحاولة أن نكون قد أضفنا قطرة ضوء على الطريق .

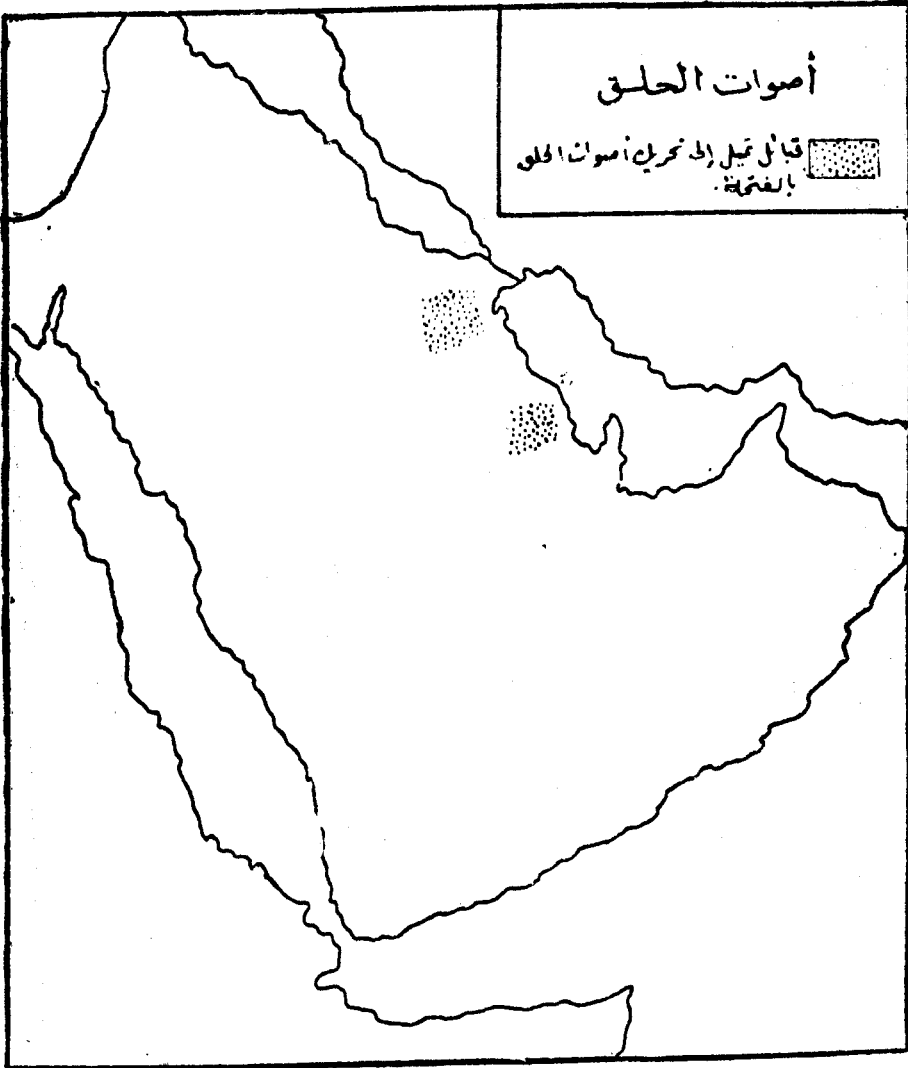
وبالله وحده التوفيق .

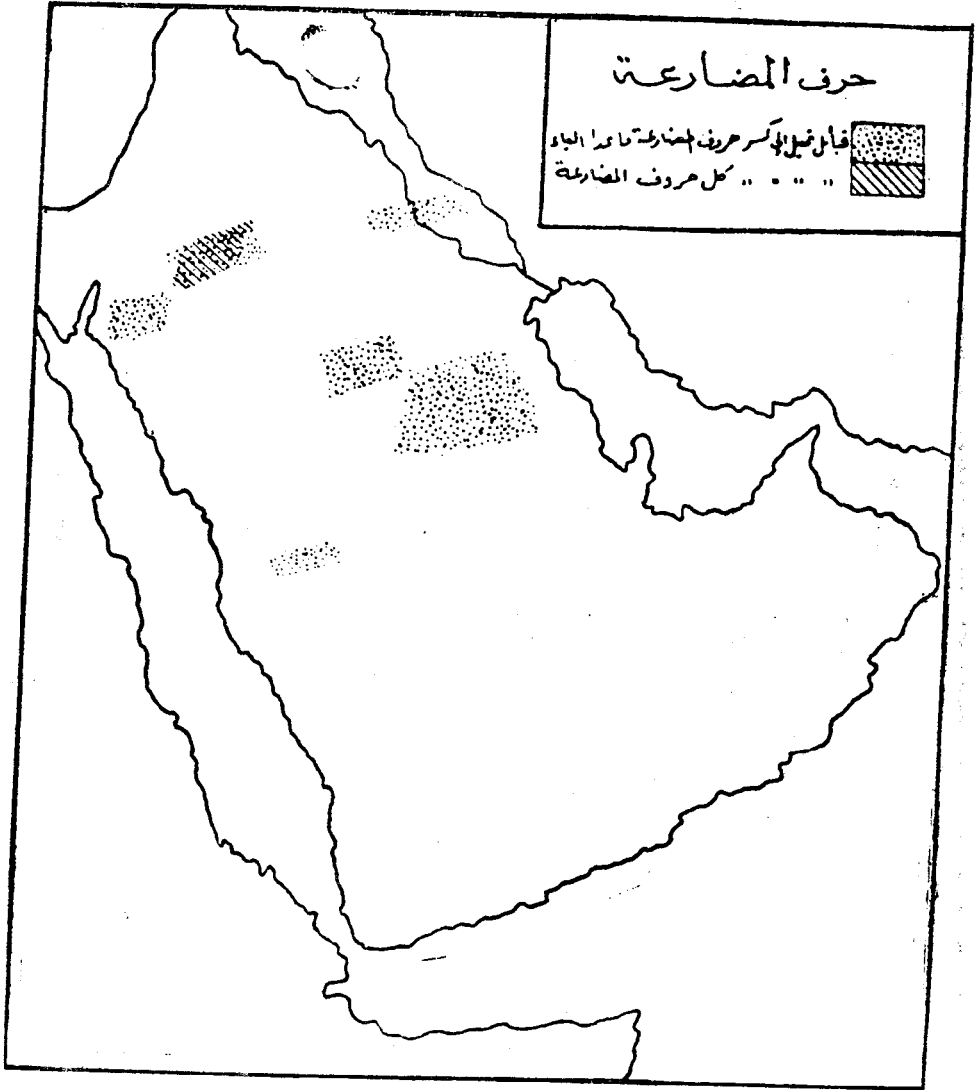
أطلس لغوي

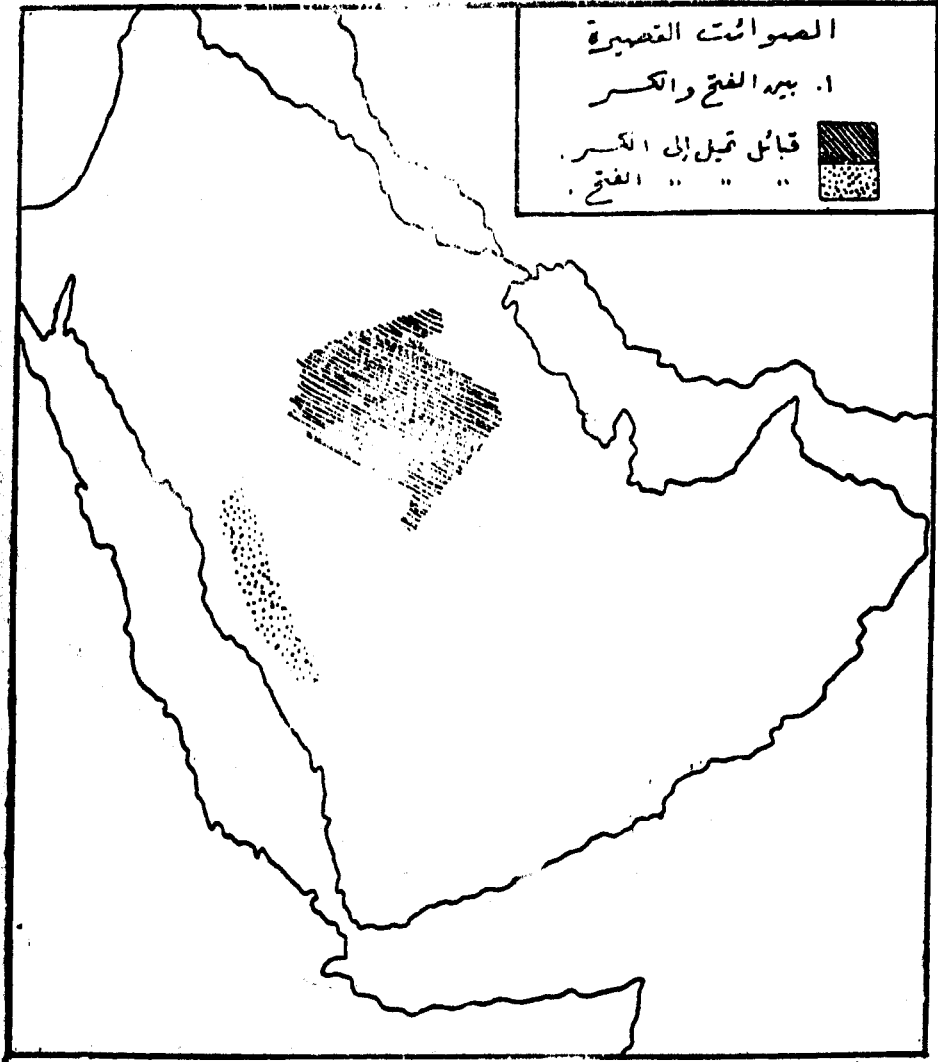


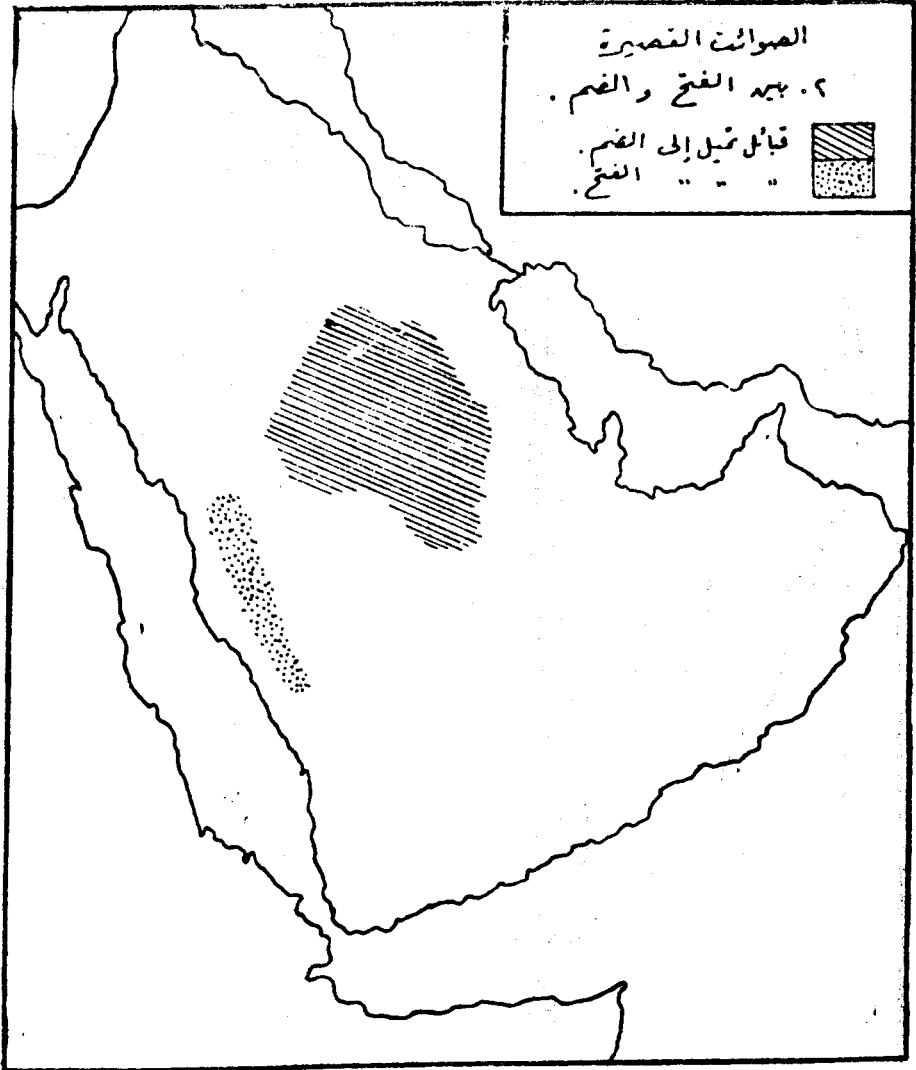


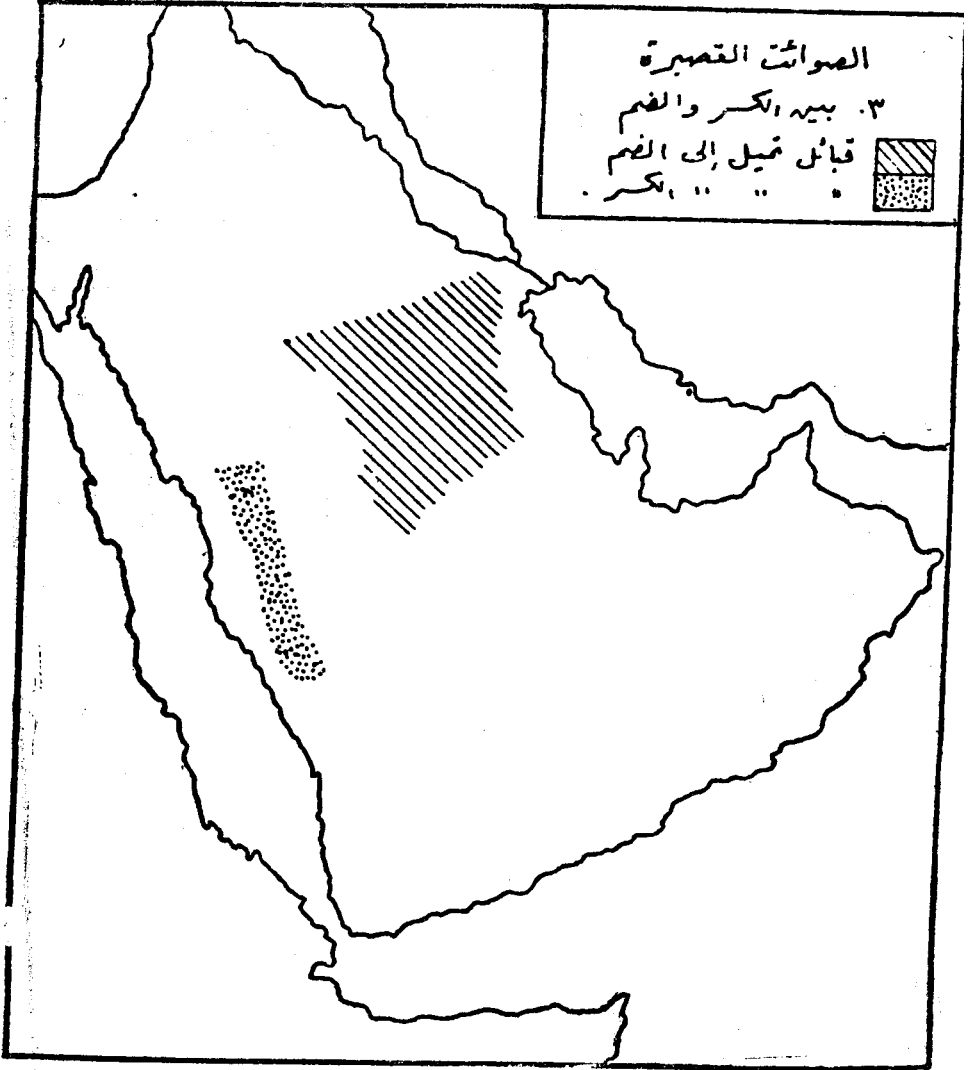


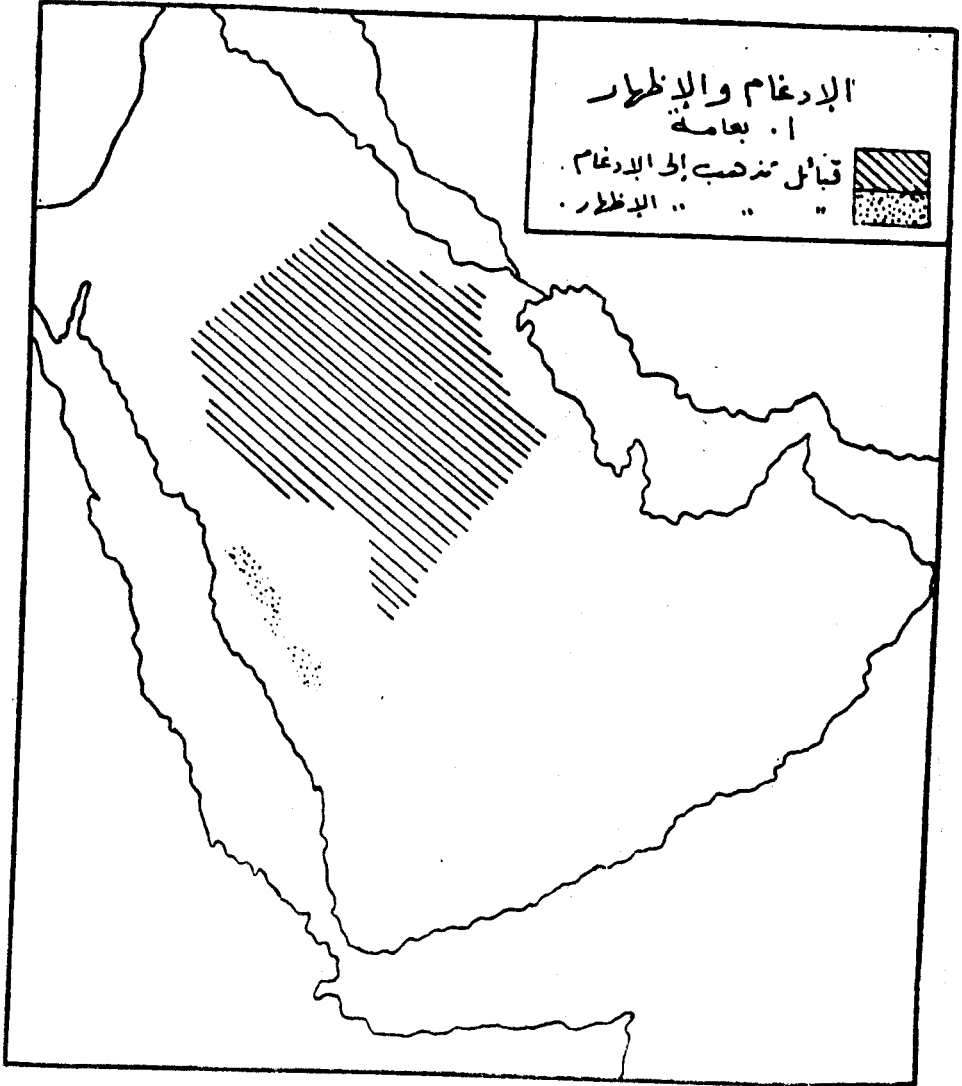


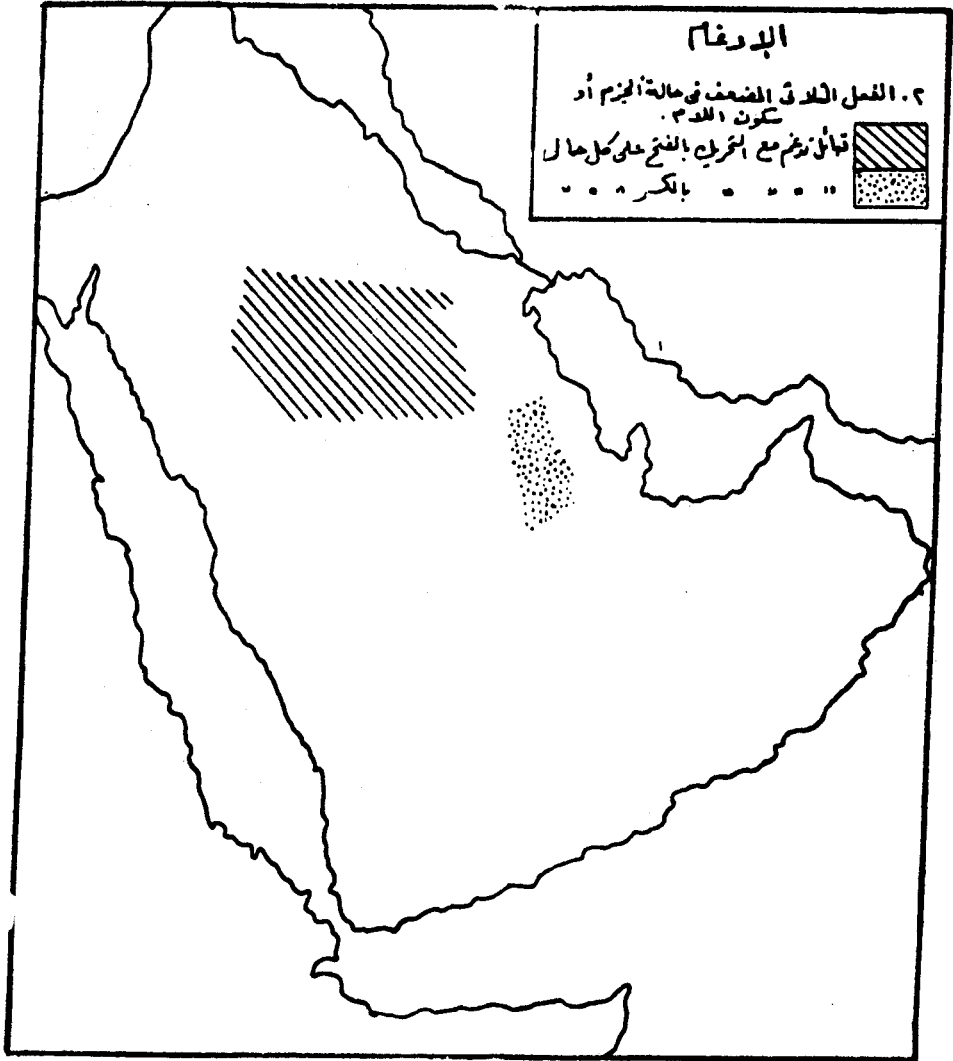




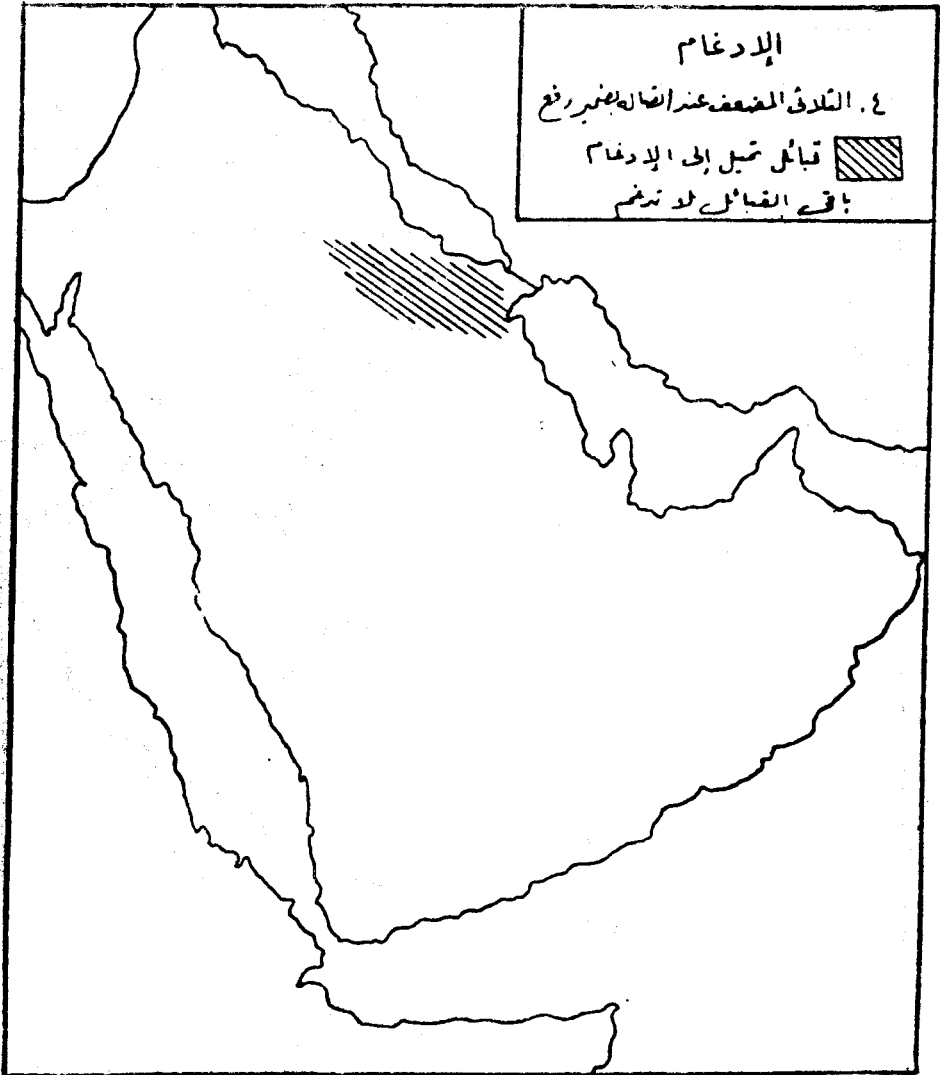


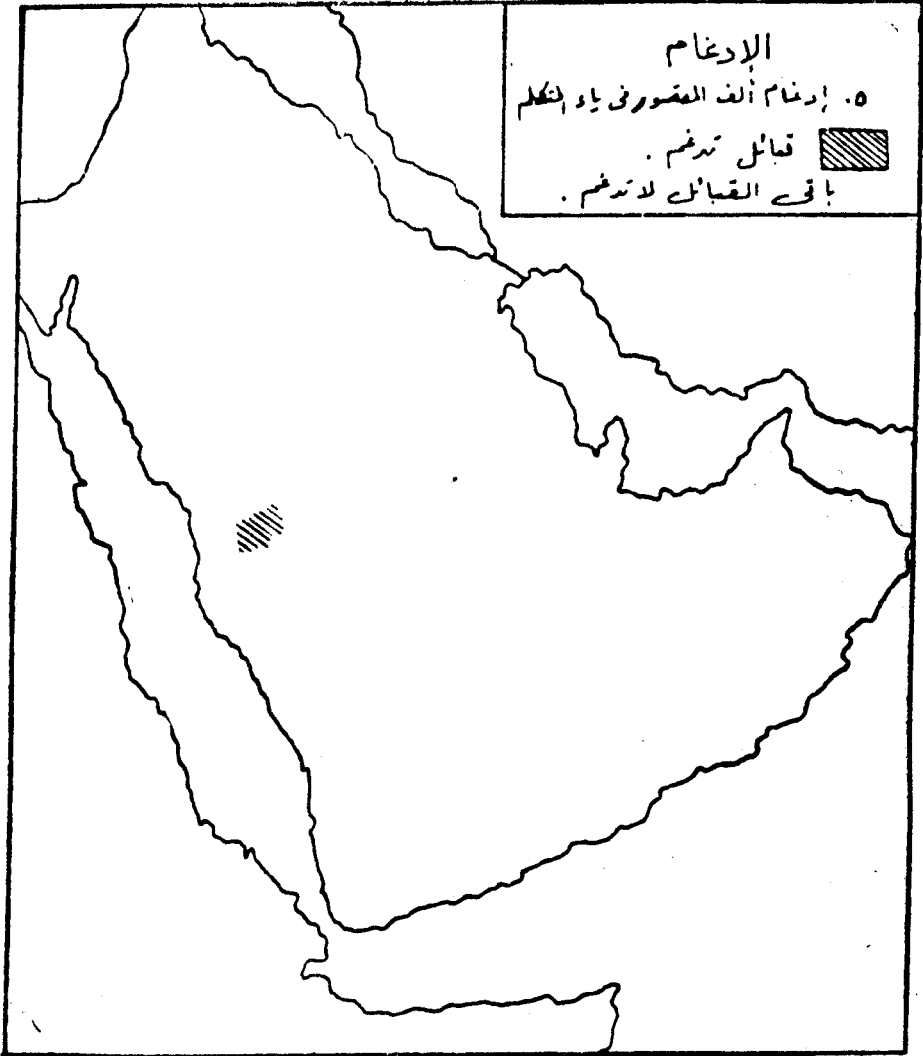


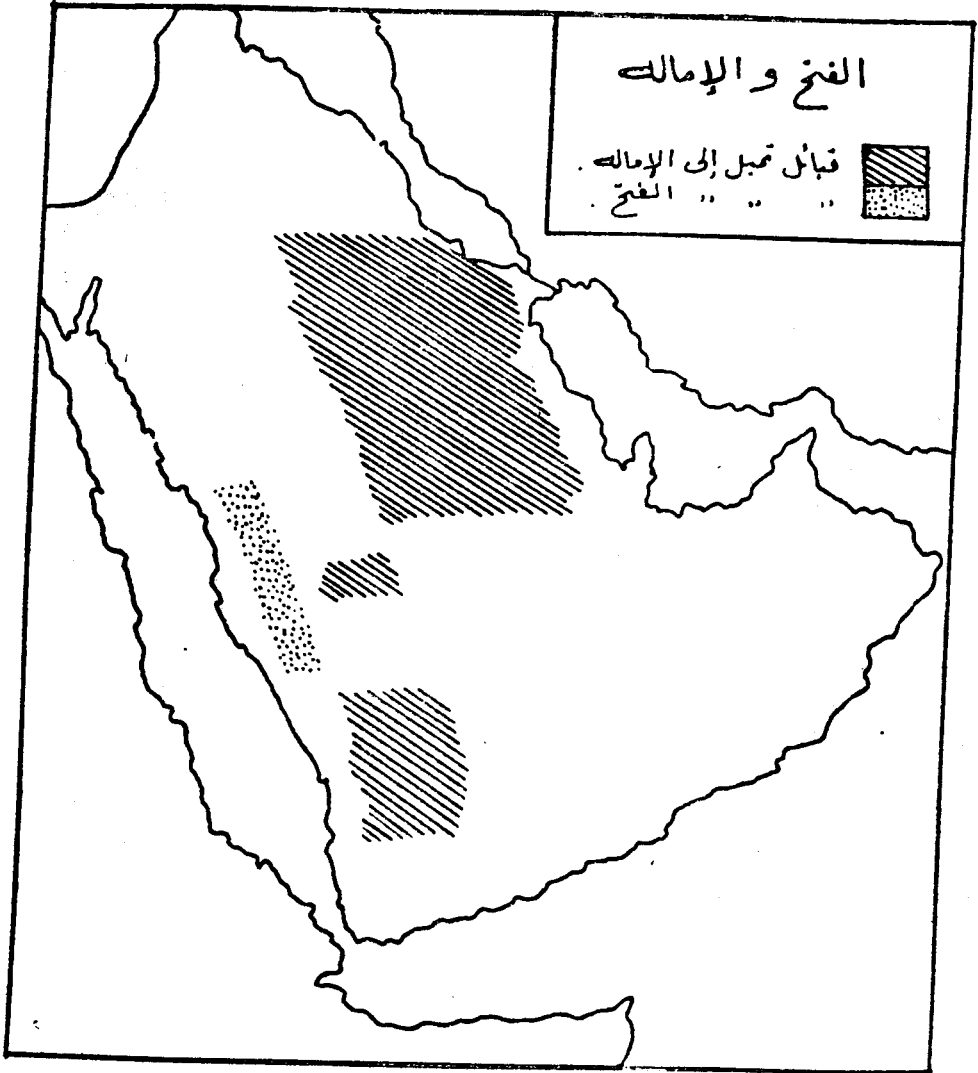


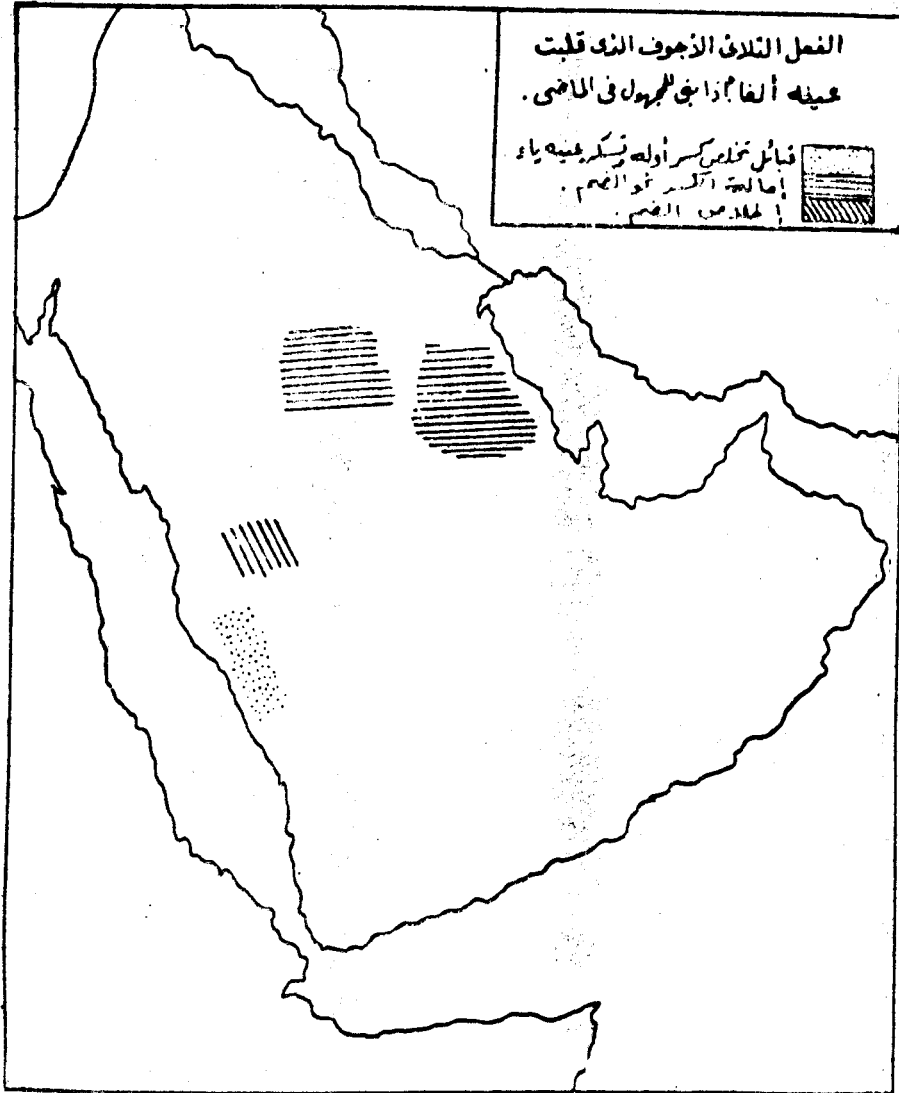


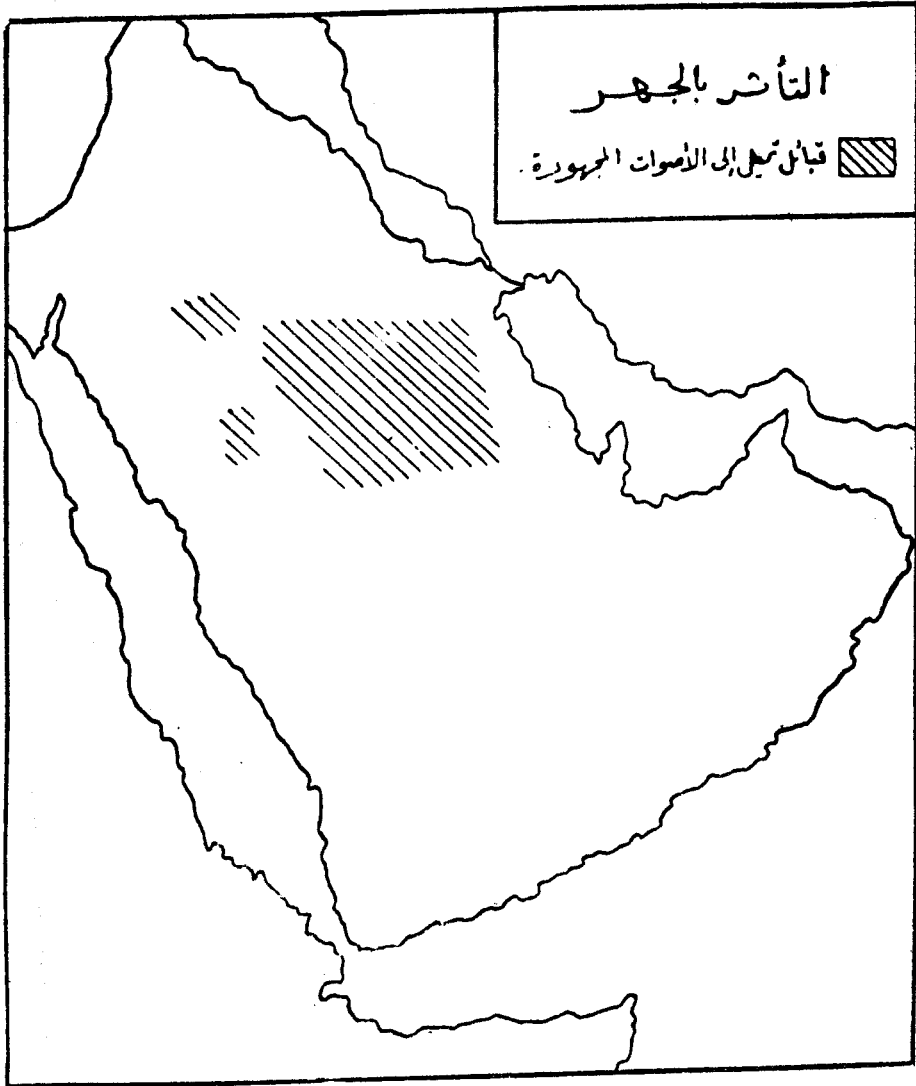




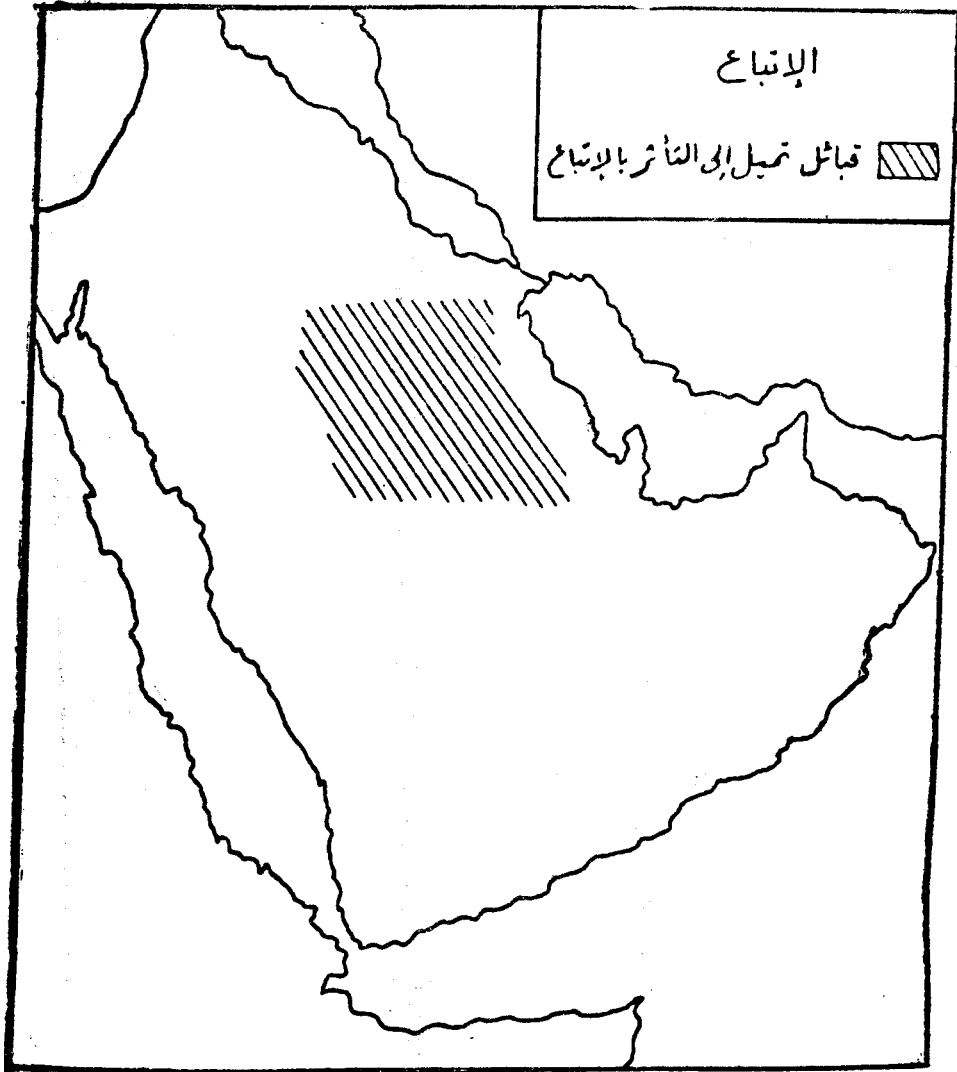


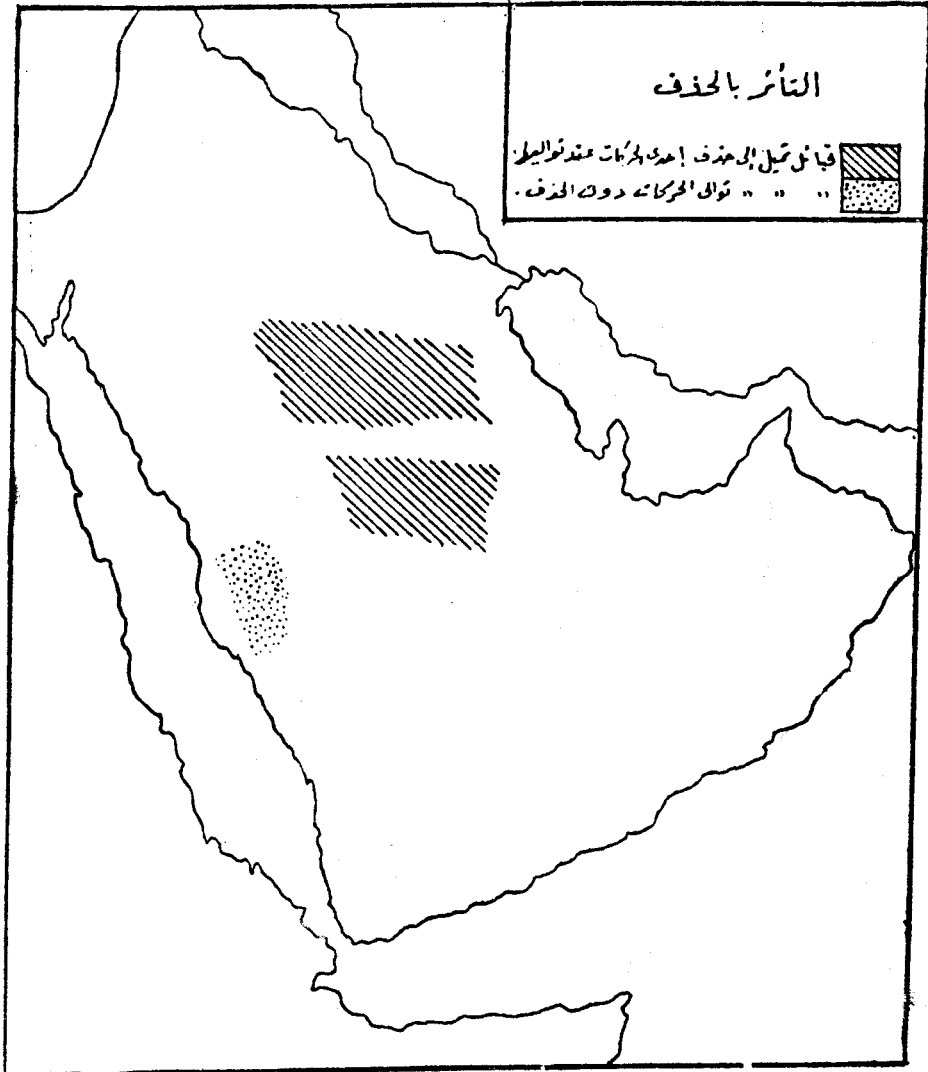


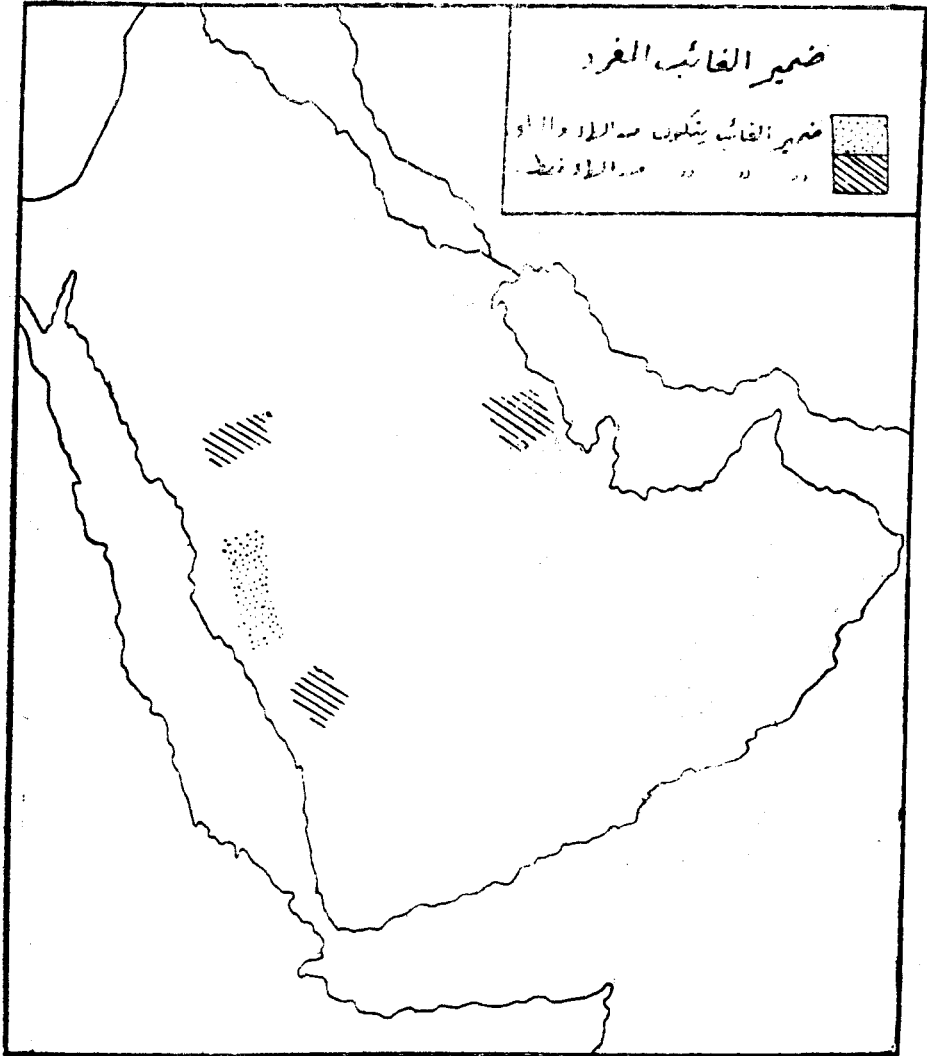


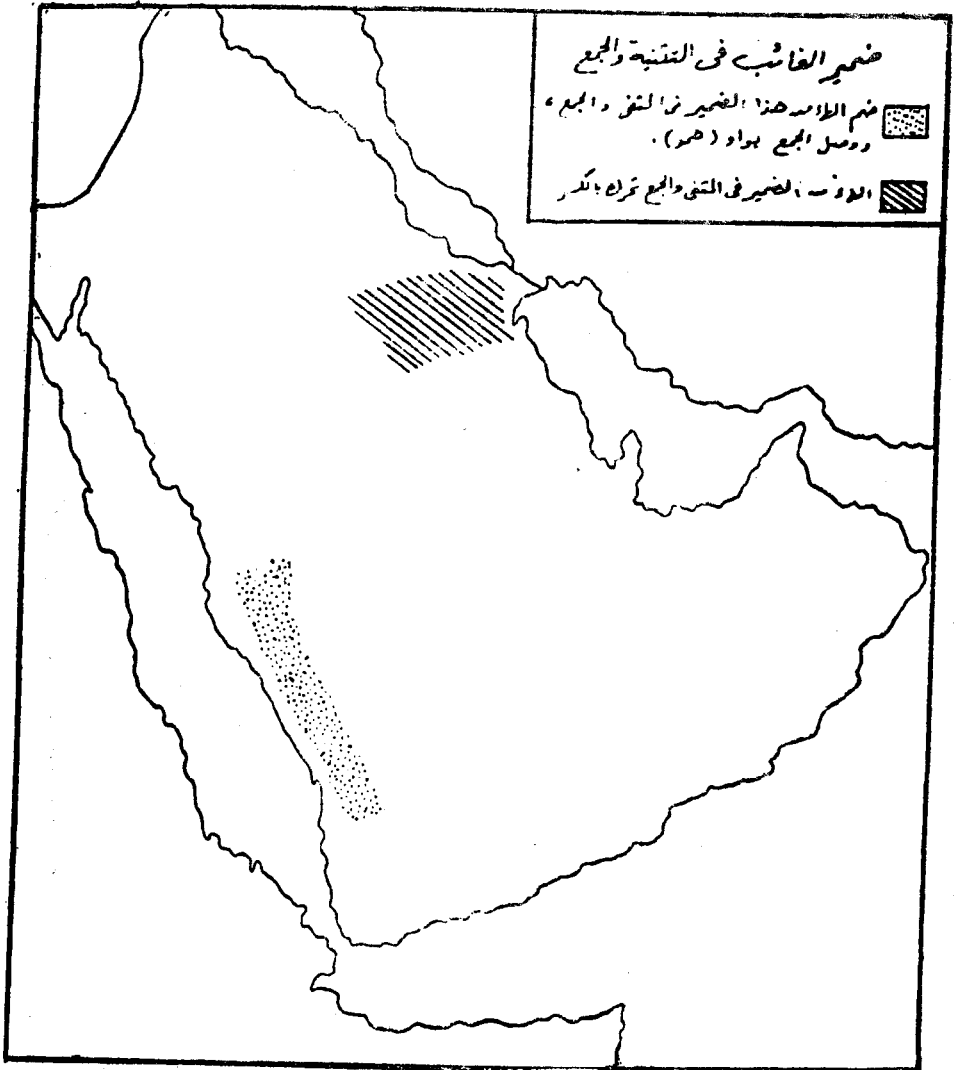


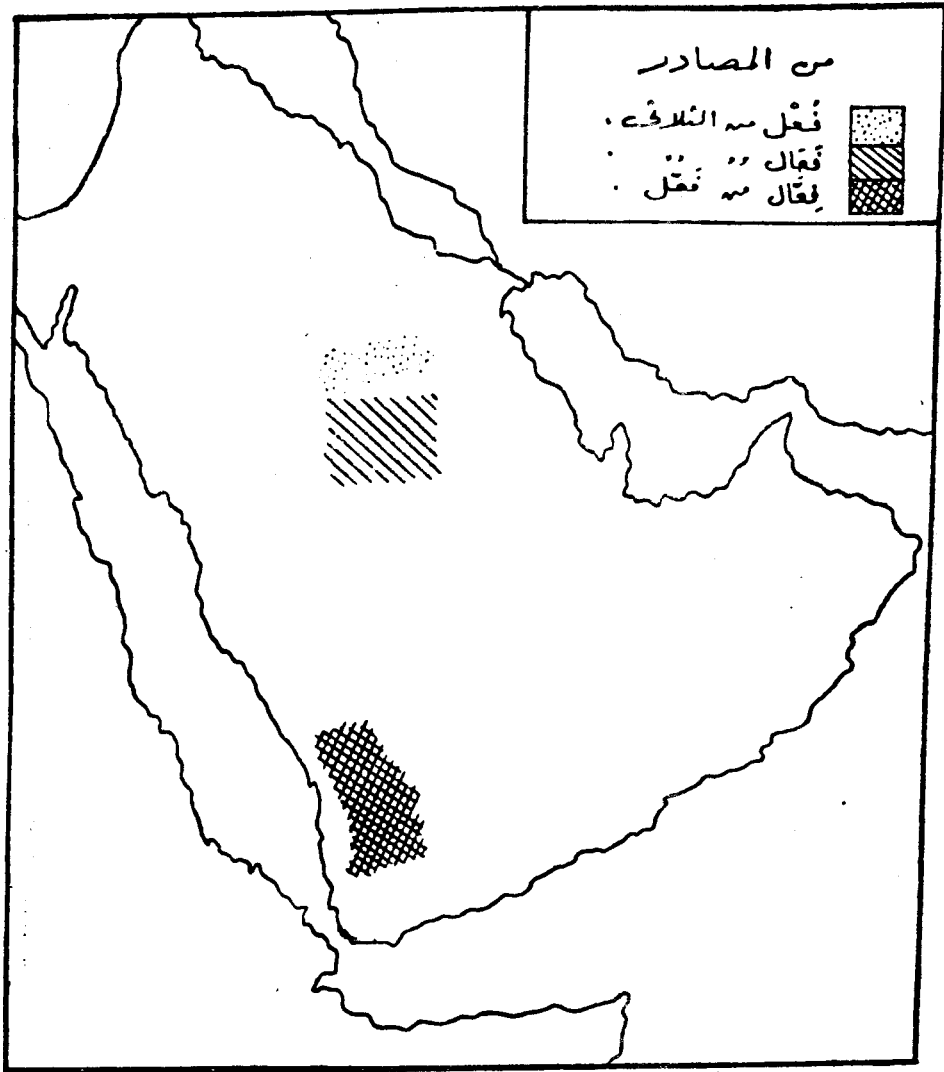


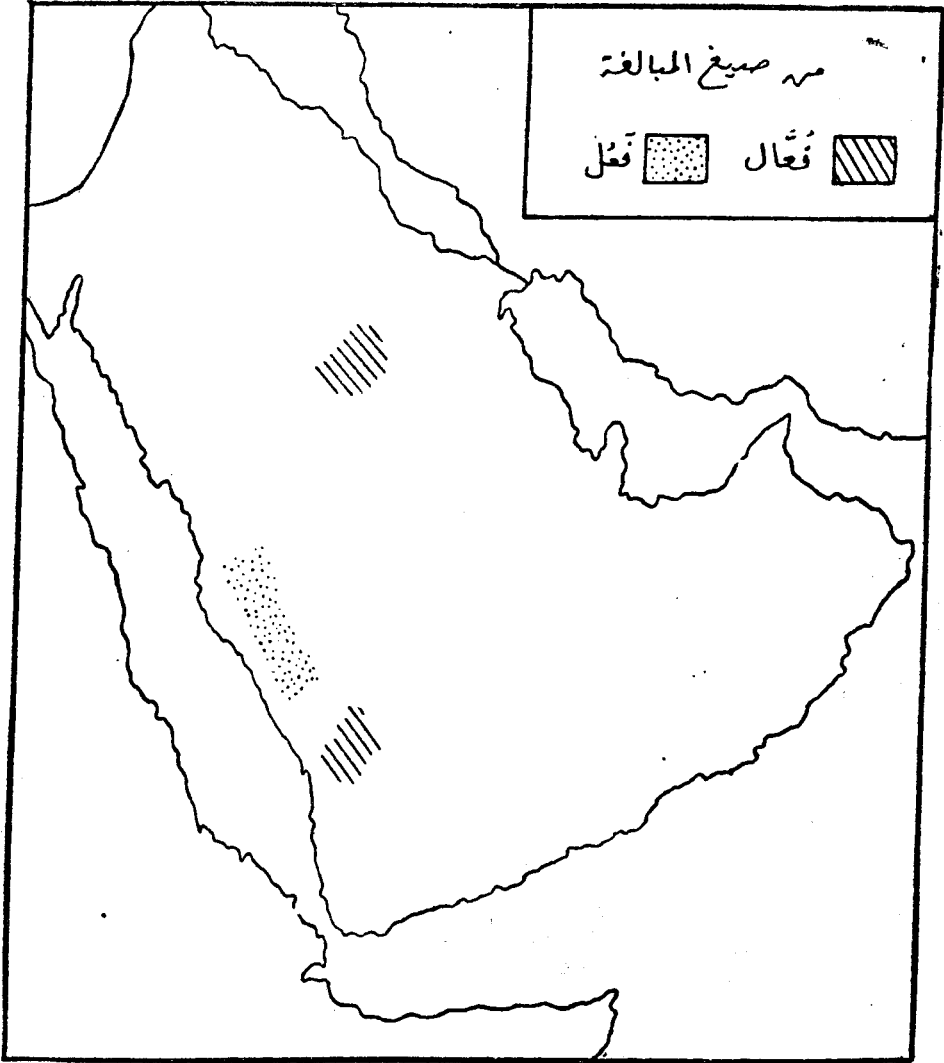


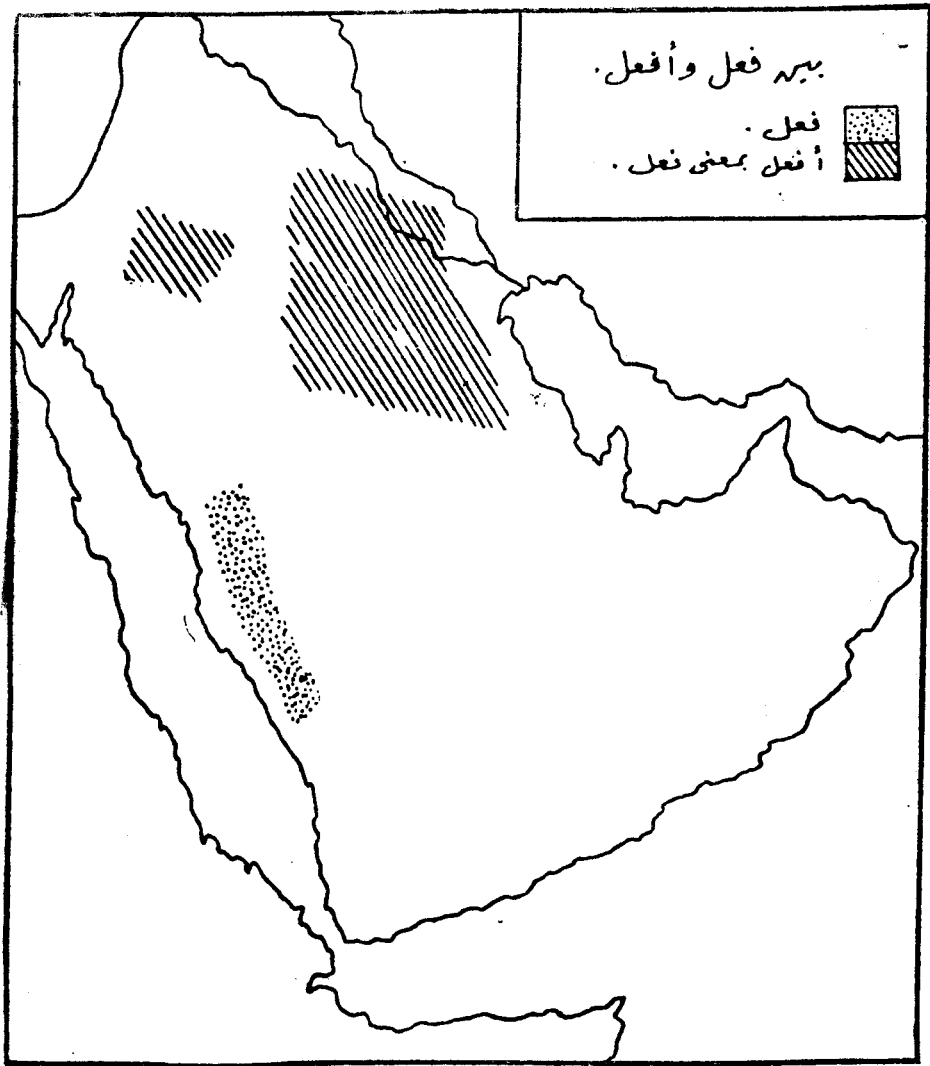


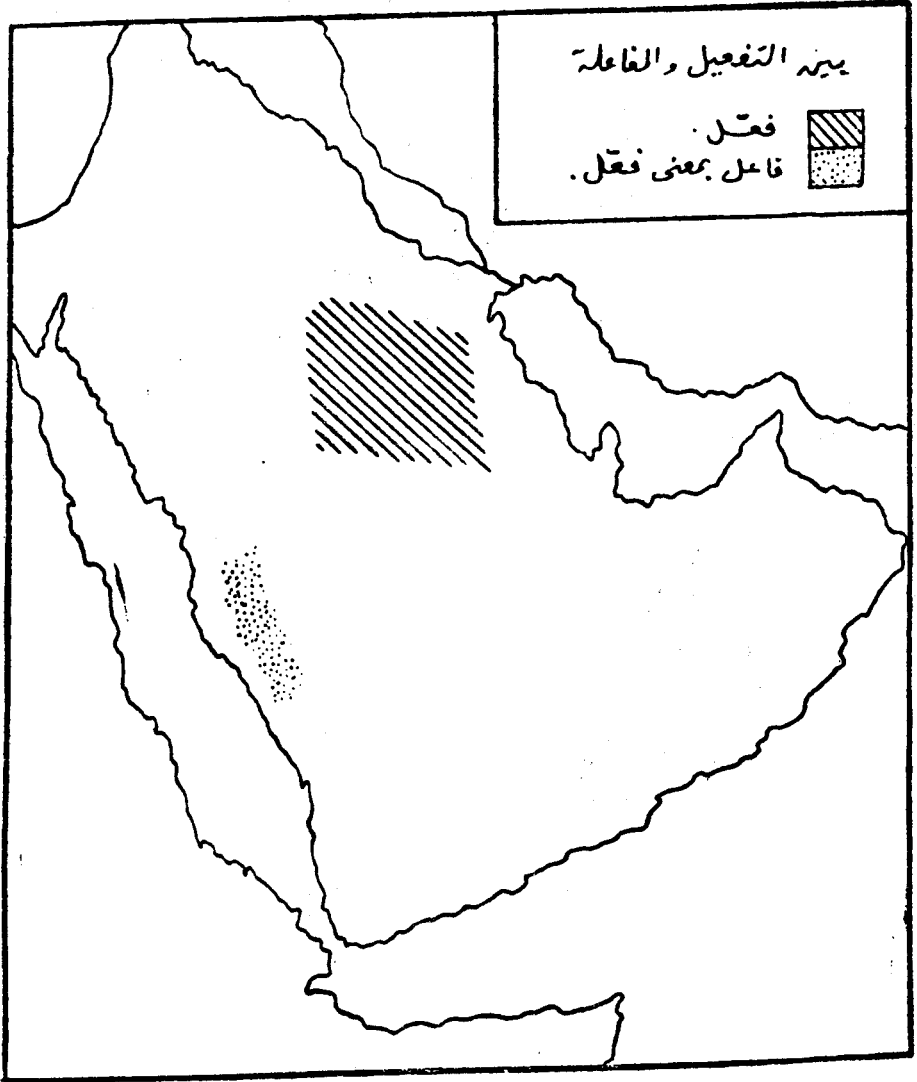


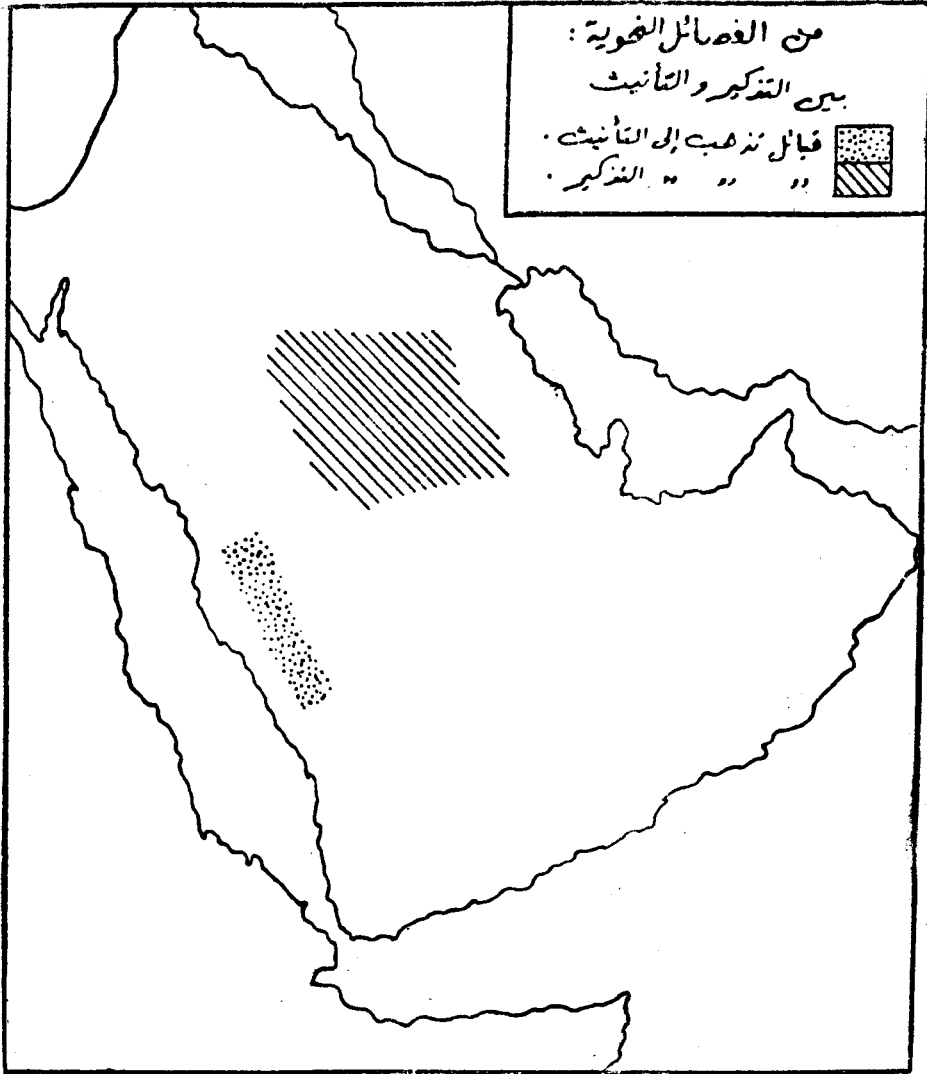


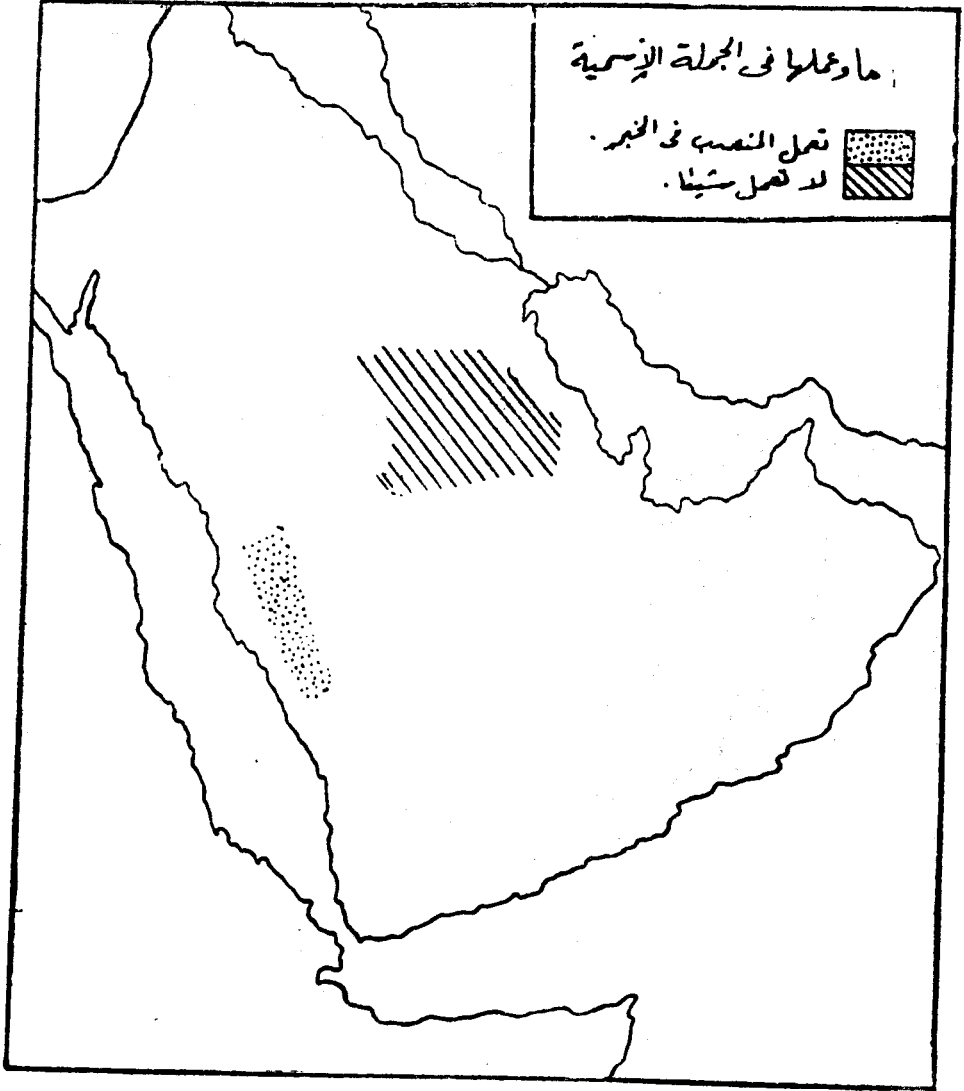


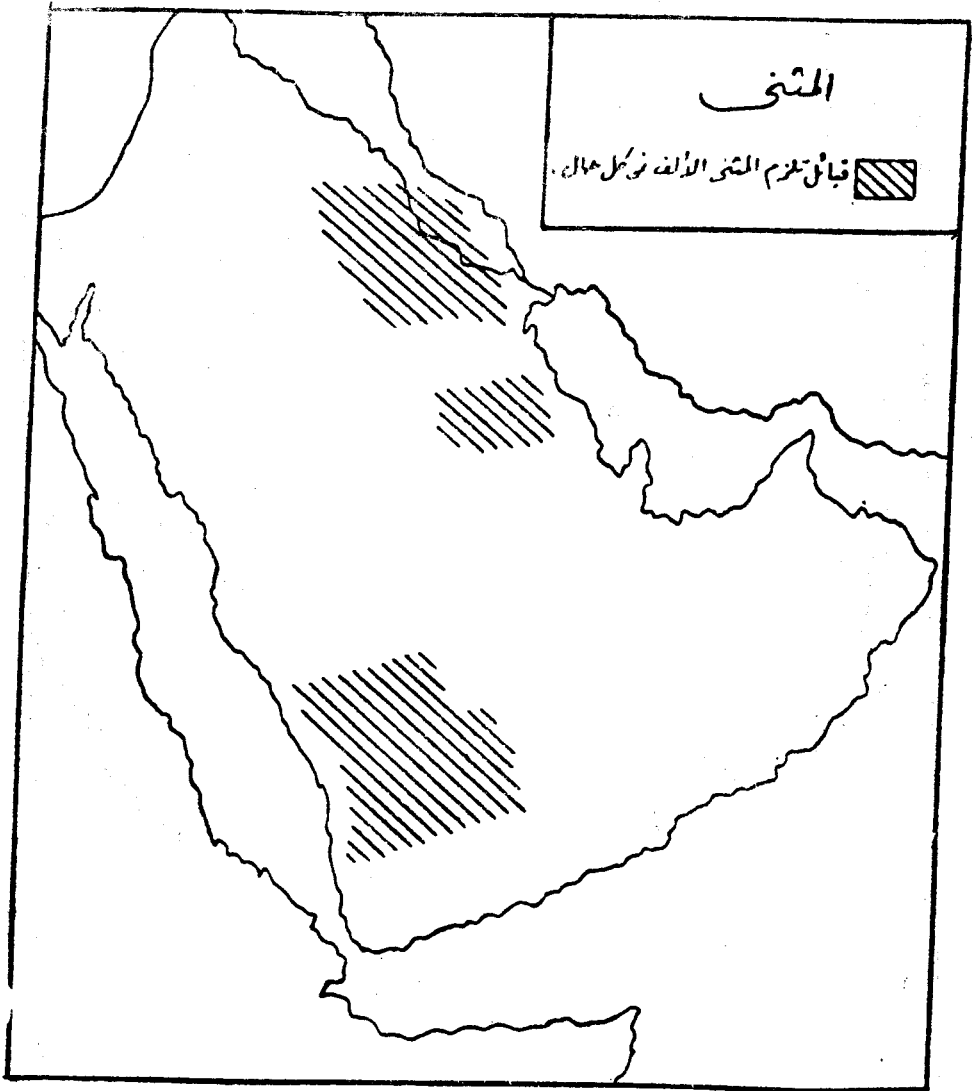


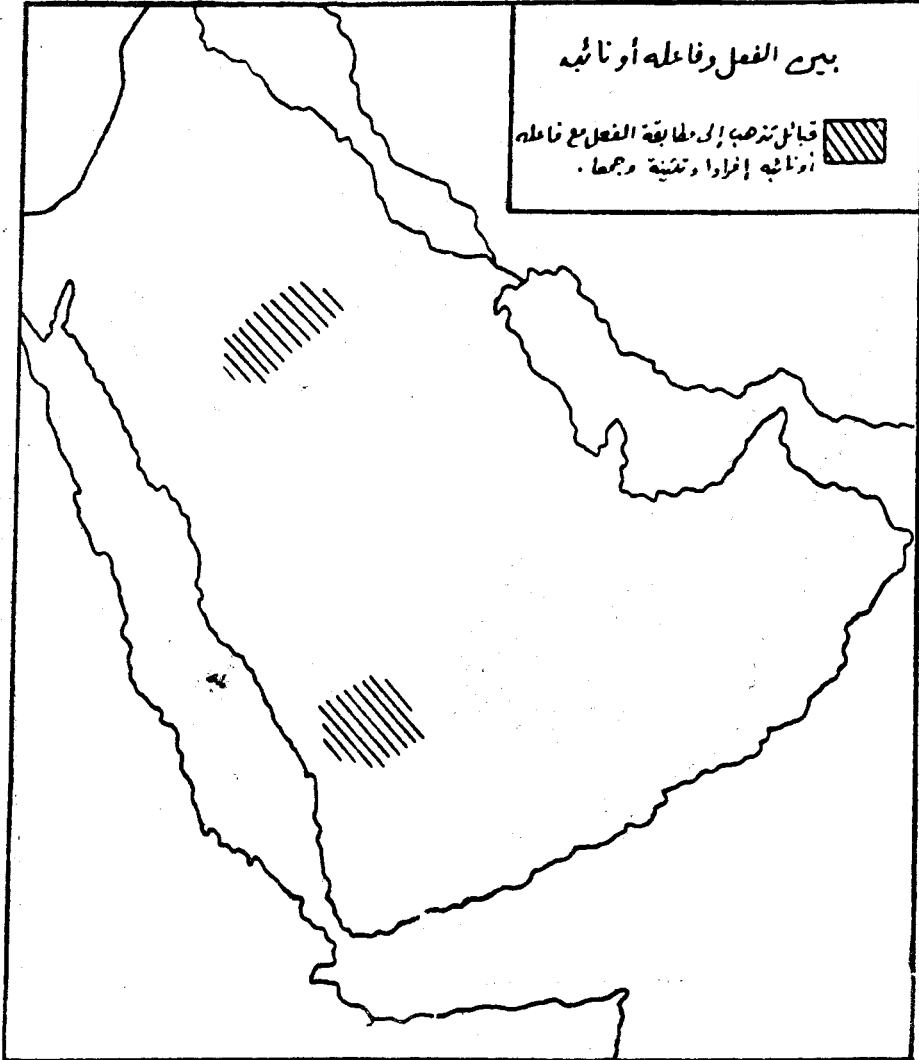


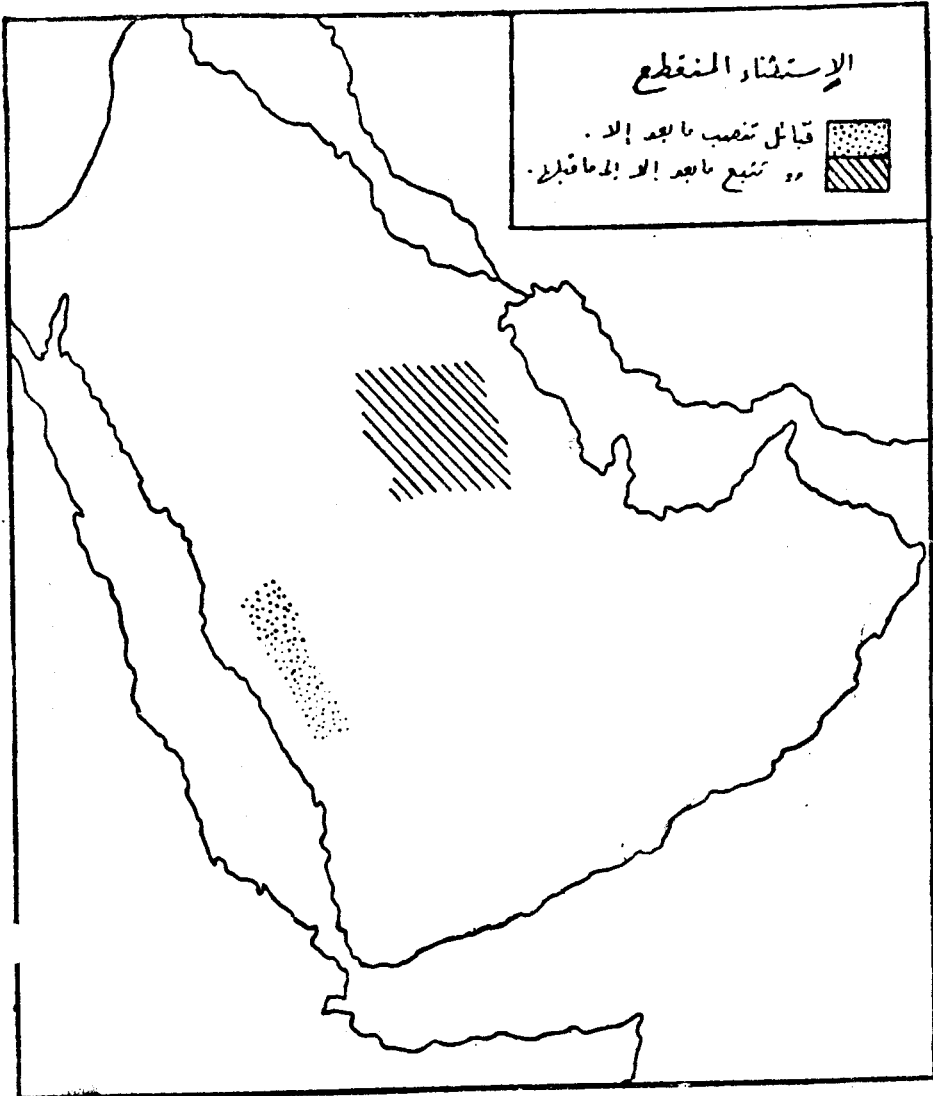


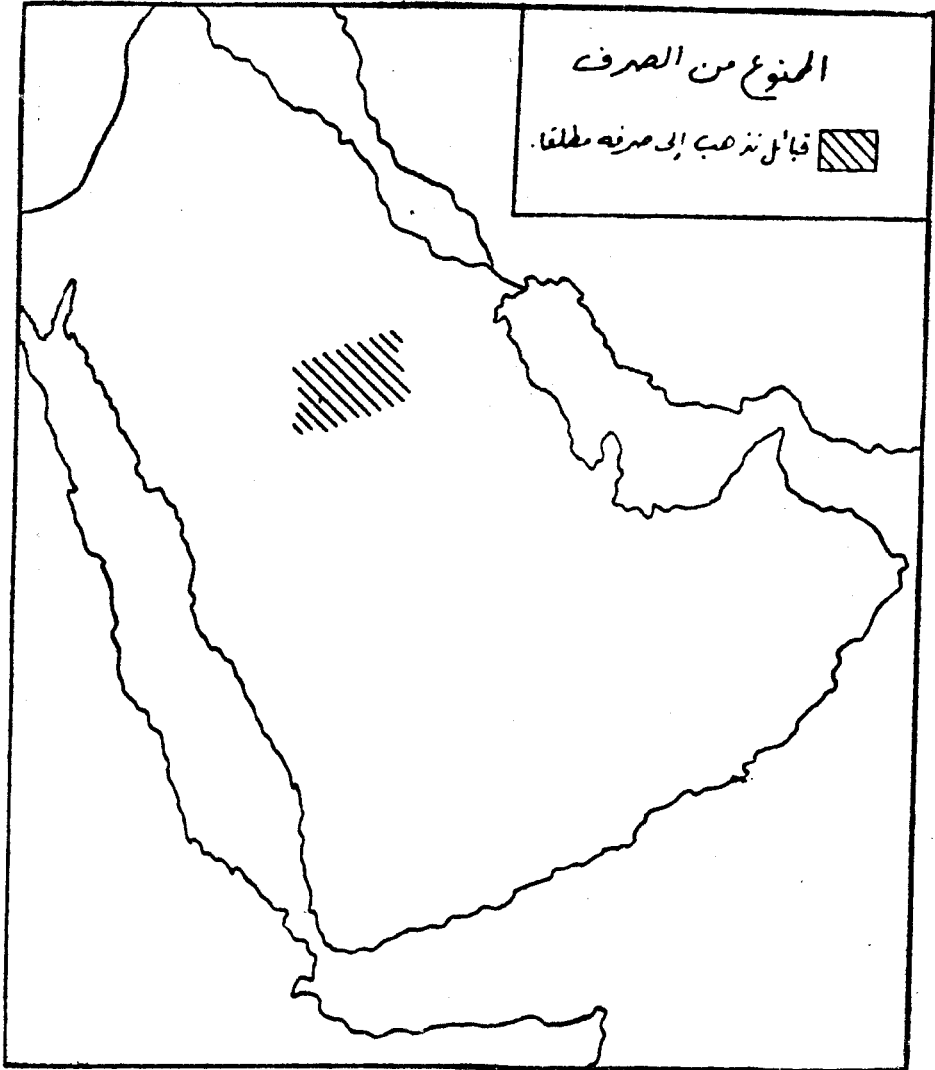












المصادر

أولا — المصادر المخطوطة :

- ١ — ابن جنى : المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها .
نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رقم ٤٤٤ م عن مخطوطة دار
الكتب ٧٨ قراءات .
- ٢ — ابن خالويه : الحجة في قراءات الأئمة السبعة . مخطوطة بدار الكتب
برقم ١٩٥٢٣ .
- ٣ — السيرافي : شرح كتاب سيويه . مخطوطة بدار الكتب برقم ١٣٦ نحو .
- ٤ — أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف . مخطوطة بدار الكتب
١٢١ لغة .
- ٥ — أبو علي الفارسي : الحجة في القراءات السبع . مخطوطة بمكتبة بلدية
الإسكندرية برقم ٣٥٧٠ ج .
- ٦ — القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بمبائل عرب الزمان . نسخة مصورة
بدار الكتب برقم ١١٥٥٠ — ح .
- ٧ — الكرماني : شواذ القراءة واختلاف المصاحف . مخطوطة بمكتبة الأزهر
برقم ٢٤٤ قراءات .
- ٨ — مكي بن أبي طالب : الإبانة عن معاني القراجات . مخطوطة بدار الكتب
برقم ١٩٦٦٤ ب .

- ٩ — نشوان بن سعيد : خمس العلوم ودواء كلام العرب من الكاوم . مخطوطة
بمكتبة المسجد الأحمدى بطنطا برقم خ ١٩ ع ١٩٧٨ .

ثانيا - المصادر المطبوعة :

- ١٠ — إبراهيم أنيس (دكتور) : الأصوات اللغوية (القاهرة ١٩٥٠ م)
١١ — » : دلالة الألفاظ (القاهرة ١٩٥٨ م) .
١٢ — » : اللهجات العربية (ط الرسالة)
١٣ — » : مستقبل اللغة المشتركة (الجامعة العربية
١٩٦٠ م) .
١٤ — ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة ١٢٨٦ هـ)
١٥ — الإستراباذى : شرح الشافية . (١٩٣٩ م) .
١٦ — » : شرح الكافية . (استامبول ١٣٠٥ هـ) .
١٧ — إسماعيل بن عمرو المقرئ : كتاب اللغات في القرآن . تحقيق صلاح
الدين المنجد ط الرسالة ١٩٤٦ م) .
١٨ — الإصطخرى : مسالك الممالك (لندن ١٩٢٧ م) .
١٩ — الألوسى : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر . (القاهرة ١٣٤١ هـ) .
٢٠ — أمين الحولى : مشكلاتنا حياتنا اللغوية (الجامعة العربية ١٩٥٨ م) .
٢١ — ابن الأنبارى : الأضداد في اللغة (القاهرة ١٣٢٥ هـ) .
٢٢ — البكرى : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . (١٨٧٦ هـ)
٢٣ — البنا الدمياطى : إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر
(القسطنطينية ١٢٨٥ هـ) .

٢٤ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء . (نشر برجستراسر ط
السعادة ١٩٣٢ .)

٢٥ — ابن الجزرى : منجد المقرئين (القدس ١٩٥٠ هـ .)
٢٦ — ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر . (ط التجارية) .
٢٧ — ابن جنى : الخصائص تحقيق الأستاذ على محمد النجار ط دار الكتب
٢٨ — ابن جنى : سر صناعة الأعراب . (الحلبي ١٩٥٤ م) .
٢٩ — جولد تسيهر : المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن (ترجمة على حسن
عبد القادر مطبعة العلوم بالقاهرة ١٩٤٤ م .)

٣٠ — ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى . ط الهمية .
٣١ — ابن حزم : جمهرة أنساب العرب . المعارف ١٩٤٨ م .
٣٢ — حسن عون (الدكتور) : اللغة والنحو . الإسكندرية ١٩٥٢ م .
٣٣ — ابن حوقل : صورة الأرض . (لندن ١٩٣٨ م) .
٣٤ — أبو حيان : البحر المحيط . ط السعادة ١٣٢٨ هـ .
٣٥ — ابن خالويه : القراءات الشاذة . تحقيق برجستراسر . الرحمانية

١٩٣٤ م .

٣٦ — الدانى : انقنع فى رسم مصاحف الأمصار . ط دمشق .
٣٧ — الرافعى : تاريخ آداب العرب . القاهرة ١٩١١ م .
٣٨ — الرمانى : الألفاظ المترادفة . القاهرة الطبعة الثانية .
٣٩ — الزركشى : البرهان فى علوم القرآن . ط الحلبي ١٩٥٧ م .
٤٠ — أبو زيد : كتاب النوادر فى اللغة . بيروت ١٨٩٤ م .
٤١ — السجستانى : المصاحف الرحمانية ١٩٣٦ م .

- ٤٢ — ابن سعد : الطبقات الكبير . ليدن ١٣٢٢ هـ .
- ٤٣ — سعيد الأنصاري : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام . دمشق ١٩٣٧ م .
- ٤٤ — السكري : شرح أشعار الهذليين ١ ط العروبة .
- ٤٥ — سيويه : الكتاب . ط بولاق .
- ٤٦ — ابن سيده : المختص . بولاق ١٣١٩ هـ .
- ٤٧ — السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . حجازي ١٣٦٨ هـ .
- ٤٨ — » : بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة . القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- ٤٩ — » : الاقتراح في علم أصول النحو . حيدرآباد ١٣١٠ هـ .
- ٥٠ — » : الزهر في علوم اللغة . القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ٥١ — » : معجم الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية . القاهرة ١٣٢٧ .
- ٥٢ — الشنقيطي : الدرر اللوامع على معجم الهوامع . الخانجي ١٩١٠ م .
- ٥٣ — شوقي ضيف (دكتور) : تاريخ الأدب العربي — العصر الجاهلي —
- ٥٤ — الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن . دار المعارف .
- ٥٥ — طه حسين (دكتور) : في الأدب الجاهلي . المعارف ١٩٥٢ م .
- ٥٦ — أبو عبيد القاسم بن سلام : رسالة في ماورد في القرآن الكريم من
- أغاث القبائل على هامش تفسير الجلالين . الحلبي ١٣٤٢ هـ .
- ٥٧ — ابن الفقيه : مختصر البلدان . ليدن ١٨٨٥ م .
- ٥٨ — فاندريس : اللغة . ترجمة الدواخل والقصاص . ط البيان العربي
- القاهرة . ١٩٥٠ .
- ٥٩ — ابن فارس : الصحاح . القاهرة ١٩١٠ م .

- ٦٠ — القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . ط بغداد
- ٦١ — ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن . الحلبي . ١٩٥٤ م
- ٦٢ — المبرد : نسب عدنان وقحطان . القاهرة ١٩٣٦ م
- ٦٣ — محمود السمران (دكتور) : علم اللغة . دار المعارف ١٩٦٢ م
- ٦٤ — المسعودي : التنبية والإشراف . لندن ١٨٩٢ م
- ٦٥ — » : مروج الذهب . القاهرة ١٢٨٣ هـ
- ٦٦ — المقدسي : أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم لندن ١٩٠٦ م
- ٦٧ — الميداني : مجمع الأمثال . القاهرة ١٣١٠ هـ
- ٦٨ — نشوان بن سعيد : منتخبات من أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم .
لندن ١٩١٦ م
- ٦٩ — ابن النديم : الفهرست . ط الاستقامة
- ٧٠ — ابن هشام : البيرة النبوية . القاهرة ١٩٣٦
- ٧١ — ابن هشام الأنصاري المصري : مغنى اللبيب . القاهرة ٣٥٦ هـ
- ٧٢ — الهمداني : صفة جزيرة العرب . أيدن ١٣٨٤ هـ
- ٧٣ — اليعقوبي : البلدان . مع كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته .
لندن ١٨١٩ م
- ٧٤ — ابن يعيش : شرح المفصل . (المنيرية)
- ٧٥ — ياقوت : معجم البلدان . السعادة ١٩٠٦ م

ثالثا : المصادر الأوربية

1. Bloomfield (Leonard) : Language, London, 1950.
2. Carroll (John B.) : The Study of Language, Harvard university press, 1955.
3. Musil (Alois) : Arabia Deserta, New York, 1927.
4. Rabin (Chaim) : Ancient West Arabia, London 1951 .
5. Sapir (Edward) : Culture, Language and Personality ; California 1960.

المفترست هـملا
غفر الله له ولوالديه

ملحق الفهارس

المفترست هـملا
غفر الله له ولوالديه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا في ضلال مبين

والصلاة والسلام

فهرس الأعلام

الأشموني : ١٤٠ - ١٦١	أبان بن ثعلب : ١١٩
الأشهب : ١٠ - ١٠٢ - ١٢١	إبراهيم أنيس : ٣٧ - ٣٨ - ٤٦ - ٤٧
الإصطخري : ١٠ - ١٨ - ٢٥ -	٩٥ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٤ -
٢٨ - ٢٦	١١٧ - ١٢٦ - ١٣٢ - ١٣٣
الأصمى : ١٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٥ -	١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٣
١٤٧ - ١٤٤ - ٦١ - ٥٦	١٤٧ - ١٤٩ - ١٩٢ - ١٩٥
١٨١ - ١٥٥	أبي بن كعب : ٦٨ - ٧١ - ٤٢ - ٧٣
الأعرج : ٨٧ - ١٢٤	٧٤ - ٧٧ - ١٥٣
الأعشى : ٧٩	ابن الأثير : ٣٢ - ٦٨ - ٧٣ - ١١٦
الألوسي : ٥٨ - ١٥٧ - ١٦٤	أحمد علم الدين الجندی : ٥٢
أمين الخولي : ٤٢	أحمد بن يحيى : ١٥١
أمية بن أبي الصلت : ١٨٧	الأخفش : ١٩٢
ابن الأنباري : ٥٥	إراتوسين : ٨
الأندلسي : ٥٨	الإستراباذي : ٥٨ - ٥٩ - ١١٦ - ١٣٢
أنس بن مالك : ٦٨ - ٧٢ - ٧٣	إسحق الأزرق : ١١٤
أنمار بن نزار : ٢٩	أبو إسحق الحرابي : ١٨
أوجست هفتر : ٤٥ - ٥٦	ابن إسحق القاضي : ٧٣
أيوب السخيتاني : ١٠١	إسماعيل (عليه السلام) : ٤٠
أبو أيوب : ٧٢	إسماعيل بن عمرو المقرئ : ٥٢ - ٥٣

- بجيلة بنت أعمار : ٢٩
أبو جعفر (يزيد بن القعقاع) : ٧٥
بختصر : ٣١
٨٠ — ٨٥ — ٩٧ — ٩٨ — ٩٩
البغوى : ٨٠
١٠٢ — ١٠٣ — ١٠٤ — ١٠٦
أبو بكر : ٧٠
١١٨ — ١٢٣ — ١٢٨ — ١٢٩
أبو بكر بن مجاهد : ٧٤ — ٧٦ —
١٦٠ — ١٦١ — ١٦٣ — ١٦٥ — ١٩٥
٧٧ — ٨٧ — ١٥٥ — ١٧٩
البكرى : ٩ — ١١ — ١٣ — ١٤
١٥ — ١٦ — ١٨ — ٢٨ — ٢٩ — ٣٠
خفري : ٧٧
ابن جنى : ٦٠ — ٦١ — ٦٣ — ٦٤ — ٨١
١٣٣ :
٨٢ — ٨٥ — ٨٦ — ٨٧ — ٩٠ — ٩٥
البقينى : ٧٩
١٠٦ — ١٠٧ — ١١١ — ١١٣
بلو مفيد : ٥٩
١١٥ — ١١٦ — ١١٣
بلىنى : ٨ —
١٤٦ — ١٣٥ — ١٣٤ — ١٣٣
البنى الدمياطى : ٨٤
١٤٧ — ١٤٨ — ١٥٠ — ١٥١
١٥٢ — ١٥٧ — ١٦٤ — ١٢٠ — ٢٠١
ثعلب : ٤١
الجنرى : ٣٣
حول تسمير : ٧١
جربير : ١٥٨
ابن الجزرى : ٥٢ — ٦٢ — ٦٨
أبو حاتم السجستانى : ٣ — ٧٣ — ١٠٥
١٨٠
الحجاج : ٦٢
١٣٤ — ٨١ — ٨٣ — ٩٦ — ١٣٤
حذيفة : ٧١ — ٧٢
١٣٥ — ١٤٠
ابن حزم : ٢٠ — ٣٣ — ١٠٦ — ١١٣
الجمبرى : ١٣٩

١٧٩ - ١٦٤ - ١٥٢ - ١٥٠	حسن عون : ٤٦ - ١٨٤ - ١٨٧
١٨٣ - ١٨١	الحسن : ١٠١ - ١٠٢ - ١١١ - ١١٩
أبو حيوة : ١١٩ - ١٢١ - ١٥٥	١٢٤ - ١٤٦ - ١٥٥ - ١٦٠
خارجة : ١١١	١٨٧
خالد بن الوليد : ٢٦	أبو الحسن : ٦١ - ٦٤
ابن خالويه : ٧٨ - ٨٣ - ١٠٢	حسين بن مذهب المصرى : ٥١
١١٥ - ١١٤ - ١١١ - ١٠٣	حفص : ١١٩
١٤٤ - ١٣٥ - ١٢٩ - ١٢١	حفصة بنت عمر : ٧٠ - ٧١
١٨٠ - ١٥٦ - ١٥٥ - ١٥٣	الحلوانى : ١١١
١٩١ - ١٨٧ - ١٨٥	حمزة : ٦٢ - ٧٤ - ١٥ - ٧٤
ابن خلدون : ٢٠	٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٠٤
الحفاف : ١٢٤	١١٨ - ١١٤ - ١١٠ - ١٠٥
خلف الأحمر : ٦١	١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٣
خلف بن هشام : ٧٥ - ١٠٥ - ١٢٨	١٢٤ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩
خليل عساكر ٨	١٣١ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩
الخليل : ٨ - ٦٣ - ١٣٢	١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٤
الدانى : ٤٣ - ٧٦	١٥٥ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥
أبو الدرداء : ٧٢ - ٨١	أبو حنيفة : ١٩٨
أم الدرداء : ١٠١	ابن حوقل : ٩ - ١٠ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٧
ابن دريد : ٥١ - ٥٤ - ١٥٥	٣٣ - ٣٢
ابن دقيق العيد : ٧٩	أبو حيان : ٨٦ - ١١٣ - ١١٦
أبو ذؤيب الهذلى : ١٣٢	١١٩ - ١٢٥ - ١٤١ - ١٤٧

سعد بن قرط : ١٥١	ذو الرمة : ١٤٨
ابن سعد : ٦٨ — ٧٢	رؤبة : ١٨٣
سعيد الأفغاني : ٤٧	رابين : ٤٢
سعيد بن جبير : ٧٤ — ٧٩	الراعي : ١٥٨ — ١٩٨
سعيد الشرتوني : ٥٦	أبو رجاء : ١٢٤
سعيد بن العاص : ٧٢	أبو رزين العقيلي : ١١٤
أبو سعيد الخدري : ١٨٤	ابن رسته : ٢٧
أبو سعيد القرشي : ٥٨	الرماني : ٥٥
السكرى : ٣٢	زبر بن حبيش : ٧٤ — ٤
سلام بن سليمان الطويل : ٧٤	الزعفراني : ٢٢
أم سلمة : ٧١	الزحشمري : ٨
سليم بن عيسى : ٧٥	أبو زباع الجزامي : ٩٦
سلمان بن مهران الأعمش : ٧٤ — ٨٧	الزهرى : ١٠١ — ١٣٠
١٠٣ — ١١٤ — ١١٩ — ١٢٤	زيد بن ثابت : ٧٠ — ٧٢
١٤٦ — ١٠٠ — ١٨٣ — ١٨٤ — ١٩١	زيد بن علي : ٨٧ — ١٠١ — ١٤٦
أبو الشمال : ١٨٣	١٥٥ — ١٥٦ — ١٨٣
سهيل بن شعيب :	سايير : ٣٩ — ٤٢
السهيلي : ٣٠	سالم : ٧١
سيبويه : ٥٨ — ٥٩ — ٦٠ — ٦١ — ٦٢	السبكي : ٨٠
٦٣ — ٨٦ — ٩٥ — ١٠٦ — ١٠٨	سبترابو : ٨
١٣١ — ٩٤٠ — ١٥٦ — ١٨١ — ١٨٩	السجستاني (ابن أبي داود) : ٧٠
أبن سفيانة : ١٠٦	سعد : ٧١

١٢١ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١٨	السيراني : ١٠٥ - ١٣١ - ١٤٨ - ١٨١
١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٤ - ١٢٢	السيوطي : ٤١ - ٤٣ - ٥١ - ٥٣ - ٥٥
١٤٥ - ١٣٩ - ١٢٨ - ١٣١	٥٦ - ٥٩ - ٧ - ٧٩ - ٨٠
١٦٢ - ١٦٠ - ١٥٥ - ١٥٤ - ١٥٣	٨١ - ٨٧ - ١٣٩ - ١٥٠ - ١٨١
١٩١ - ١٨١ - ١٨٠ - ١٦٥	الشجري : ٦١ -
عبادة بن الصامت : ٧٢ - ٧١	ابن شيبوذ : ٩٦ - ٧٧ - ٧٨
ابن عباس : ٤٣ - ٥٣ - ٦٧ - ٧١	الشيبوذى : ١٨٤
٢٠٠ - ١٦٣ - ٧٨ - ٧٧ - ٧٤ - ٧٣	الشفيطي : ٦٢
عبد الله بن إسحاق الحضرمي : ٢٠٣	شذيجر : ٨
عبد الله بن أبي إسحاق : ٦١ - ٢١٠	شوقي ضيف : ٤٦
١٦٠ - ١٣٠	أبو طاهر بن أبي هاشم : ٧٨
عبد الله بن عامر : ٧٣ - ٨٧ - ٩٨	الطبري : ٦٨ - ٦٩ - ٧٣
١١٠ - ١٠٥ - ١٠٤ - ١٠٣	أبو الطفيل : ١٦٠
١٢٣ - ١٢١ - ١٢٠ - ١١٨	طلحة بن مصرف : ١١١ - ١١٢ - ١٢١
١٣٨ - ١٣١ - ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢٤	١٣١ - ١٤٥
١٥٤ - ١٥٣ - ١٤٥ - ١٣٩	٢٣ - ٢٤٥
١٦٥ - ١٦٣ - ١٦١ - ١٥٥	طه حسين : ٤٥ - ٤٦
١٩٢ - ١٨٩	صلاح الدين المنجد : ٥٢
عبد الله بن الزبير : ٧٣ - ١٥٥ - ١٩٩	عائشة : ٧١ - ١٩٩
٨٤ - ٧٣ - ٤٩ - ٨٤	عاصم الجحدري : ١١٩ - ١٣٠ - ٢٠٠
١٠٠ - ٩٩ - ٩٨ - ٨٩ - ٨٥	عاصم بن أبي النجود : ٧٤ - ٨٤ - ٩٨
١٠٦ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠١	١٠٠ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٥

١١٠ — ١١٨ — ١١٩ — ٢٠	على بن أبي طالب: ٧٤ — ٧٧ — ١٠١
١٢١ — ١٢٣ — ١٢٤ — ١٢٧	٢٠٠
١٢٨ — ١٢٩ — ١٣١ — ١٣٨	أبو علي الفارس ٨٥ — ٨٦ — ٨٩
١٣٩ — ١٤٤ — ١٤٥ — ٧٤٩	٩٧ — ١٠٠ — ١٠٦ — ١١١ — ١٥١
١٥٣ — ١٥٤ — ١٥٥ — ١٦٢	١٥١ — ١٥٤ — ١٦٠ — ١٦٣
١٦٥ — ١٧٩ — ١٩١ — ٢٠٤	عمر بن الخطاب . ١٨ — ٤٣ — ٧٠
١٢٤ — ١٢١ — ١٢٤	٧٢ — ٨١ — ٨٩
عبد الرحمن المقرئ: ١١٤	ابن عمر . ٧١
١٣٠ — ١٣١ — ١٠١ — ١٣٠	عمر بن أبي ربيعة . ١٥١
١٤٦ — ١٥٥ — ١٩٥	عمرو بن عامر . ٢٢
عبد المحسن الحسيني: ١٤	عمرو بن عبيد . ١٨٧ — ١٠١
أبو عبيد القاسم بن سلام: ٥٣ — ٥٢	عمرو بن عدى . ٢٦٠
٥٤ — ٦٨ — ٧١ — ٧٣	أبو عمرو الحرمى . ١٨٣
١٩٦ — ١٩٧ — ١٥٨ — ١٩٩	أبو عمرو بن العلاء . ٦١ — ٦٢ — ٧٤
٢٠٠	٨٤ — ٨٥ — ٩٨ — ١٠٢
عبيد بن عمر البيثي: ١١٤ — ١٥٥	١٠٣ — ١٠٤ — ١١٠ — ١١٨
أبو عبيدة ٤٣ — ٥١	١٢٠ — ٢١ — ١٢٣ — ١٢٦
عثمان: ٧٤ — ٧٠	١١٧ — ١٢٨ — ١٣٨ — ١٣٩
العجاج: ١٠٥ — ١٠٠	١٤٤ — ١٥٣ — ١٥٤
عظيم الدين أحمد: ٥٤	١٥٥ — ١٥٦ — ١٦٢ — ١٦٣
عكرمة: ٥٣ — ١٢٥ — ٢٠٠	١١٥ — ١٦٥ — ١٨٤ — ١٩٦
أبو عكرمة: ١٩٩	ابن عمر: ٩٠

عيسى بن عمر الثقفى : ٦١ — ١٠١	١٤ — ١٦٢ — ١٦٤
١٠٥ — ١٣٠ — ١٢٩ — ١٥٢	١٨٠ — ٢٠٠
١٦٠	القورصى : ١١٢ — ١٣٠
الفارابى : ٤١	ابن قيس الرقيات : ١٨٧
ابن فارس : ٤٠ — ٤١ — ٤٢	قيس بن الملوخ : ١٤٩ — ١٨٣
فاطمة : ٦٧	كارول : ٧
الفراء : ٤١ — ٥٠ — ٥٢	الكرمانى : ١٠١ — ١٠٢ — ١٠٣
٢٠٠ — ٢٠١	١٨٣ — ١٩٠ — ١٩٥
ابن الفقيه : ١٥	١٩٧ — ١٩٩
فندريس : ٣٨ — ٣٩ — ١٧٨	الكسانى : ٦٢ — ٦٣ — ٧٤
قتادة : ١٠١ — ١٠٢ — ١٣٠	٨٥ — ٨٩ — ١٠٢ — ١٠٤
قتيبة بن مسلم الباهلى : ١٧	١٠٥ — ١١٠ — ١١٨
ابن قتيبة : ٦٩ — ٨٣	١١٩ — ١٢٠ — ١٢١
قحطان بن عابر : ٢٠	١٢٣ — ١٢٤ — ١٢٧
قصى بن كلاب : ٣٤	١٢٨ — ١٢٩ — ١٣١
قطرب : ١٠٢ — ١٠٦ — ١١٤	١٣٢ — ١٣٧ — ١٣٨
١٣٢ — ١٤٥	١٣٩ — ١٤٤ — ١٤٥
اقايشدى : ١٣ — ٢١ — ٢٢ — ٢٣	١٤٦ — ١٥٣ — ١٥٤
٢٤ — ٢٥ — ٢٦ — ٢٧ — ٢٨	١٥٥ — ١٦٢ — ١٦٣
٣٠ — ٣١ — ٣٢ — ٣٣ — ٣٤	١٦٤ — ١٩١
١٠٦ — ١١٣	كعب بن لؤى : ٣٤
١٣٣ — ١٤٠ — ١٤٧	الكلى : ١٥ — ١٨

المغيرة بن أبي شهاب : ٧٤	الكواشي : ٨٠
الفضل : ١٠٩ — ١٢١	ابن كيسان : ١٦٠
المقداد : ٧٢	اللاحق : ٦٠
المقدسي : ١١ — ١٥	الحياني : ١٠٥
ابن مقسم : ٧٦ — ٧٨	لويس شيخو : ٥٤
ابن مقلة : ٧٦ — ٧٧	المازني : ٦٠ — ٨٦ — ٨٧
مكي بن أبي طالب : ٧٨ — ٧٩	ابن مالك : ٥٩
ابن أبي مليكة : ٢٠٠	البرد : ٢٠ — ٢٣ — ٢٤ — ٢٥
ابن الناذري : ١٢٢	٢٦ — ٢٨ — ٣١ — ١٥٤ — ١٨٥
النذر بن النعمان : ٢٦	مجاهد بن جبر : ٧٤٠ — ٨٤٠ — ١٠١
أبو منصور : ١٨	مجمع بن جارية : ٧٢
موزل : ٨	محمد بن السميع : ١٢١ — ١٨٣
أبو موسى : ٧٣	محمود السمران : ٩٥ — ١٠٩
الميداني : ٥٦ — ٥٧	١٤٦ — ١٤٨ — ١٥٤ — ١٩٤ — ١٩٥
النايفة : ١٨٩	ابن محيصة : ١٠١
نافع بن عبد الرحمن : ٧٣ — ٨٠	ابن مسعود : ٦٨ — ٧١ — ٧٣
٨٦ — ٨٧ — ٨٩ — ٩٨	٧٤ — ٧٧ — ٨١ — ١٠٢
٩٩ — ١٠٢ — ١٠٣ — ١٠٦	١٠٤ — ١٨٠ — ١٩٧ — ١٩٩
١١٠ — ١١١ — ١٢٠ — ١٢١	المسعودي : ٢٠ — ٤٠
١٢٣ — ١٢٤ — ١٢٨ — ١٢٩	مسلمة بن مخلد : ٧٢ — ٧٣
١٣١ — ١٣٨ — ١٣٩ — ١٤٤	مصطفى صادق الرافعي : ٤٤ — ٤٥ — ٤٦
١٤٥ — ١٤٩ — ١٥٣ — ١٥٤	معاذ بن جبل : ٧٢

يحيى بن خالد البرمكى : ٦٢ — ٦٣	١٥٥ — ١٦٠ — ١٦١
يحيى بن عماره : ١٤٥	١٦٣ — ١٦٥
يحيى بن وثاب : ٧٤ — ٧٩	النخعي : ١١٤ — ١١٩
١١١ — ١٤٨ — ١١٤	ابن النديم : ٥٠ — ٥١
١١٥ — ١٤٤ — ١٩٠	النعمان بن بشير : ٧٤
يحيى بن يعمر : ١٢١	أبو نهلة : ١١٤
يزيد بن أبي سفيان : ٧٢	نشوان بن سعيد الحميري : ٥٤
يزيد بن قطيب : ١٤٥	الهذيل بن شرحبيل : ١١٤
يعرب بن قعطان : ٤٠	أبو هرمز : ١١٩
يعقوب بن أبي إسحاق : ٧٤ — ٧٥	أبو هدية : ٧٣
٨٠ — ١٠٠ — ١٢٣ — ١٢٨	هشام بن حكيم : ٨٩
١٢٩ — ١٣١ — ١٦٥	ابن هشام : ٢٠ — ٢١ — ٢٢
اليقوبى : ٢٧	٢٤ — ٢٨ — ٣٢ — ٦٣ — ١٥١
ابن يعيش : ٥٧ — ٦٠ — ٩٥	الهمداني : ١٢ — ١٣ — ١٥ — ١٦
١٠٧ — ١٣٥	١٧ — ١٨ — ٢١ — ٢٣ — ٢٤
يقطن بن عابر : ١٥ — ١٦	٢٥ — ٢٦ — ٢٧ — ٢٨ — ٢٩
يونس بن حبيب : ٥٠ — ٦١	٣٠ — ٣١ — ٣٢ — ٣٣ — ٣٤
	١١٦ — ١٣٣ — ١٤٧ — ١٤٨
	١٦٢ — ١٨٥
	وائله بن الأسقع : ٧٤
	الوليد بن مسلم : ١٣٠
	ياقوت : ١٥ — ١٨

مجلس القضاء الاعلى

الهيئة العامة للغذاء والدواء

مجلس الوزراء

الهيئة العامة للغذاء والدواء

فهرس القبائل

الأزد : ١٧ — ٢٧	بكر بن وائل : ٢٣ — ٢٤ — ٣٣
أزد السراة : ٢٧ — ٦٤ — ٩٠ — ١٦٤	١١٣ — ٩١ — ٩٠ — ٦٠ — ٥٩
أزد شنوة : ٢٧ — ٢٨ — ٦٠ — ٩١	١٤٠ — ١٣٣ — ١٣٢ — ١٢٥
١٥٢ — ١٨٧ — ١٨٨	١٨٦ — ١٨٥ — ١٥١
أزد عمان : ٢٧	بلي : ٢٥
أسد : ٣٢ — ٥٩ — ٦٠ — ٩٠	بهاء : ١٠ — ٢٥ — ٤١ — ١١٥
٩١ — ١٠٥ — ١١٥ — ١١٦	١١٧ — ١١٦
١١٩ — ١٢٠ — ١٢٢ — ١٢٥	تغلب : ١٠ — ٢٣ — ٣٣
١٣١ — ١٣٣ — ١٣٩ — ١٤٠	تميم : ٣٣ — ٣٤ — ٣٩
١٤١ — ١٤٧ — ١٤٨ — ١٥١	٥٤ — ٤٩ — ٤٨ — ٤١
١٥٧ — ١٨٠ — ١٩٢	٥٩ — ٥٧ — ٥٦ — ٥٥
الأشعريون : ١٢ — ١٤ — ١٧ — ٢١	٩١ — ٩٠ — ٨٩ — ٦٠
٢٣ — ٢٩ — ٣٠	١١٦ — ١١٥ — ١٠٧ — ١٠٥
الأوس : ٢٨ — ٨٩ — ١٠٦	١٢٢ — ١٢٠ — ١١٩ — ١١٧
الأكراد : ٢٣	١٣٣ — ١٣٢ — ١٣١ — ١٢٥
بنو أمية : ٢٣	١٤٨ — ١٤٧ — ١٤٠ — ١٣٩
أنمار : ١٩	١٦١ — ١٥٧ — ١٥١ — ١٤٩
بجيلة : ٢٩	١٧٩ — ١٧٧ — ١٦٤ — ١٦٢
بحتر : ٣٢	١٨٤ — ١٨٣ — ١٨١ — ١٨٠

١٨٥ — ١٨٦ — ١٨٩ — ١٩٠	زبيدة ٦٠ — ١٨٥
١٩٩	سعد بن بكر : ٣٣ — ٤٣ — ٩١
تنوخ : ١٠ — ٢٥	١٣٩ — ١٤٠
ثقيف : ١٥ — ٣٢ — ٤٣	سعد العشيرة : ١٨٥
جرم : ٢٥	سليم ١٨ — ٢٤ — ٣٢ — ٦ — ٩٠
جزام : ٢١ — ٢٤ — ٢٦	الشرارة : ٢٣
جشم : ٤٣	شيبان : ٢٣
جهينة : ١٤ — ٢٤	بنو صباح : ٩١
بنو الحارث : ٦٠ — ١٨٥ — ١٨٦	بنو الصعدات : ٩١
١٨١ — ١٨٧	ضبة : ٤١ — ٩٠
حكم : ١٢	طائفة : ١٠٦
حيد : ٢٣ — ٥٥ — ٥٦ — ٦٠	طى : ٢٧ — ٣٠ — ٣١ — ٣٢
خمم : ٢٩ — ٦٠ — ١٨٥	٤٩ — ٥١ — ٥٥ — ٥٦
خزاعة : ٢١ — ٢٨ — ٥٥ — ٥٦	٥٩ — ٦٠ — ٩٠ — ٩١
الجزرج : ٢٨ — ٨٩ — ١٠٦	١٥٢ — ١٨٧
خندف : ٣٣ — ١٠٧	عامر : ٥٧ — ١٢٣ — ١٤٧ — ١٦٤
خولان : ٢٩	عاملة : ٢٣ — ٣٠
بنو دبير : ٩١ — ١٨٠	بنو العباس : ٢٣
ذبيان : ٣١	عبد القيس : ١٣٢ — ١٣٣ — ١٥١
ربعة : ١٠ — ٢٢ — ٢٣ — ٤١	١٥٠
٥٩ — ٦٠ — ٩٠ — ٩١ — ١١٦	بنو عبد مناف : ٢٣
١٨٥ — ١٨٦	عبس : ٣١

عدنان : ٢٠ - ٢٢ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠	٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥
٣١	٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٥ - ٦٩
عدوان : ٣٢	٤٦ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ١٠٠
عذرة : ٦٠ - ٩١ - ١٤٧ - ١٥٢	١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٣٩
عقيل : ٣١ - ٦٥ - ٦٠ - ٩٠ - ٩١	١٤١ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٦
١١١ - ١١٣ - ١٤١ - ١٤٢	١٨٥ - ٢٠٠ - ٢٠٤
١٦٤	قضاة : ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٣٣
عك : ١٢ - ١٤ - ١٧ - ٢١	٦٠ - ١١٦ - ١٤٧
عكل : ٦٠ - ١٠٦ - ١٠٧	قيس : ٣١ - ٣٢ - ٤١ - ٥٦ - ٥٩
بنو العنبر : ٥٩ - ٦٠ - ١٨٥	٦٠ - ٩٠ - ٩١ - ١٠٥ - ١٠٦
عزة : ٣٢	١٠٧ - ١١٩ - ١٢٥ - ١٣٩
غسان : ١٠ - ٢١ - ٢٨	١٤٠ - ١٤١ - ١٤٧ - ١٥٢
غطفان : ٣١ - ٩٠ - ٩١ - ١٥٤	١٥٤ - ١٧٩ - ٢٠٠
بنو غفار : ٩٨	بنو القين : ٩١ - ١٤٧ - ١٥٢
غهم : ٩١	كعب : ٩١ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٤٧
غنى : ١٠٦ - ٣١ - ١٣٣	بنو كلاب : ٣١ - ٥٦ - ٩٠ - ٩١
فرسان : ١٢	١٦٤
فزارة : ٣١ - ٥٩ - ٦٠	كلب : ٢١ - ٢٤ - ٩١ - ١١٦
فقس : ٦٠	كنانة : ١٤ - ١٧ - ٢٣ - ٣٤ - ٥٥
فهد : ٩٠	٥٦ - ٦٠ - ٩١ - ١٤١ - ١٨٥
قحطان : ٢٠ - ٢٢ - ٢٣ - ٣٠	١٨٦ - ١٩٦ - ٩٧
قريش : ٢٣ - ٢٨ - ٣٠ - ٣٤ - ٤٠	كندة : ٢٦

همدان : ٢٨ - ٢٩ - ٦٠ - ١٨٥

هوازن : ٣١ - ٤١ - ٤٣ - ١٣٣

١٤٠ - ١٤٧ - ٢٠٠

وائل : ٣٣

وهيل : ٩٠ - ٢٠٠

يربوع : ٩١ - ١٦٣

كهلان : ٢٣ - ٢٦ - ٣٠ - ١٨٦

١٨٧ - ٢٠٠

لحم : ٢١ - ٢٦

بند مجيد : ٣٠

بنو مخزوم : ٢٣

مدحج : ١٤ - ٢٧ - ٢٩ - ١٨٦

مراد : ١٨٥

مرنة : ٢٤

مضر : ١٠ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٠

معد : ٢٠ - ٢١

مهرة : ٢٥

النخع : ٢٠٠

نزار : ٣٠

نصر بن معاوية : ٤٣ - ٥٥ - ٥٦

نمير : ٣١ - ١٢٣

بنو هاشم : ٢٣

بنو الهجيم : ٦٠ - ١٨٥

هذيل : ٢٣ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٩

٦٠ - ٩٠ - ٩١ - ١١٦ - ١١٧

١٢٥ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٤١

٧١١

بنو غلال : ٥٦

فهرس الاماكن

آرة : ١٤	البثنية : ٩
أبان : ٣٢	البحرين : ١٣-١٤-١٨-٢٦-
الأبلة : ٢٣	٢٢-٣٣-١١٣-١٤٢-١٦٤
الأبيض : ١٤	البحر الأحمر : ١٠-١٢-١٧
أجا : ٢٧-٣٠-٣١-١٨٨	بحر الحبش : ٨
الأجيرد : ٢٤	بحر الروم : ١٠
الأجفر : ١٧	بحر الصين : ١١
الأحساء : ٣٧	بحر فارس : ٨-٩-١٠-١٣-١٦
الأحقاف : ١١	بحر الهند : ١٣
أذرعات : ٩	بحيرة زغر : ٩
الاردن : ١٢-٣٠	البصرة : ٩-١٣-١٨-٢٥-٦٢
الاشجار : ١١	٧٣-٧٤-٨٥-٨٦-١٣١-
أضاة بنى غفار : ٦٨	١٣٩
أمج : ٢٤	البطائح : ٩
الأنبار : ٩-١٠-٣٢	بطن توت : ٣٢
أيلة : ٩-١٠-١٢-١٣-٢٥	بعلبك : ٩
إيلياء : ٢٨	بغداد : ٢٣-٦٢
بارما : ٢٣	بقران : ٣٣
بالس : ٩-١٠-١٣-٢٥	البلقاء : ٩-١٣

البوازيح : ٢٣	جـرش : ١١
بيروت : ١٢	الجزل : ٢٤
يشة : ١٤ — ٢٨ — ٢٩	الجزيرة : ٢٣ — ٣٣
تاران : ٩	الجلس : ١٥ — ٣٢
تالة : ٣٤ — ٢٩ — ٣١ — ٣٤	جلق : ٢٨
تبوك : ١٥ — ٢٤ — ٢٦	الجوف : ١٦ — ٢٧
تليت : ١٤ — ٢٨	حارب : ٢٨
تدمر : ٩ — ٢١ — ٢٤	الحباب : ١٥
تربة : ٢٨	الحجاب : ١١
ترج : ١٤ — ٢٩	الحنجاز : ١١ — ١٣ — ١٤ — ١٥ — ١٧
تهامة : ١٣ — ١٤ — ١٥ — ١٦ — ١٧	١٨ — ١٩ — ٢١ — ٢٤ — ٢٧ —
١٩ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١ — ٣٢ —	٢٩ — ٢٠ — ٣١ — ٣٣ — ٣٩ —
٣٣ — ٣٤	٤٥ — ٤٦ — ٤٩ — ٥٤ — ٦٥ —
تياء : ٣١ — ٣٢	٥٩ — ٦٠ — ١٠٥ — ١٠٦ — ١٠٧ —
التعليية : ٢٧	١١٦ — ١١٧ — ١١٩ — ١٢٠ —
ثبيان : ٣٣	١٢٢ — ١٢٤ — ١٢٥ — ١٣٣ —
الجار : ٩ — ١٢	١٣٩ — ١٤١ — ١٥٢ — ١٥٦ —
جیلان : ٩	١٦١ — ١٦٣ — ١٦٤ — ١٦٦ —
أم جعدم : ١٧	١٧٧ — ١٧٩ — ١٨٠ — ١٨١ —
الجحفة : ١٤ — ١٥ — ٧ — ٢٧	١٨٧ — ١٨٩ — ١٩٠ —
جدة : ٩ — ١١ — ١٢ — ١٥ —	حدان : ٢٧
١٦ — ٢٤	الحديثة : ٩ — ٢٣

الحرم : ١١	دمشق : ٩ — ١٢ — ٣٠ — ٧٣
حسمى : ٣١	دهلك : ١٢
الحصيب : ١٧ — ٣٠	دومة الجندل : ٢٤ — ٤٧
حضر موت : ٩ — ١٢ — ١٤ — ١٦ —	ذات عرق : ١٧
٢٦ — ٢٥	ذمار : ١٦
حلى : ١٣	راية : ١٢
حمص : ٩ — ١٢ — ٢٤ — ٧٢	الرجلة : ٩ — ٢٤
الحوراء : ١٥	رضوى : ٢٤
حوران : ٩ — ٣١	الرقعة : ٩ — ٣٢
الحيرة : ٩ — ٢٦ — ٣٢ — ٦٢	رملة عالج : ٢١
حيس : ٣٠	رنية : ١٤
جبا : ١٦	ريدة : ١٦
خراسان : ٢٣	زيد : ١٣ — ٢٨ — ٣٠
خليج العقبة : ٩	السرير : ١٦
الخليج الفارسي : ١٨	سفوان : ١٢
الخنصرة : ٩	السقا : ١٢
الخورنق : ٩	سلع : ٨
خير : ١٥ — ٣٢	سلمى : ٢٧ — ٣٠ — ٣١ — ٣٤ — ١٨٨
خيطى : ١٤	سلمية : ٩ — ٢٤
خيوان : ١٦	الساوة : ١٤ — ٢٤
الدالية : ٩	السن : ٢٣
دجلة : ٨ — ٩	السوارقية : ١٥

عانة : ١٣ — ٩	السودان : ١٢
عبادان : ٩ — ١٠ — ١٢	سوريا : ٩
عدن : ٩ — ١١ — ١٢ — ١٣	السويس : ٨
١٦ — ٣٠	سيناء : ١٠ — ١٢
العراق : ١٠ — ١١ — ١٢ — ١٣ — ١٤	الشام : ١٠ — ١١ — ١٢ — ١٤ — ١٥
٢١ — ٢٦ — ٣٠ — ٣٢ — ٣٣	١٧ — ٢٥ — ٢٩ — ٧٢ — ٧٣
١١٧ — ١١٦ — ٧٦ — ٦٢ — ٣٩	٧٤ — ١١٧ — ١٦٤
١٣٣ — ١٤٠ — ١٨٦	الشجر : ١٢ — ١٤ — ٢٥ — ٢٧
العرج : ١٥	الشرقة : ٩
العروض : ١٣ — ١٤ — ١٥ — ١٦	الشرف : ١٤
١٤٧ — ١٣٣ — ٣١ — ١٩ — ١٨	شرون : ١٦
١٨٥	صحار : ٤٧
عسقلان : ١٢	صعدة : ١١ — ١٦ — ٢٥ — ٢٩
العشيرة : ١٥	صنعاء : ١١ — ١٤ — ١٦ — ٢٥ — ٢٩
عكا : ٣٠	صور : ١٢
عكاظ : ٣١ — ٤٧	صيداء : ٢٨
العقيق : ٢٥	الطائف : ١٥ — ١٦ — ٢٩ — ٣١
عمان : ١٩ — ١١ — ١٢ — ١٤ — ١٨	٣٢ — ٣٣ — ٢٠٠
العق : ١١	طلحة الملك : ١٦
العميص : ١١	الطور : ١٢ — ٢٣
العوالي : ٣١ — ١٦٤	ظفار : ١٣
العونيد : ١٥	الماصمة : ٢٤

اللاذقية : ٢٥	العيص : ٢٤
الحج : ١٦	عين التمر : ٣٢
مأرب : ١٦ — ٢٢ — ٢٥ — ٢٧	غران : ٢٤
مدين : ٩ — ٢٩	الغرى : ٢٤
المدينة : ١٥ — ٢٨ — ٢١ — ٢٤ — ٢٧	غزوان : ٢٣
٢١ — ٢٢ — ٣٣ — ٦٩ — ٧٣ —	فدك : ١٥ — ١٦٤
٧٤ — ٩٩ — ١٠٦ — ١٦١ — ١٦٤	الغرات : ٨ — ٩ — ١٢ — ١٣ — ٢٥
المرآة : ١٤ — ٣٤	الفلجة : ٣٠
مر الظهران : ٢٨٠	فلسطين : ٩ — ١٢ — ٧٢
الروة : ١١ — ١٥	فيد : ١١ — ١٤
المشقر : ٢٦ — ٤٧	قدس : ١٤
مصر : ١٢	فزع : ١١ — ١٥
معدن النقرة : ١١ — ٢٤ — ٣٢	قرقيسيا : ٩
مكة : ١٢ — ١٥ — ١٦ — ٢٧ — ٢٨	قطر : ١٢
٣٠ — ٣١ — ٤٥ — ٤٦ — ٤٩	القطيف : ١٢
٦٩ — ٧٣ — ٧٤ — ٩٩ — ١٠٠	القنم : ٩ — ١٢ — ١٣ — ١٧
١٠٦ — ١٩٦ — ٢٠٤	القنان : ٣٢
مهرة : ٩ — ١١ — ١٣	قنسرين : ٩ — ١٢
الموصل : ٢٣	كاظمة : ١٢ — ٣٢
النجار : ٣٢	الكوفة : ٩ — ١٣ — ٣٢ — ٣٤
نجد : ١٣ — ١٤ — ١٥ — ١٧ — ١٨	٧٣ — ٨٥ — ٨٩ — ١١٦ — ١٣١
١٩ — ٢٤ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١ —	١٣٩ — ١٤٦ — ١٩١

- ٣٢-٣٣-٣٤-٦٠-١١٩-يلم : ١٦
١٢٠-١٢٢-١٣٩-١٥٧-الجماعة : ١١-١٤-١٦-١٨-٢٥
١١٣-٦٠-٣٤-٣٣-٣٢
٢٠٠-١٧٩
نجران : ١١-١٤-١٨
العين : ٩-١٠-١١-١٢-٣
نخلة : ١٤-٣١
١٤-١٥-١٦-١٧-١٨
النوبة : ١٢
١٩-٢١-٢٢-٢٣-٢٥
النيل : ١٢
٢٦-٢٧-٢٩-٣٠-٣٩
هجر : ١١-١٢
٥٦-٦٠-١٤٠-١٤١-١٦٦
هجشان : ٢٤
١٨٥-١٨٦-١٨٧
هيت : ٩-٣٣
٢٥-١٥-١١-ينبع :
هيروبوليس : ٨
وادي إضم : ١٥
وادي بدا : ١٥
وادي الرملة : ١٩
واسط : ٩
وادي القري : ١٥-٣١-٣٢
وادي نخال : ١٥
بيرين : ١٦
محمد : ٢٧
يسوم : ١٤
يشور : ٢٥
يصاع : ٣٢

فهرس الموضوعات

مقدمة

٣ - ١

١ القرآن واللغة العربية

١ اللهجات العربية والعامية

٢ الدراسة البيئية للهجات

٣ صعوبات دراسة اللهجات القديمة

٣٤ - ٥ الباب الأول : شبه الجزيرة العربية

١٩ - ٧ الفصل الأول : شبه الجزيرة : حدودها وأقسامها

٧ الجغرافيا اللغوية

٧ أهمية الأطلس اللغوي

٨ الحدود القديمة لشبه الجزيرة

٨ رأى إراتوسين

٨ رأى سترابو

٨ رأى بليزى

٨ رأى الخليل

٩ رأى بن حوقل

١٠ رأى الإصطخرى

١١ رأى المقدسى

١٢ رأى الهمداني

١٣ رأى القلقشندي

١٣ أقسام شبه الجزيرة

الحجاز	١٥
اليمن	١٥
تهامة	١٧
العروض	١٨
نجد	١٨
الفصل الثاني : القبائل العربية	٢٠ - ٣٤
اهتمام العرب بالأنساب	٢٠
تصنيف الأنساب	٢٢
القحطانيون	٢٣
حمير	٢٣
قضاة	٢٣
جبهة ، بلي ، كلب	٢٤
بهاء ، تنوخ ، مهرة ، جرم	٢٥
كهلان	٢٦
جذام ، لحم ، كندة	٢٦
طى ، مذحج الافراد	٢٧
الأوس والخزرج ، غسان ، خزاعة ، همدان	٢٨
خولان ، أنمار ، بجيلة ، خثعم	٢٩
أشعر	٢٩
عاملة	٣٠
العدنانيون	٣٠
نزار	٣٠

- ٣١ قيس عيلان ، غطفان ،
٣٢ سليم ، عدوان
٣٢ ربيعة ، أسد
٣٣ وائل ، بكر ، تغلب
٣٣ خندف ، هذيل ، تميم
٣٤ كنانة ، قريش

الباب الثاني : اللغة العربية ولهجاتها ٣٥ - ٦٤

الفصل الأول : الواقع اللغوي قبل الإسلام ٣٧ - ٤٩

- ٣٧ أسباب نشأ اللهجات
٣٧ الأسباب الخرفائية
٣٨ أسباب اجتماعية
٣٨ احتكاك اللغات
٣٨ أسباب فردية
٤٠ كيف تكونت العربية قبل الإسلام
٤٠ القدماء ولهجة قريش
٤١ ابن فارس والسيوطي
٤٤ رأى المحدثين
٤٤ الزايعي
٤٥ طه حسين
٤٦ حسن عون ، شوقي ضيف ، إبراهيم أنيس
٤٧ نقد هذه الآراء

٤٨	 المنهج اللغوي
٦٤ - ٥٠	 الفصل الثاني : لهجات القبائل في الكتب العربية
٥٠	 العرب ودراسة اللهجات
٥٠	 كتب اللغات
٥٢	 كتب اللغات في القرآن
٥٤	 المعاجم
٥٥	 المشترك والمترادف والأضداد
٥٦	 كتب النوادر
٥٦	 الأمثال
٥٧	 الضرورة الشعرية
٥٨	 النحسو
٦٠	 ابن جني
٦١	 منهج العرب في جمع اللغة
٩١ - ٦٥	 الباب الثالث : القراءات واللهجات
٨٢ - ٨٧	 الفصل الأول : القراءات : نشأتها وتطورها
٦٧	 منهج الرسول في توثيق النص
٦٨	 الأحرف السبعة
٦٩	 الحفظ بالمشافهة والكتابة
٧٠	 المصحف الامام
٧١	 أسباب اختلاف القراءات

٧٣	القراء السبعة
٧٥	القراءات الصحيحة
٧٥	القراءات الشاذة
٧٣ - ٩٤	الفصل الثاني : القراءات مصدر أصيل لدراسة اللهجات
٨٣	القراءات واللغات العربية
٨٤	منهج القراءات
٨٥	بين النحاة والقراء
٨٨	منهج الاعتماد على القراءات في دراسة اللهجات
٩٣ -	الباب الرابع : دراسة لغوية في اللهجات
٩٥ - ١٥٧	الفصل الأول المستوى الصوتي
	الصوائت والصوامت
٩٥	الهمز
٩٧	الهمزة المفردة
١٠٢	الهمزتان المحتممتان
١٠٩	الصوامت الحلقية
١١٤	كسر حرف المضارعة
١١٨	الصوائت القصيرة
١١٨	بين الفتح والكسر
١٢٠	بين الفتح والضم
١٢٢	بين الكسر والضم
١٢٦	الأصوات وتأثير بعضها في بعض
١٢٦	الإدغام

١٣٤	الفتح والإمالة
١٤٣	التأثر بالجر أو بالإطباق أو بالخافضة أو بالإبتاع
١٥٣	التأثر بالحذف
١٧٧-١٥٩	الفصل الثاني : <u>المستوى الصرفي</u>
١٥٩	في الأسماء والمشتقات
١٥٩	الضمير
١٦٧	المقصور والمدود
١٦٩	من المصادر
١٧١	من صيغ المبالغة
١٧٣	في الأفعال
١٧٣	بين فعل وأفعّل
١٧٦	بين التفعيل والمفاعلة
٤٩٣-١٨٧	الفصل الثالث : <u>المستوى النحوي</u>
١٧٨	من الفصائل النحوية
١٧٨	الجنس
١٨٠	ماعدن الحجازيين والتميمين
١٨٣	ضمير الفصل
١٨٤	الثنائي
١٨٧	الفعل والفاعل أو نائبه
١٩٠	البديل التعمي
١٩١	المنوع من الصرف
٢٠١-١٩٤	الفصل الرابع : <u>المستوى الدلالي</u>

١٩٤	التطور الدلالي
١٩٥	الشرط والتلقاء
١٩٧	الجر والغب
١٩٩	الصدق والجبل
١٩٩	الحصب والخطب
٢٠٠	اليأس والتبين
٢٠٦-٢٠٤	الخاتمة
٢٠٧-	أطلس لغوى
٢٠٨	شبه الجزيرة العربية
٢٠٩	القبائل العربية قبيل الإسلام
٢١٠	الهمز
٢١١	أصوات الحلق
٢١٢	حرف المضارعة
٢١٣	بين الفتح والكسر
٢١٤	بين الفتح والضم
٢١٥	بين الكسر والضم
٢١٦	الإدغام والإظهار بعامة
٢١٧	الفعل الثلاثى المضعف فى حالة الجزم
٢١٨	» » فى الأمر
٢١٩	» » عند اتصاله بضمير الرفع
٢٢٠	ألف المقصور فى ياء المتكلم
٢٢١	الفتح والإمالة

٢٢٢	الفعل الثلاثى الأجوف
٢٢٣	التأثر بالجهر
٢٢٤	التأثر بالخالفه
٢٢٥	الإنباع
٢٢٦	التأثر بالحذف
٢٢٧	ضمير التكلم
٢٢٨	ضمير الغائب المفرد
٢٢٩	ضمير الغائب فى الثنية والجمع
٢٣٠	القصر والمد
٢٣١	من المصادر
٢٣٢	من صيغ المبالغة
٢٣٣	بين فعل وأفعل
٢٣٤	بين التفعيل والمفاعلة
٢٣٥	من الفصائل النحوية — التذكير والتأنيث
٢٣٦	ما عملها فى الجملة الاسمية
٢٣٧	الشيء
٢٣٨	بين الفعل وفاعله أو نائبه
٢٣٩	الاستثناء المنقطع
٢٤٠	المنوع من الصرف
٢٤١	المصادر
٢٤٢	ملاحق الفهارس
٢٤٥	فهرس الأعلام
	فهرس القبائل
	فهرس الأماكن
	فهرس الموضوعات